

8755

2274.8799.362

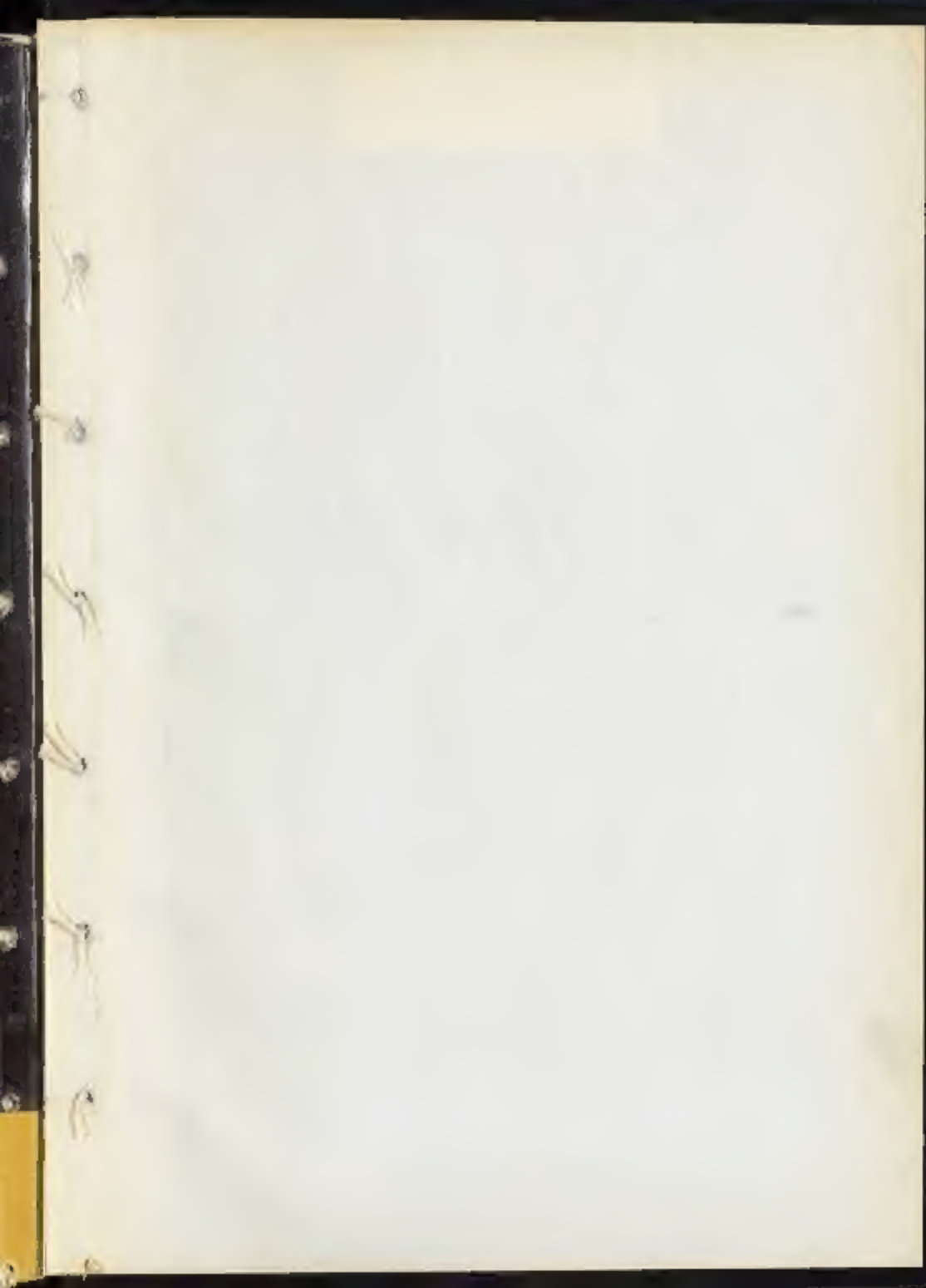
Min al-'alam al-majhul

[illegible]

Princeton University Library



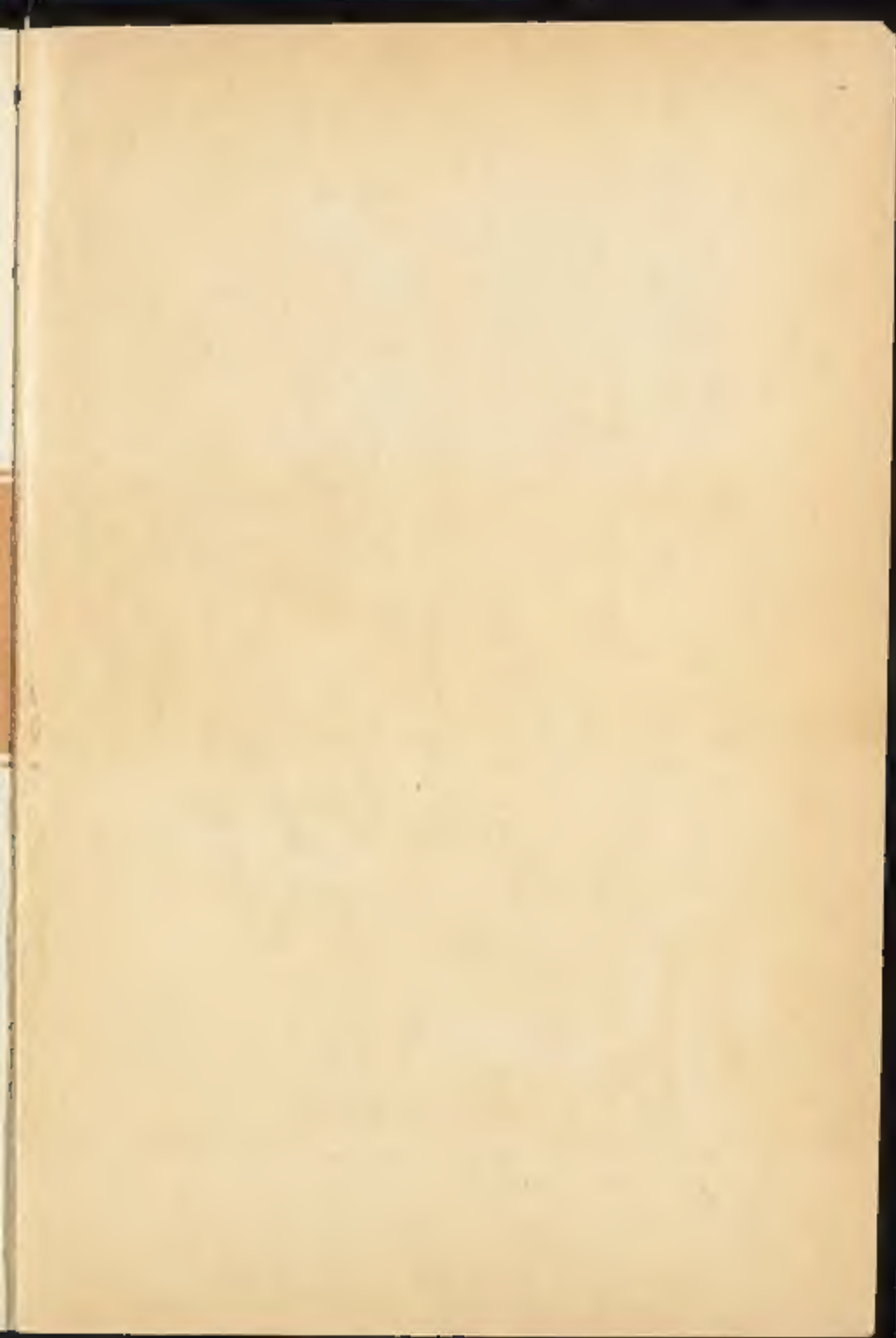
32101 072236084



يوسف السباعي



من العالم المجهول



Min al-Ṣalām

من ذا الذي

• ويسألك عن الروح قل الروح من أمر ربي •

(قرآن كريم)

فَمَسَّالَتِ الْأَرْضَ عَنْ سِرِّ الْوُجُودِ وَسَأَلَتِ الْيَمِينَ وَالرَّيْحَ الْفُرُودِ
وَالْجِبَا وَالْبَرْقَ بِسَرِّي وَالرَّعُودِ وَالْفَرَارِي وَالسَّمَوَاتِ الْعُودِ
كَأَنَّمَا صَدَّتْ وَلَمْ تُنصِتْ لِدَاعِ

(عمر الخيام - محمد السباعي)

الناشر مكتبة الخياجي

للمؤلف

- ١ - الحياض الناشر : دار التوزيع والطباعة والنشر
طبع في شركة فن الطباعة - يناير ١٩٤٧
- ٢ - نائب عمدة أثيل الناشر : دار التوزيع والطباعة والنشر
طبع في شركة فن الطباعة - نوفمبر ١٩٤٧
- ٣ - اثنا عشرة امرأة الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى - مارس ١٩٤٨
الطبعة الثانية - ديسمبر ١٩٤٩
- ٤ - قبابا الصرور الناشر : دار النشر العربية
طبع في دار الأعدبيروت لبنان - مايو ١٩٤٨
- ٥ - يا أمه ضحكك الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة - أغسطس ١٩٤٨
- ٦ - اثنا عشر رجلاً الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة - فبراير ١٩٤٨
- ٧ - أرض النفاق الناشر : مكتبة النهضة المصرية
طبع في مطبعة الصحافة الكبرى - أبريل ١٩٤٩
- ٨ - في مركب المهوى الناشر : دار الفكر العربي
طبع في شركة فن الطباعة - يوليو ١٩٤٩
- ٩ - من العالم المجهول الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة - نوفمبر ١٩٤٩
- ١٠ - هذه النفوس الناشر : دار الفكر العربي
طبع في شركة فن الطباعة - ديسمبر ١٩٤٩

الاهتداء

الى أهل العالم المجهول . . .

الى العفاريات والجن والاشباح والاورواح . . .

أهدى كتابي هذا ، بلا سابق لقاء ولا قديم معرفة ، علّه يكون
فاتحة صداقة بيني وبينهم . . ليذكروني كما أذكركم ، ويؤكدوني
وجودهم . . فیرسلون الیّ - على سبيل الهدية - مارداً من عفارياتهم
في دقهم ، أو في دعاتهم ، يتصاعد شبحه مع الدخان إلى عنان السماء
ويهب صوته أرجاء الأرض ويصبح بي ، شريك ليك . . عبدك
بين يديك . . .

فإذا استعصت عليهم الهدية . . أو استكثروها عليّ . .
فلا أقل من أن أرسلوا إلىّ دجينة ، من جنّياتهم حلوة الذات لطيفة
المعشر ، تونس - إذا ما أردت - وحشّي ، وتقصّر ليلى ، ونهني
متعة مأمونة مضمونة لامتعاب ورائها ولا حواصف ولا زواجع .
هذا هو مطلبي المتواضع . . فإذا أينموه عليّ ، فأما أنكم
بخلاء تذكرون للجميل . . أو أنكم - كما قلت دائماً - لا وجود
لكم إلا في أوامر الخائيل . . وإن عالمكم المجهول . .
عالم غير كائن .

برسيف السباحي

2274

8799

362

نحت الطبع

- أساطير الأولين
- مبعي العشاق
- صور طبق الأصل
- إني راحلة .
- أم رتيبة .
- السقامات .

الغلاف بريشة الفنان رمزي لبيب
صور الكتاب بريشة الفنان حسن محمد حسن



المؤلف

ربته الأستاذ حسن عبد حسن

مقدمة

أما لا أومن بالأشباح والجن والعفاريت وما كنت
أعط حير بعد الأرواح وما حاولت أن أبحث فيها فبلا
ولا كثير . وما صادقت من الحياة إلا ما حيشها الظاهرة
هوسية التي تستعد كل وقتي فتسلي عن التفكير فيما
عندها مما حتى واستمر

فليس من السحرية بعد كل هذا أن أصع عن العالم
المجهول كتماناً . وأما أجهل الناس به وأضعفهم إيماناً
بما فيه

إني أتوق لمخاضه روح . أو مصادقه جن
أو مطاردة شبح حتى يسد من نفسي ذلك الشك الذي
يحيط بكل ما ورد من إعادة من عم مجهول وحتى أستحل
ولو مرة واحدة . تلك الأشياء الخفية المهمة
المجهولة الغامضة

كل ما أعرفه عن العالم المجهول لا يعطو السماع ، فأما
أسمع عن أرواح نعيم ، وأشباح تطوف ، وعفاريت تحوم ،
وجنيات تعش وكلها طهرت لأناس آخرين أما أنا ، فلا
حتى لكأن يفتي ويهم تافه مسحك ، وبعضاً مقيمة ، فهي
تأين لقائي والظهور لي .

ثان وثلاثون عاماً . لم أصادف فيها شيئاً عجيباً
غير ملبوس ولا عسوس . ولا هط على وحى أنامى
منقو ، أو أظفى على سر . ولا حسيت حساً يعنى شيئاً
أكثر من تردد بما أحسه فى الحياة . . تشوقى إليه
والمره الوحده التى حاول أن أجد لأحلامى معنى
وأعدها قاعده استمع منها ما يوشك أن يحدث حدثاتى
حذراً شديداً . بعد حسيت ذات مرة فى الامتحان
أنى رست ، فلما ظهرت النتيجة وجدت نفسى راجعاً
فى اسم كاتليه سكر . الأمر فأدركت أن أسلام
أسقوط عبرى لا بد أن يعقبا حاج . وفى العام الثالث
جاءت أن رست . فرحت أعده فرحاً معشطاً . وكنت
نسى شرب المصباح فلما ظهرت النتيجة وجدت نفسى
رساً - بلا معنى - ألم أن سكم أن يعنى وبين أهل
العام المجهول صلة مفطوعة ١١٤

و لاسان نفسى فى بعض الأحيان أحفاً ستحتد
لأروح من عهد ادم حتى العصاة . وهى يحتل العدم الآخر
كل هذه الأرواح من شر . وكلاب . وعضط . وحن . وعمل .
وأسود وجرائم . ليس كلها كانت حبه ذات أرواح لا نفسى !
ورد كانت الأرواح تتبادل الاجساد فكيف بوى
أن يقسمها أعصاب . ومن منهم أحق بها فى العالم المجهول ؟ .
ولم لا يكون هابه لإسان بسيطة . . كنهاية كل شىء ؟ .
النساء ولعدم .

وتتواتر عن الأسئلة شيعاويه وأما صامت حائر لا أعرف
ها جوابا

ومع كل هذا التذلل في التفكير وجوب ما تحفه سميت
بحساس بأن هناك أشياء حقه . أشياء لا شك في وجودها
وسكن أذهاننا البشرية غير من يدرك كلها ونرى من
يحيط بحقه كذا

صلى بالإسلام ما جرت في هذه الأشياء حقه
فمن ما لا يحيط في . . . كنه لا يكاد يعم عن نفسه إلا
أنه شعاع نكوي ، وبإدراكه تصحش شرف على به الله
المحزون فلا يكاد يعرف من سراره وعاره إلا كما يعرف
ذلك الجلس على شاطئ نخط من به أضواء أصالته
يبغى بحكم الهدى . من أين في . . . أن يذهب
فلا طله تحب أكثر من قلوب حبه

كَمْ نَدْرَأَ حِكْمَةَ الْمُعْصِيَةِ الصَّغِيرِ

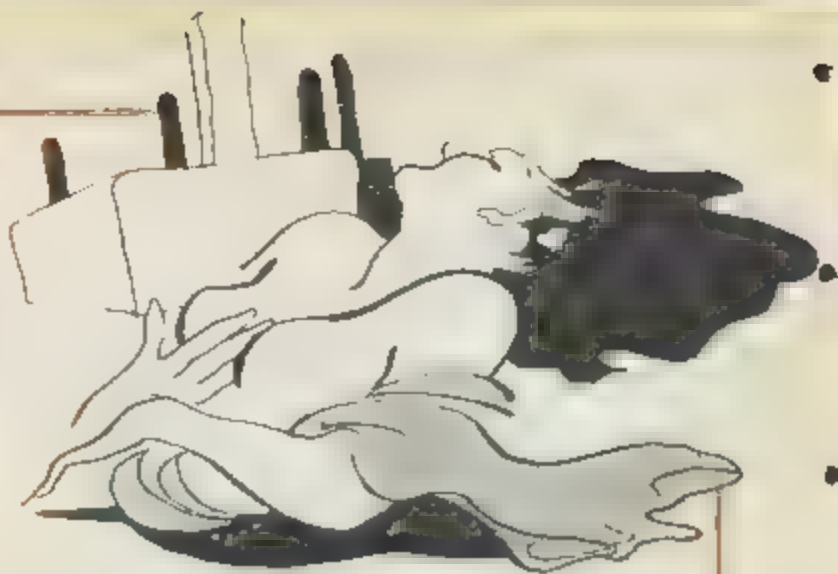
وَسَقَمَاتِهَا حَبَا لَعَلَّ نَعْرِزَ

مَا جَمَعْنَا غَيْرَ هُنَا وَوَرْدَ

مَا جَمَعْنَا غَيْرَ أَمَا فِي الْمَلَا

شَعْنُ الرِّقِّ حَتَّى تَعْدَ انْتِخَاغَ

برسف الساعى



وحده تغمر دراهمه و تفيض الى
 نهد اندوه والرح تصغر من
 حولي و مخرج كره كانه همس
 الحن و حبيب تارة حبيب و عظمه
 سائده لا من ديك سماع امجرا
 الذي بسجته رمل من نظاره

وصديق الطب العسدي ذات إليه يقطع

جاست الوقت بأحدث والتدحين . . وبث الرجل

من فيه حفة من اسحان تصاعدت إلى الجو

في حلقات متلاشية . وأحد يتم حديثه قائلاً :

« وهكذا ترى يا سدي إنه ليس هناك أشد تعقيداً من

النفس البشرية ، فلقد علتي دراسي ونجاري إياهما وصدا

في علمنا وبحوثنا ، فلم نعلم عنها إلا بقير . فهي عالم ما تستر

وراء حجب زائفة لا تكشف عن حقيقتها . ولا يكاد

الإنسان يصر من سواه إلا قشوراً يحجب القلب . أو بدأ

يستر أغوار النفس العميقة .

أجل يا سدي . . ما جهن الأدي كالآدي . . نحن

لا نكاد نعلم عن بعضها شيئاً . لا ما رآه من لظهر احراع .

أما الداهل المعقد المظلم الملتوي . . فما أشد جهلنا به . حتى

لأقرب الناس إليها . . ولو استطع الوصول إلى احتراع

نصر به دحائن القوس ونطلع به على حايا الأفتدة ، لراعنا

الفرق بين ما نصور وما نظهر . وهذا التناقض بين

ما نتكشف عنه الأعماق وما تبديه لنا المظاهر .

وصمت صاحي ربه . جذب خلالها نفساً طويلاً

من سيحارته . وأحد ينمى في الدخان المتصاعد كأنه ينصر
فيه ماطر متجسدة .

وفسكت فيما قال . فلا أحده شيئاً عربياً وخاصة
بالنسة أصيب مثله اطلع على أكثر من دحائل النفوس
المرتبسة . . وتكشف له الكثير من أسرارها وخفاياها . .
وقلت له معلقاً على قوله :

- هذا كلام صحيح بالنسة لمصاك . ولكنى أرى
فيه شيئاً من المبالغة وتعميم . فالإنسان لا يعصم بعض
الخصائص من تشدهم حاجة إليه برط من لثقة والصدق . .
واقصه وإلهم أو اصر المودة والإخلاص . فتكشف بمن كل
مهم للآخر . وتتفتح صدورهم عن كل ما ينطى . فتصبح
النفوس ، وقتدائى . صحفاً سنية مقرونة بلا تعبد ولا تمويه .
وصحك الرجل ضحكة ساخرة وهو رأسه قائلاً :

- لا . لا . لا . يا سبدي . . إن النفوس لا تتكشف أبداً
إلها قد تطير بعض ما بها . ولكن لا تظهر كل ما بها . لا بد
لها من شيء يبقى في الأعماق . ويرسب في القرار . لا يصره
أحد . لا صديق . ولا غير صديق

وصحت برهة وعاد بمخلق ثانية في الدخان المتصاعد ،
وشرده دمه كأنما يسجمع ذكريات عابرة ثم عاد يقول

— أحل . . ما أشد جهلنا حتى بأقرب الناس إلينا
سأقص عليك قصة صديق . قصة صديق لا مريض . . فقد
كان كل ما يبا صداقة حائلة . . وما فكرت في يوم ما أن
نفسه مريضاً حتى أتولى علاجه . . من كتب أحدهم حبر
الناس وأسلمهم عقلاً وهدأ وحيداً .

عرفه معرفة جيدة . فقد كان يقص حواره في نهاية
مصر الجديدة ورعهم الفسار في طاهر بيد في العمر . فقد
توثقت عرى الصداقة سرعه .

كان طبعاً متفاعداً وقد بلغ استين من امره . وكان يقص
حل وقته : إما في حديقة الدار الصيفه جالسا على مقعد
حيراني يتمتع بشمس الشتاء . أو حاساً وراء البافذة
البحرية يتمتع بسبات الصيف

وكان يعيش في الدار وحيداً . لا يؤنس وحشته سوى
خادم عجوز نهي له الطعام ونهي امره وأمر الدار .
والمد أحب الرجل من أول لقاء . فلقد كان من ذلك
النوع من الناس الذي يبدو كالعنبر اشعاف . لا تشوب
نفسه شائنة ولا يعتنم بريقها صاب . مكر أو سوء .
أو نقص أو ريب .

كان رجلاً لطيف المعشر ، حلوا الحديث طيب القلب ،

بقى اسريرة .. حتى الطل بالناس إلى حد قد يسميه المعص
لها .. وإن كسب أنا لا أرى فيه إلا سمواً في الخلق
وعلواً في التفكير .

وتادلنا الزيارات .. يوماً بعد يوم . وتعدنا أن نقضى
سهرانا سوياً إما في دارى أو في داره .. نقطع الوقت بعة
الشرمح ، أو تادل الأحاديث والأفامصص . أو في سماع
ما يستحق السماع من الإذاعة ولم يكن يكلف أهدام مشقة
الرسيت . وكان تجاور الدور يهين لنا أن نتراور بملاس
لبس وقد وضع كل ماء رواد على كتفيه . جلس في منزله
صاحبه كذبه في منزله

وانبثت لى الأيام حسن صدى بالرحس . بل لقد وجدته
حيراً بما طلت . فقد كان معرضاً في الطية ، معرضاً في حب
الخير . إلى الحد الذى يجعل طيبه نوعاً من أنواع لشدود .
ويجعل ميله للخير مصدر لداعه فهو أبدأ فبق .. لا يقشأ
يوحره صميره . لتوهمه أنه كان يستطيع أن يعمل حيراً بما
عمل .. فهو من ذلك النوع الذى نستطيع أن نسميه عهد
صميره . وهو نوع متعب ، مجهد ، شديد القلق .

لاشك أن فعل الخير هو واجب كل إنسان في هذه الحياة
ولكننى أعتقد أن الإفراط والمبالغة في أى شيء . حتى

في فعل الخير . يعتز في المرء نقيصة فهو يحسن من
الإنسان عدواً ، لذلك الشيء الذي يسميه الصمير .. والذي
يملاً هو ما يتركب الدم .. فيجعلنا ندنم على كل شيء
وعلمناه . وتحتسب لأننا لم فعل خيراً بما فعلنا .

أجل يا سيدي . بكى أن يعطى لمحتاج حسنة .. أما أن
تندم في كل مرة لأننا لم نعطه أكثر مما أعطينا وتلك مسألة
لا تنطق . إن الصمير شديد الطمع في الإنسان ويجب
ألا نعطيه الفرصة . لكي يستعدها ويتحكم فيه ، ويكسبنا
بأغلاله ، ويفسد علينا حياتنا . إن الحياة أقصر من أن
نقصيها ونحن نجر وراءنا ملاليل الصمير

فمثلاً . كان صمير ما يتفلسف على الرحمن ويسب له فلاناً
دائماً . بلا أدنى سبب — أرملة صديق له تقطن في نفس
الشارع .. ولست أسكر أن من واجب الصديق أن يرعى
روحة صديق راحل . ويقضى حاجتها ما استطاع إلى ذلك
سيلاً .. ولست أسكر أيضاً أن الأرملة العجوز — أو
— الست شقيقة — كانت تستحق كل رعاية وكل عناية .
ولكني دغم كل ذلك لم أكن أجده مبرراً لأن يتفلسف الرحمن
على نفسه مثل ما أتفلسف عليها به .. وأن يحسن دائماً إنه مقصر
من أجلها ، ومن أجل صاحبه الراحل — وإياه لا يكاد يشعر

يا حبة الضمير من فرط توهمه .. أنه لم يفعل من أجلها ما كان
يجب أن يفعل

تري ماذا كان يستطيع أن يفعل .. حبراً مما فعل ؟
لقد كان حجم المصعب عليها ، والثر بها . دائمة السؤال عليها ..
يرعاه كما يرعى الارأمة ، والآب الأمه . ولست أشك في
أنها لو كانت أحتاله لم فعل أكثر مما فعل .

ولم تد حاولت جهدي أن أمه ي عنه وأهمته أن للغير
حدوداً ، وأنه قد فعل أكثر من واحد . وأن أحداً من
أصدقائه صاحبه لم يفعل نصف ما فعل ... ولكنه مع ذلك
استمر على قلعه . لقد كان ، عند صبره . وكان لا بد له أن
يحس بالدم على شيء ، ولو لم يكن من أجل - الست شقيقه -
لكان لأي سبب سواها

وفي ذات يوم سألني رأيي في أنه يود أن يهب نصف
دخله ... لست شقيقة - حتى يعيها على العيش لأنه يحس
أساسي صديق . وإن معاشها لا يكاد يكفيها . ولقد أصابي
من قول الرحمن دهش وسأته عما إذا كان جاداً في قوله
وأجابني إنه جاد كل الجاد

وأحسست للرحمن تقدير دلع وإكرام شديد ، ولستكني
رغم ذلك لم أستطع موافقه ، فقد كان هو نفسه في حاجة

إلى كل ملهم من دحله . وكنت أعرف أن المرأة لا تشكو من شيء ، وإياها - كما قالت عندما صادتها في زيارة له - سعم بالستر ، وإياها نشكر الله على فصله . . ولم يكن يبدو عليها مظهر صيق أو عسر ولكن الرجل أصر على . أياه . ولم يستمع إلى قولي . وقد رأى أن هذا واحد عليه لائد من أداته ، وإياه مقصر لأنه لم يفعله بل ذلك .

ورفضت ، التي شقيقة ، طبعاً ما عرصة له . وأدته شاكرة أنها ليست في حاجة إلى شيء . . فمما شأنا يكون كل حاجتها وإياها لا تظمع في حذر أكثر مما هي فيه

وفي ذات ليلة ، لأضل ذكرها استمحي من ذاكرتي . كنت أجلس والرجل في داري ، وقد استبق كل ما عني أريكة وأحدنا استمع إلى حفلة عابئة بداع لأم كنجوم . وكانت له من ليالي الشتاء الشديد . لفر ، التي تعصف ريحها فسمع نغمة صمير وخجيج . . وقد جلس الرجل أمامي مدبراً حشد الرجل رداء من - صوف الخمل - ونلقح بكوفية ، أحاطت رأسه وعقده ونصف وجهه ، ووضع على عيبيه مظارة اسميك ، وتهدل شاربه الأشيب معطياً شفتيه ، وبدت شعرات يصف . متناثرة حول دقه ، ومرت عطاء وحنه ، وأعض عيبيه نصف إغماصة ، وأحد يهر رأسه بطء . ويصر الأرض بقدمه متمشياً مع الأنعام .



ورويداً رويداً رأيت صرحت قدمه تحف، وهزات
رأسه تطو، وإعماصه عيبه يزيد.. حتى سقط رأسه على
صدره، وعلا شجيره، ونملكه سلطان اليوم، ولعدت
من الرجل بك الطريقة في النوم.. وتركته في غفوته حتى
انتهت الوصلة مائية، فاستيقظ من تلقاء نفسه.. فلقد كان
الانتقال من الصحيح إلى الصمت بوقفه، وهنمت به صاحكا
— صبح اليوم يا أحديه .

— أي يوم؟ لقد كنت في تمام السقطة .

وكان مما هو رده الدائم ثم كان يعترف قط بأنه نائم،
وهو من مجلسه ورافقه حتى الباب وودعي عائداً إلى داره

ومصت ربع ساعة كست خلالها قد تمددت في الفراش .
وبدأت عيائى تنعوى ونهضت فرعاً بعد ما سمعت طرقاتاً
على الباب . . وأسرعت إليه ففتحه . وإذا بالرجل قد عاد
مرة أخرى . . وحشيت أن يكون قد أصابه شيء . فنهضت به
في قلق

— أدخل . مالك ؟

ودلف الرجل إلى الداخل . وفعلت لسان في عجلة . وقد
كانت تعدد منه ريح باردة تلسع العظام . وأملته على صوته
مصباح إضاءة . فوجدته قد ارتدى ثيابه الكمامة بدنه
وطربوشه . وحذاءه . ومعطفه الأسود الثقيل . وابت وحبه
جيداً بالكوفية

وصمت الرجل برهة . ثم قال في سموت ملؤه الحلق وسرور
أفد . . لقد سببت شيئاً شديداً هاماً .

ودت على ملاحظته تلك العلامات التي سببها أن صميره
الضامع في حيرة قد عاد ينقل عليه كعادته . وأحسنت بالشفقة
عليه . إن الرجل خير من أمانته مرة . ومع ذلك فإن صميره
غير قانع . إنه يريد أن يكون خيراً مما هو . . ترى ماداً به
هذه المرة ؟

وقلت أسأله في رفق

— ماذا كنت يا أحمد بك ؟

— سبت أمراً هـ'ماً . كان يحب أن أنهي مهـ والكي
أعقد أن امرضة لم تذهب . ما راا هناك بعض الوقت
وصمت برهة ثم عاد يتعمم متردداً :

— هل . . . هل استطيع أن أستعير عرستك . . فلا شك
أها سلسيل إلى المهمة .
وسأله في دهشة

— تريد أن تخرج بالعربة الآن . في هذه الساعة المتأخرة
وفي هذا الجو المكفهر ؟

وكان المطر قد بدأ ينـ فقط . ووصل إلى آذانها صوت
قطرات الماء تعرض راح الباب . ووجدت أن من الخجون
أن أوافق الرجل على ما يصب . فأعطيه العربة ليقودها وحده
في تلك الساعة من المين وفي رلق لطريق . وأما غير وائق
من قدرته على يقوده . إلى لاشك أكون ملقباً به إلى التهلكة .
وبدا إلى الرجل في حالة اضطراب شديد . فقلت له مهدأ ،
وأما أقوده إلى الداخل :

تعال بحس برهة . اشرح لي المسألة

— المسألة لا تحتاج إلى شرح . إلى أريد عرستك
نقصاء حاجة .

— ولكن من الجنون أن أدعك تفقد العريّة الآن
وأنت في مثل هذه الحالة من الاضطراب .

وأطرق الرجل في حزن ، ثم قال بصوت حفيف :
— حسناً . أستطيع أن أجد وسيلة أخرى أو أذهب
حتى سيراً على الأقدام .

— ولكن في هذه ساعة ؟ . كلا . من هذا جنون .

لم لا تنتظر حتى لصاح ؟

ولكن الرجل لم يحب . وظهّرت على وجهه علامات
الإصرار . ومدّ يده إلى مودعا وهم . أن ينحه جوفها
والتي لم أرك يده . فقد وجدت أن من الحق أن أركه
وحده . وعدت أقوله .

— إذا كان لابد لك من العريّة . فأتى أنا معك
لصباتها . أما أن أعطي لك لمودها وحده ، فهذا ما
أفعله قط . ما رأيك ؟

وصمت الرجل رهبة ثم أطرق برأسه قائلاً .

— حسناً . هيا بنا

وأمر عت بارنداء ملاسى وقد تملكى حليط من السطح
والدهش . السطح على الرجل الذي حرم من النوم .
واضطرب إلى الخروح في مثل ذلك القرم والمضرب والدهش

ما يريد أن يجعله في مثل هذه الساعة . ولا بمحتمل التأجيل حتى الصباح .

وبعد خطوات كانت العربة تساق ما فوق الأرض اللامعة انني صعدتها المطار .

وأخذت قطرات المطر تضرب رجاء العربة ، وبدا لي الطريق ، وقد امتدت على جواره المصاسيح الحادة الصو ، الماعسة الطرف من خلال الصفحة امثله التي رسمها أمامي الماسح اندى أحد يروح ويحي . ماسحاً الرجاء مما عبق به من شوائب الميه . وسرد بالعرية بحترون شارع الحبيقة المأمون ثم شارع العسية . كما طلب من الرجل ، حتى وصلنا إلى تقاطع شارع سعيد شارع 'عساية' . ثم طلب مني أن أنحني إلى اليسار . ولكنني سأسه في دهشة

— إلى اليسار ؟

— أجل

ولم يكن لطابق إلى اليسار ليؤدي إلا إلى قلم المرور ، أو ملعب الرمال . أو ، قراقة العبير . . . وم استنطع أن أفهم ماذا يمكن أن يكون عرض الرجل من الذهاب إلى أي من تلك الأماكن في هذه الساعة من الليل .

وانتهجت إلى اليسار كما طلب ، وأنا أحاول عناء أن أستدعي

ماذا ينوي الرجل فعله ، وأحد الرجل يوحى بيمه وبسرة . وأما
أحماق في الطريق حتى وجدت العربى في طريقها بين المقار .
أنا لست بالرجل الجبان .. ولا بالرجل الذى يتوهم
وجود الأشباح والعفاريت . ولا حتى بالذى يحس للثوب
رهبة أو خشية .. بل أى أعتدته نهاية حتمية لكل كائن .
وعلى هذا فليس للمعار فى نفسى أى أثر وهمى .. لأن
لا أعتبرها أكثر من صديق للقيامات .. القيامات البشرية .
أو المحطات الإنسانية .. أو الزم والمصام المختلفة بأديم
الأرض . هى ، ومقلب الزمان ، سواء .

ولكنسى رغم ذلك لم أستطع أن أسمع رجفة سرت فى
بدنى وأما أجد نفسى بين المعار ، وقد أحاطنى طامة حالسكة
إلا من شعاع مصباح العربى الذى يحترق طريقه فى صلالة
حتى يقع فى النهاية على فاتم أحد الصور
وطلب منى الرجل أن أقف . ثم رأيته يفتح باب العربى
ويرد إلى الطريق .

ثم يطلب منى أن أسطره ريتا يعود ..
وحشيت عليه أن يصيبه أدى فقهرت من العربة وسأنته إلى
أين .. ومدا يوى أن يعمل . فقال لى أنه سيعيب على عشر دقائق
أو ربع ساعة على الأكثر . ولكنى لم أتركه أن يحدث أفعه .

ورأيت قد أخرج من جيبه نظارية صغيرة يتدبر طريقه على صوتها
وطللت أنظر وراءه وأحوص في أحوال المقابر ، والريح
تصفر من حولي في شخ كرية كأنه همس الجن أو حديث
شياطين . وانظرة سائدة . لا من ذلك شعاع المحرك
الذي يسلطه الرجل من نظارته على رؤوس المقابر
وأخيراً أتوقف أمام باب حشى ، ودفعه بيده ، فأحدثت
مفاصله الصدنة صليلاً عجباً نعت عشرينية في مدني ودفع
الرجل إلى الداخل ، فحاولت أن أنعمه ، ولكنه توقف في
طريق وسألني مستمعاً

— أرحوك أن تنظري هنا . دعني أدخل وحدي .
ولست أدري ما كان يدعني وقتذاك إلى أن أصرت على
إساع الرجل حنو لهبة . أهو حو في عليه أم حب الاستطلاع
الذي كان قد ألمع عددي وقتذاك أشده . أم هو غلب من
هنا وذاك

وأجبت الرجل بإصرار وعاد :

— لن أدعك وحدك أبداً .

وصحب الرجل رهة ، ثم أطرق برأسه وقال بصوت

خفيض

— إبدأ فلا تصحك علي . أرحوك . سأدخلك بشرط

ألا تسحر مني .. قد يكون فيها ما فعله شيء سعت على
الصحك والسحرية . وسكن تؤكد لك أن هذا واجب أؤديه
وأفسح لي الطريق . وأحد كلاً يسير إلى الداحل حتى
وصلا إلى قبر قد تسفته إحدى مانات انصتار . ورأيت
الرجل قد توقف ورفع كفيه إلى السماء وأحد ينتهم قارئاً
« انه نعمة » ، فقلت له وبما فعل . وما انتهت حتى بدأ يوجه إلى
الحديث في صوت هامس .

- إن من بين صاحب القبر موعداً للقاء . في مثل هذا
اليوم من كل عام . وهو يوم وفاته . وكل ما أرجوه
هو ألا يكون قد فلق من طول الاضطراب أنى قد سعت
الموعد فانصرف إليه صديق « إبراهيم » ، إحدى روح الست
شقيقة . لقد كنا حير أصدقاء . وقد اتفقا على أن يموت
على أنه دام مات أحد . فل الآخر فعلى الساقى على قيد الحياة أن
يروره مرة في كل عام لكي يحمل إليه أحجار الدنيا وما حدث
فيها خلال العام .. ولقد وفيت بوعدى كل السنين السابقة ..
وسكنى كدت أنسى الموعد ليوم . حمداً لله . إن قد
تذكرت . ماذا كان يقول الرجل عني لو لم أحضر ؟

وعصفت الريح فدفعت الباب دفعة قوية وتملكني من
صوت اندفاع الباب خوف مفاجئ .. ورفع الرجل ساقيه

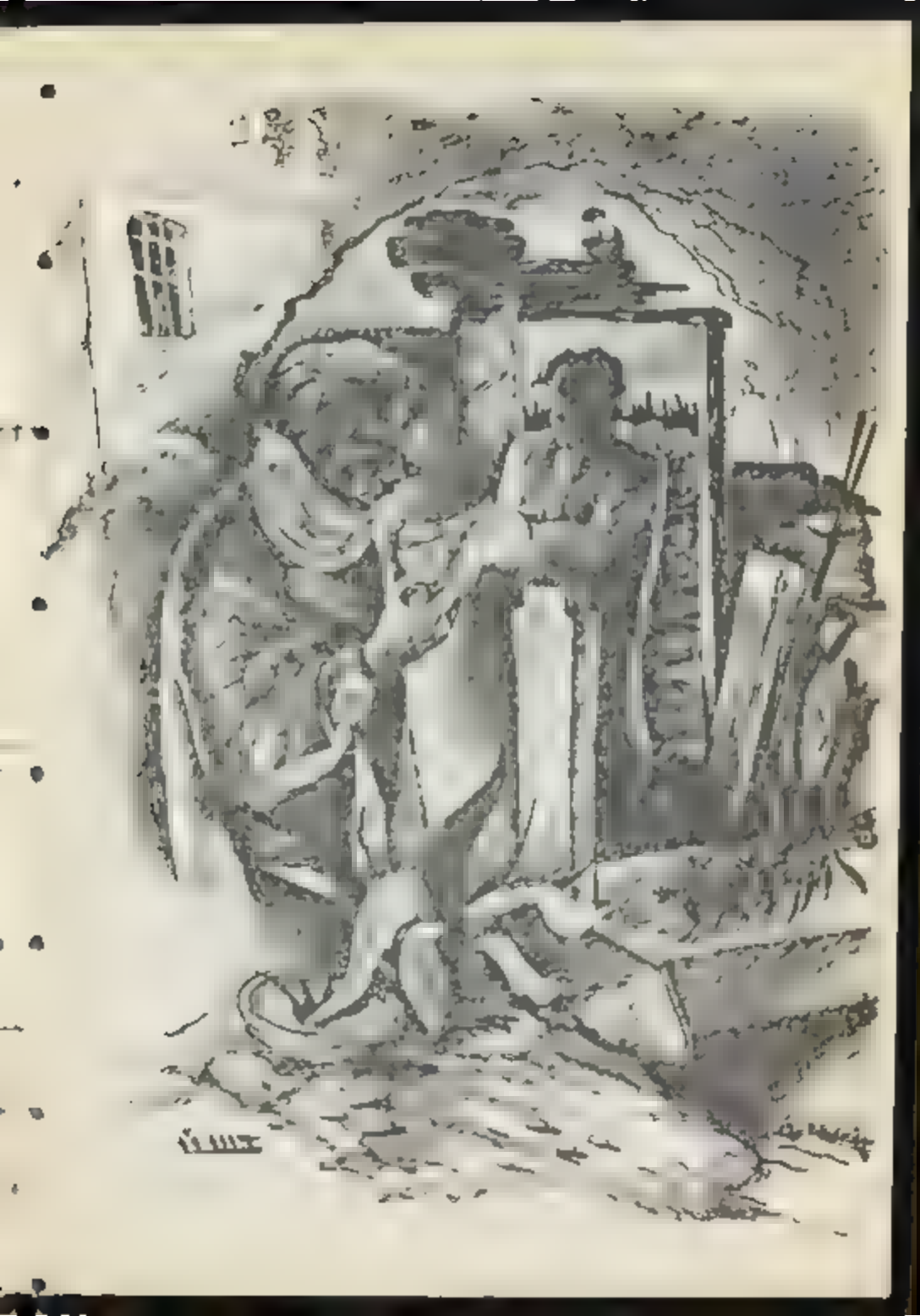
إلى شففيه طاباً هي الصمت ، ثم سمعته يقول بصوت مرتفع :
« السلام عليكم » .

ولم يحبه أحد ولكن الرشح أخذت تعبت بالباب المفتوح
وأحدثت به عدة طرقات بدت كأنها ردة للجنة ، وأخذ الرجل
يتمم حديثه والريح تفرع له من آونة وأخرى قرعات
عادية جداً .. كما تفعل الريح دائماً بكل باب أو قبة مفتوحة
ومع ذلك فقد بدت القرعات وقتذاك كأنها إجابات لحديث
الرجل .. وكانت تبعث في جسدي فشريرة خوف .

وأحد الرجل خاطب صديقه صاحب القبر قائلاً
- إن مني اليوم صديقاً غريباً الدكتور محمود .. رجل
لطيف ذو مروءة .

وقرعه باب كأنما يحمل إجابة لروح - نشرها - أو -
أهلاً ومهلاً - وعاء صحنى واسع حديثه قائلاً
- سأبدأ في قراءة الأحبار .. لقد دونتها كعادتي حتى
لا أنسى منها شيئاً ..

ثم أخرج من جيبه ورقة مطوية ونشرها أمام عيبيه ، ثم
حلج منطوقه ومسحه بطرف منديلته ، وبدأ يقرأ تمسكاً بالورق
بأحدى يديه ، مساعطاً ضوء المنطوق على أسكيات باليد
الأخرى .. قال الرجل :



— الأحبار الداخلية . لاجديد يذكر .. اللد ما رالت
كما هي . الحكومة في واد والشعب في واد . الحكومة في
وادي العر واسلطان والحام والآهة .. واشعب في وادي
لهمر واؤس والمرض والجهن .. الوراثة هي . هي .
يقول المعارضون إنها تموت عدأ . وتقول هي أهب تعيش
أبدأ . دها إلى مجلس الأمن وشكيبا وشكيبا . وتوسنا
إلى الدئاب أن يهدونا من أحبهم الأسد . ولما لم يه شع
مسا عسا . وهشا . وأنه يوشك أن ينهم نصف الأسفل
وينش نصف أحشائهم وعصت الدئاب . لا عى
الأسد هل عليا .. لا ، ما كروب للحمين . حاثون
بالعهد وقاوا لنا حبر لكم أن تعامموا مع أحبا الأسد
ماشره . تعامموا معه وأحشاؤكم من أساه وعصمكم
في شكيبه

عدنا من مجلس الدئاب مهيس مكرين . لم ، لا أدري
وانه هذه مسنة لا رلت أفكر فيها حتى الآن . وقد
أستطيع أن أحدثك عنها في العام القادم . عدنا عود لعراة
لنا نحن رعم ما دلنا من قش وهريمة . وعلقتنا الأعلام
ونصدا لرفف . ولعل ذلك من باب التمايح والعزاء .. إن
أحدا لا يلومنا على الهريمة ولكن اللوم كل اللوم على أن

مخرج وطريقة . وتحول منها أمام أنف انتصاراً
وأعطى الولاية نفسها الحق وقى الأكبر . وم تستقل
وتواستقالت وهذاك لاستطاعت أن تحتفظ . كسنته منى
الدهر . . ولا وصحت للناس أنها كانت حارة في . في بحس
الأمس وأنها أب . تبضعه الأول . ولكها لم بعض
من أعزها "سنتن أو أعزيت . وبدأت غير ما كسنته
شئاً شيئاً . وبدأ للناس أن كل ما فعلته مدهر أو . روعة
في وجن . وبدأت هي تولد . سياسة . هي سياسة
لتجاهل .

لقد كان الأخير يتجاهل . فصحبت شجاعتهم
تري من هناك أي فارق في نتيجة . من هناك فارق
باعتبه البعض . أن رجل هو الدين أو . هذه
الدين .
لقد أعزفت بعد . سياسة "الحديث . تجاهل من
كل ناحية .

ولا يخبر بتجاهلهم ويعنون ما يشاؤون . ونحن
مجاهدته بعض أطراف عما بعض
أما الأحبار أحده . فلا شيء جديد لا جديد
أبدأ . إن الدريج لليد بعيد عنه كـ . بعض من المصاحي

القرص صورة (طلق الأصل) منه بالكربون .
المطامع ومن الصحن ومن التكنس ومن مؤلة
عصاة الأمم في سميت الآن هيته الأمر لا جديد
أبدأ إن الشرع والوا كما هم حتى يحاين كيف يعبر
التاريخ وجههم وهم لا يعرفون ما أعينهم .

وصمت الرحمن ورأيه غوى الورع وبصم في جبهه
وبصمت برهة بعد ما حدث قائلاً

بقي لي معك حدث خاص أود أن أسر إليك ،
لقد ترددت كثيراً فمن أن أقدم على قوله . ولكنني صممت
في النهاية على أن أقوله . فإن لا أستطيع أن أحتمل عما
أحرم من وجه الصمير .

هل تذكر وفاتك . . . طبعاً تذكرها . لقد كانت عفت
مرض صوم . توأيت أنا علاجك منه . ولا شك أن وفاتك
قد بدت طبيعية بكل آماس حتى يك أنت وسكنها
لم تفكر كذلك . إن أحسن نفسي مسئوليتها . أنا لم أقتلك
بالطبع وأنت تعلم ذلك . ولكنني أعبر نفسي مسئولاً عن
موتك . إنني قاتل أمام نفسي فقط . كنت أستطيع أن
أصنع وفاتك . أو على الأقل أؤجلها . . . كنت أستطيع أن
أصنع فترة جبهه أخرى . ولكنني لم أفعل . بل تركت

تموت . كنت أستطيع أن أبذل جهداً أكثر من يدك من
أجلك . ولكني لم أبذل . . . لأنني كنت أريدك أن تموت قبل
هل تدري لم ؟ .

إنيك لاشك تذكر رواجك . لقد كان ذلك الثلاثين
عاماً . . . مدد رمن طوس . . . ولكني مع ذلك لم أسه
فقط . . . فلقد كان صدمة لي . . . لأنني كنت على وشك أن
أخطب . الست شقيقة . . . وفقد أحدها كما لم يجب إنسان
ولسلكك سفتني إنيها فمرت بها ، ووفت أنا بالحبة والحدلان .
تزوجتها أنت . ولا شك أن حبك لها . إن كنت قد أحبتها .
قد نجيا على مر الأيام . . . أما أنا فقد أقي الحرمان على حبي ، فما
انطقت حديثه ولا حابه . ولم أقدم على الزواج . . . من
عشت وحيداً ، لأنني لم أكن أجسر على التفكير في أن
أزوح سواها .

ومرت الأيام والسون ، وقد طوت حبي بين الحنايا . .
وقعت منه صداقة خاصة لانشوبها شائبة فأحدثت بك
ولها ، راصحاً لحكم القدر . راصياً بما وهى إياه . . . حتى
بدأ الهرم يدب في ثلاثتنا ، وما زال حبي كما هو . . . ومرضت
أنت وطال بك المرض . . . وأنا أتولى علاجك والعناية بك .
ولقد سألت نفسي ذات يوم . . . ما الهاية . . . وكيف



المصير . من نصي على
الحرمان مدى العمر ؟
هل قدر لي أن أخرج
من الحياة صفر يدين

وساوري . ذاك حمار بحث في نصي نص
الآمن و نص العراء . لقد قلت له نصي أمك
قد تخرج من الحياة قبلي . فبحلو لي الضرب

وأستطيع أن أمتنع نصي المحرومة . نصع لحظات في نهاية
العمر . . أستطيع أن أدفء القلب المقرور بأشعة الشمس
لعارية الحارة .

وفوى مرصك هذا الأمن في نصي . . وأحب أنتظر
في هدوء وسكينة . أن تفصل وتفرق . . وتغادر الحياة .
ولكن مرصك قد حال . وبدأ العلق يساوري . .
وتملكى خوف من أن يسحر مني القدر فيخرجني من الحياة
فلك . . وأعاد الحياة كما دخلتها ، محروماً محسوراً .

وبدأت أفقد الموقف . فوحدت أنك قد نعمت بها -
أعني بروحك - ثلاثين عاماً . إنك قد أخذت من الحياة
فرداً كافياً وهزت معها نصيب الأسد . وبذلك الآن لم تعد
تتمتع معها شيء . فإن حياتك مع المرص الذي اعتراك .

حياه صيق وتبرم .. وأن حروحك من الحياة خير لك
ولى .. فلا شك أنك لن تأتى على .. وأنت الرجل الكريم -
أن تهى تصع سنوات من حريف الحياة بعد أن تمتعت أنت
بسهة الربيع واردة هاره .

وهكذا أمتعت نفسك . أن كل جهد أبدله لإطالة حياتك
هو جهد ضائع لأن أهلك خطوات من تجدك نفعاً ، ولكنها
تسبب لي حسارة . أحل الله لك أهلك لخطات من حيدى
ومن متعتى .

وبذات أراحى فى علاحت ومن جهدى ولم أعد
أقل على العبايه بك نفس الإخلاص ونفس الرعة
ولست أدري إن كان ذلك أراحى منى قد نحل بهايتك ،
أم أن أهلك هو الذى قد حان .. ولكن لى أدريه هو أنى
قد ذهبت إليك ذات صباح فوجدتك قد عارفت الحياه
وبكيتك كما بكنت روحتك بكيتك عوضاً فقد
أحربى فهدك

ولم تصنع لك الرعة الخفية فى الخلاص منك ، وفى أن
تسقى من الحروح من احياه أن تخفف لوعتى على فراقك ..
فقد كانت صداقتنا صداقة عمر . وكنت أهلك فمارأيت
منك إلا كل خير وكل صديق حسن

ومرت الأيام بعد موتك . وكنت أحسن دائماً .
من تأييد الصمير . . نرداد و طأته كلما أبصرت بزوجتك .
ورأيت حرجها ووجدتها . وبدأت أشعر أن واهي الأول
هو أن أعجب في حبها

ولقد حلاى لطريق بعد دهائك . ولكنى وحدته شديد
لطفة والوحشة ، ولم أر له العروق المدي كنت أعجب

ومع ذلك . ولا أكتفك بقول . أبى لم أستطع أن
أقوم تلك الحفاة التي ذهبت إلى أن سألتها الروح . فأذهبتها
قولى . ولم سمعها . لا أن تردعى رفق وعصف كثرها
أم حور .

من أحسن أها تفيض في صك ، ولقد حاولت أن أعجبها
بشيء . فانه من المسال . . ولكنك أنت . . ولشد ما ينقل عن
ألا أستطيع معارها . وأن أشعر أبى كنت لسبب فيما أصابها

لقد كنت محظوظاً كل الحظاً في إحراحتك من الحفاة
فان أشبههم . من أن أشعر بقى بأية سعادته . وموت أحسن
أن قد أحرم في حلك وفي حبه . وفي حق بقى . وثقلت
عنى وضة الصمير . . ويحين إلى أن هك طريقة واحداً
لإصلاح ما أمدت . بعد مرقت بيبكا . . فليس هك

ما أستطيع التكفير به عما فعلت سوى أن أجمع بينكما
مرة أخرى .

ولقد كان يودى أن أعيدك إليها . ولكن هذا - كما تعلم
أنت حير العلم - أمر يستحيل على عمله . وعلى ذلك فلم يبق
أمامي سوى أمر واحد . . وهو أن أعيدها إليك . . فذلك
شيء أطلب أستطيعه . أحل إلى سائر لها إليك في أقرب فرصة
أقرب مما تتصور . . وسأصدر أنا على مرافها وأجده وليعى الله
على احتمال الحياة . . حتى يخرجني منها إليكم .

• • •

وصمت الرجل . وصمتت الرياح تفرع الباب بشدة .
ورأيت يرفع يده . نتيجة فائلا . لسلام عليكم . .
وانجها إلى الباب . وسرنا في صمت . وقد تمكنتي دهش
شديد . وأحدثت استعبد لنفسى ما قاله الرجل . فهالنى الأمر .
إن الرجل - كما اعترف أمام فقر - رجل قاتل . وهو
على وشك أن يقدم على ارتكاب جريمة أخرى . هي كما
يسمونها إعادة المرأة إلى زوجها الذى أحرجه من الحياة
ولم أشك وقتذاك في أن الرجل محبوس . وأن أول
ما يجب على القيام به هو أن أبعاد من يرأسه - الست شعبة -

التي يوى أن يجرحها من الجبه في أقرب فرصة . وبعد أن
أقضاها أبلغ عنه ليرسلوه إلى مستشفى المخاض .

ووصلنا إلى الطريق وسارت بنا العربة دون أن ينبس
أحدنا بكلمة حتى وصلنا إلى دورنا ، وشد الرجل على يدي
مودعاً وعاد إلى بيته .

وم أذهب إلى دارى بل انطلقت إلى دار است شقيقة ..
لقد كنا حقاً في ساعة متأخرة من الليل . ومن الحق أن
أوقفها في ذلك الوقت . ولكن المسألة كانت مسألة حياة أو
موت . إن الرحمن المحيى قد عزم على أن يلحقها بزوجها ..
في أقرب فرصة .. أقرب مما تتصور

وفرعت ناسها . ولم يحس أحد في نادى الأمر .
ولكنى بعد لحظات أحسست خطوات ثقيلة تقترب من
الباب وتفتحه ، وأطل على وجه الخادم .. وقد بدا عليها دعر
شديد . وسألتى عما فى وعما أريد .

فقلت لها فى عجلة : إني أريد أن أرى سيدتها فى أمر هام ،
فأحاطنى فى دهش إنها نائمة وإنما لا تستطيع إيقاظها . ولكنى
أصررت على أن توقظها . وقلت لها إن المسألة خطيرة جداً
وأعصت الخادم لباب وعادت إلى الداخل . ووقعت
فى الخارج أنتظر الرد فى صبق وقلوب .

وإذا سمعت صياحاً وولولة، ورأيت الخادم يهرول نحو
الباب وتظل على التحير في ما كية أن سيدتها قد ماتت
لقد تركت الجية أسرع كثيراً عما تصور.

• • •

وصمت بحرقى وطأ به أصمت وهو يحمل في الدخان
المتصاعد من مبخارته وبدأ لي كأنه قد انتهى من قصته...
وقطعت عنه سمته مسائلاً:

— ولحق؟ ماذا فعلت؟

لا شيء. وماذا كنت أستطيع أن أفعل؟ وقد
خرج هو الآخر من الحياة من شروق شمس... أحل
ياسيدي أفد مات الرجل في نفس "صح
— أمر عجيب"

عجيب. وغير عجيب. المسألة كلها لا تبدو
أن تكون طبيعية، لا جريمة فيها، إذا حاولنا أن نفحصها
من الناحية المنظمة المعقولة. وهي مسألة عجيبة إذا
ما حاولنا أن نطرح إليها من وجهة النظر الأخرى وجهة نظر
الرجل نفسه.

وإذا حاولنا أن نعرضها من ناحية الأولى وبما نجد أن

الروح الراحل ومات مودة طبيعية يسبحه مرض عادي ،
ولكن صاحباً نظيف ، وهو كما قلت لك ، مصاب بمرض
الصمير أو من النوع الذي نسميه بعيد الصائر ، الذين يحسون
بعدم عني كل ما يعملون قد يحس له أنه قصر في علاج الروح
وأن مصير هذا قد سبب وفاته واستمر صمير دأمل عليه
حتى أصابه نوع من جنون ، هيا له أن نفس المرأة ليست
سما إلى زوجها في أحياء الأخرى

وصادف أن ماتت الروح في تلك الليلة مودة طبيعية .
ثم مات هو في الصباح نازحاً لذلك الجهد الذي بذله ، ونتيجة
مرضه نقص مع والمصر

هذه هي كل المسألة لا نحبها ولا نراها

أما إذا حاول أن نراه من وجهة نظر الآخر ، وقد نجد
فيها مسألة عجيبة جداً فالروح قد قد الروح حواء من أن يموت
هو منه فلا يستطيع أن يتبع المرأة إلى أحياء ولو حتى في
حريف العمر . ثم هم على ما فعل ، وأشبه حزن المرأة
ورفضها روحه . فأنهها زوجها . متحيزاً أن في ذلك
راحة لها وشكها أعما فعله روحه . وراحت عليه وطأه
صمير . ثم تشرق عليه شمس ليوم إلا وقد أخق نفسه
بالساقين .

ويحيل إلى أننا لو أردنا أن نختتم القصة على لسان الرجل
أو لو استطاع أحد أن يوحّد بحوار في تلك اللحظة التي أقدم
فيها على الانتحار . لسمع منه تمة ذلك الحديث الذي ألقى به
على قبر الروح لاجل :

« بعد أرسلتها إليك . إنك لاشك تسعدان الآن ببقاء
تمتع . في أحسن بوحشة الحياة . ومرارة المراق .. وأحاديث
أن أصبر وأبخلد . والكسي لا أستطيع .. لقد قصيب حداثتي
عروما . ولكن حير ما كان يعينى على الحياة هو إحساسى
بوجودها وأن أستطيع أن أراها وقتما أشاء وأحس
بمطلها على . »

أما الآن فناد يعينى على الحزن . ماذا يعربى على الهاء
وبها .. لا . إلى لا أحتمل الوحدة . في فاته إليك . »

ادبیات و فن



تغییر و تحول
و در هر یک از این
تغییرات، ادعای
و ادعای

الروائع من حولها ، وراد عصف الريح ورثير
استمرت الألوان . وأحست كنهاتها في فراع شديد
الحلاكة ، معتم الدياحر . وتلفت حولها في فرع
تلمس ملأاً نوده ، أو معاً فسقر فيه . فلم تجد سوى
الفراع وظلة . وأحرأ رسا لغرب على شاصه . محدثاً
فرقة شديدة . سرت منها فشرير في ندها . وحسب بها أن
لشطيء اصحري قد حفر الدارب ومرفه إرباً .

وعد رفة وحسب ندها وحيد على الشاطيء وقد حسم
من حولها نضام . . ساد انكون إلا من هممة الريح وهدهد
الموج . وتلفت حولها فوجدت على صوه انده احسب
شجراً يقترب منها ما عمت أن ميرت فيه توأم ندها وحسب
روحها . مدت عما صرخة حافته وعدت إليه لترعى بين
أحسانه . .

وسمها صاحبها في صدره في رفق وحسب . وهمس في
أدم بصوت يهبط رفة ووطأ .

ما كنت أحسب . باحيتي . إنما سلتني مرة أخرى
لقد كنت أحس بمرط الوحشة وكنت أسير كصالح في بيده
مفكرة مجدية . لا ماء فيها ولا رواء . كنت أتهب «سمك

في كل خطوه أخطوها .. ما دعوت الله بأحر مما دعوته لكي
يعيدك إلى سبلى الرمال كم مستها جهتي مسجوداً لله من
أحلك . سبلى الرخ ، والصحور ، والمياه . إن كانت تعي شيئاً
غير اسمك وصلاتي من أحلك

— صلاتك من أحلى . وصلاتي من أحلك . أحلى
يا حبي . أه أيضاً ما فعلت شيئاً سوى الصلاة لكي أعود
إليك . إن الله . يا حبي . رحيم لا ينسى عباده المحن المخلصين
الأوفياء البررة . كم جاهدت وكما كاثت . . لكي أصل إلى
الشاطئ . كانت المرقعة مصدبة ولعمد مريراً . كنت
أريدك . أريد مصائبك الحنون . وصدرك الداني . كنت
أريد صمتة دراعيك . ومسه شفيعك . وكنت أومن بك .
وبقوة انصه التي تشد أحداً إلى الآخر . ولم أدع اليأس
يتطرق إلى قلبي لحظة واحدة . . وقلت نفسي إن عانده إيلك
حتماً . . وحملت إلى الرخ هتلك ودعائك . فشدد من أرى
وقوى من عريني . حتى استطعت في النهاية أن أصل إليك
وأرني بين دراعيك .

وصحها إليه بشدة كأنما يحثي أن تغت من مرة أخرى
ومضت لحظة لم تعد يسمع فيها إلا أنفاس تتردد في
سكون الليل .



وأطل القمر من كد السماء ، فبدد السحب الداكنة وغمر
المكان بأشعته لمضية ، فدا ساحراً حلاباً .. وهدأت الريح
إلا من سمات رطبة رقيقة تمس وجههما يرفق وحنان .

وتلقت حولها ، مأحودة بسحر الليل الساحى والقمر
المضى ، وهنمت به :

— هذا الشاطئ لعجيب ! ما طينته قط تنك الروعة وذلك
البحر ليحبس لى إن كل مدبح فيه لا يمدو أن يكون حذاً
وأسرع هو . فالصق شفتيه بشفتيها وقلها فى صوت
مسموع ، وأجاب ضاحكاً :

— أما زلت تصرين على أنه حلم ! !

— إنى ..

ولسكنها لم تتم حديثها فقد قطعه صوت يصبح بهما
فى حدة :

— هاى . أنت .. هناك ! !

وتدفقا فى دهشة إلى مصدر الصوت ، فأنصرا شحاً صئيل
الحجم ، على قمة رحدى الرى المطلة على الشاطئ . وعاد الصوت
يصيح متسائلاً :

— هل أصرتما ر حلاً يحمل على ظهره كيباً صمى ؟
وأحاطته بالبحر . فأخذ يهبط تجاههما فى خطوات سريعة

حتى وصل إليهما . وبدا لهما من قرب ، حاد - قاطيع ، متوتر
الأعصاب . يصع على عينيه منظار آ مذهب الإطار . وعاد
الرجل يسأل في نفس اللهجة الحادة العاضة :

— أى مكان هذا ؟

وأحياه صاحبها في لحظة هادئة

— جربة القدر

— جربة القدر؟ كفى عثاً لقد كنت في صربى بل

للك . . لعن الله هذا الصاب المرءكم لقد أصلى
الطريق . ولكن أن ذهب هذا الأحمق ، سكتيس .
لعنة الله عليه .

نم جفف من حسنه . وعاد يقول باللهجة ملؤها التوسس :

— أرحوكما إذا ما رأيتما أن تسعاه أى أبحث عنه

وأن ينظرني ها بجوار لشاطيء

وسار الرجل في خطوات مساضة حتى وراء الزبوة

اننى صهر مها

وأمسك صاحبها بيدها وضغط عليها برفق وهمس قائلاً

— والآن يا حبيبى يجب أن نعود

— عود . وسكسأم بفعل بعد . ما أتيت من أحله

— لقد أخطأنا المكان لن نصيح أن نعقد قراناً

ها وبني لا أنصر سوى فمر في فمر ، ولا أطن أن هناك
مخلوقاً واحداً يعيش هنا

— أخطأنا المكان ١١٤ كيف ؟ . إنى أسمع صوت
موسيقى . أنصت معي .. إنها لا شك موسيقى عرسا .

— لا .. لا أطن .. إنها خدعة من تمويه الرياح .
أو هدير الأمواج

وتأنط بدراعه ويدآ سيرهما على الشاطئ .. وفات وهي
تحملي فيما حولها

— ههه الصبا انكشفت قد كان يصلي عث كما أصل
لرحل عن صاحبه لا أدري كيف استطعت الحضور .
ولا كيف استطعت أن أت . اعد كان غافنا معجزة . وكان
من المتعجب أن يقل أحداً بمأى عن الآخر .. وصيغ
العمر سدى

وحياة أمسكت بدراعه وشدت عليه في فرع
وهضمت فائلة

— إنى أرى شجراً آخر . يقترب منا . إنه امرأه !
واضعت الحب مرة أخرى فمكشفت صوته الفجر عن
امرأه تقترب في هدوء وقد بدت عليها سيماء الأناقة ، وكنت
ملاحظتها احملة أبلغ زيات الحزن ، وسألتهما في صمت مكثت

— ألم تبصرا روجي ؟

وتملكتها الشفقة بالسيدة الحرة فجاءتها طمئة إياها .

أجل .. أجل .. إني أنصرتك يحنى وراء تلك

الربوة .. لقد سألتنا عن رجل يحمل كيساً ..

وهزت المرأة رأسها في أسف وقات

— لا .. ليس هو .. لقد رأيت ذلك لدى نصيبه .

لأنه ليس روجي . إن مخلوقة شبيهة تسمى .. إني لن أستطيع

العثور عليه .

وغادرتما السيدة في صمتها الحزين . مطأطئة الرأس .

حنينة الهامة ، كأنها تحمل عبثاً بثقل كاهلها وينقض ظهرها .

وعاب شبح المرأة في الظلمة . وأحست هي بالحزن

يسرى في حوائجها .. وسألت صاحبها :

— ترى أير ذهب روجها ؟ لقد كان من المحتمل أن

أفقدك كما فقدت روجها ، أما كان يجب علينا أن ساعدها في

البحث عنه .. يجب ألا نتركها هكذا . إنها امرأة نعمة .

— ولكن كيف ؟ كيف نبحث عنه .. ونحن لا نعرف

حتى من يكون ؟

— يجب أن نعاونها بأي طريقة .

وأحست وهي تتحدث بشيء يشبه العثيان ، وكأن هناك

ما يحد بها إلى الأرض ، وأمسكت يذراعه تتحمل عبءه ، ثم
أسست رأسها على صدره ، وعادت تحدث بصعوبة :

— إن المكان حين .. رائع — لم تريد أن تعود ..
لم لا تمسكت هنا . إن متعة . وأحس بأطرافي يجمد
وتتأقل .. إنى أخاف الإغماء .

وأحست به يضغطها إلى صدره .. وسمعت صوته يردد
في أذنها :

— لا بد أن نعودى يا حبيبتي ، يجب أن تتألمكى ، تعالى
معى الآن .. حاولى .

— إنى بحير .. ليس فى شئ .
ولكنها مع ذلك أحست نفسها تنهاوى إلى الرمال ..
وعاد هو يهتف بها :

— انتهى يا حبيبتي
وحاول أن يرفعها بين يديه .. ولكنها قاومتها قائلة :
— لا أستطيع . ثم إنه ليس هناك داع لهذه المعجزة .
وحس بجوارها وأمسك وحمها يتحسس يدها وأردت
هى قائلة :

— إن الرمال والموج تمشى فى داكرتى أول لقاء . هل
تذكره .. فى لصيف الماصى على شاطئ البحر . وقد أخذنا
نسبح معاً تجاه الصخرة .



- أجل . أجل . إلى أذكره ولكن لا بدلسا
من العودة

- إلى منعة . لا أستطيع .

وأحب غاة

بدمعه الساخ

يمس صفحة وجهها

قطرت إليه في

دهش . وسمعت

بأن تسأله عما يكره

ولكنها لمحت شبح

المرأة الشفراء

الحريصة يمر من

بعيد . وأحست

برغبة شديدة في

اللقاء بها كأن



هناك شيئاً حياً يدفعها إليها وأحست تتحامل على نفسها

محاولة النهوض قائلة لصاحبها

- لا بد أن أساعدها . . إنها مريضة . إنها لا تعرف

إلى أين هي داهية . . أجل . دعني ألحق بها .

ثم أحدث تعدو تجاه المرأة، وهو يناديها، حتى وصلت
إليها وهي تسمع بداهه يتردد بين الرني مليئاً بالألم والحزن.

ومست ذراع المرأة، وقالت لها في حنان ورفق:

— لقد عدوت وراك، إنك لا تبدين بخير.. يجب أن
تستريحى حتى أبحث لك عن روجك.

— ما دمت أما لم أستطع العثور عليه بعد أن بحثت
طويلاً فلن أستطيع أنت!

— ولكنه لا بد أن يكون هنا ما دمت قد أنهيت معه.

— إنى لم آت معه.

ولكنها الدهش ولم تعرف ماذا تستطيع أن تفعل
لبرأة.. وأحست بمحاذنها إلى معونة صاحبها ونهضت حولها
فأدانه على مقربة منها، ولكنها لم تستطع أن تتميره بوضوح
وعادت تقول لبرأة:

— إذن فقد لا يكون هنا لم لا تعودين معنا. إنى
أحشى تناؤل السحب والصاب مرة أخرى. فلا تعودين
تصبرين طريقك!

— وما فائدة العودة. إذا لم أستطع العثور عليه؟

— أرجوك أنت مريضة، يجب أن تعودى معنا.

- لا . لا .. إنك لا تعرفين جلية الأمر . كم وددت
لو أكون مثلك .

- مثلي أماء! إني لا نئي . أنا لا أملك من حطام
الديار .. إلا هو . وحيه .

وذلك هو ما أحدثك عليه . هل هناك في حياتنا
أمن من الحب . إني لم أحس ما يعنيه روعي بالنسبة إلى
حتى حدث ما حدث . لقد كنت الليلة أوشك أن أفر مع
رجل آخر . وأقد فقدته في ذلك انصب المحيم ، وأحسست
بفرط الوحدة والوحشة ، والخييل إلى روعي المحبوب .
ولم أكني لا أستطيع أن أجده

وأصابعها بحجب زائد من قول المرأة

إذن فمرا هو سر المرأة الحريية لعنة . مسكية . لقد
أصعبها شيطان وأصعبت روحها . وفكرت برهة ثم ووجهت
الحديث إليها قائلة

- يا سيدتي إني أرى لك ، يجب أن أعودي معاً سريعاً
فقد تهيئ لك العوده فرصة استرجاع روحك ؟

- لا فائدة . مادام لم يعد إلى . فلا أظن قد أصبحت
أعني شيئاً لديه .. لقد تبدد حيي من قلبه .. إني أستحق كل

ما حدث .. لقد كنت أنانية حقاً .. ما حاولت قط أن
أحتفظ بوجه لى .

وأحسنت المرأة وجهها فى راحتيها الرقبتين . واستغرقت
فى البكاء .. وأحدثت هى تهديء من روعها قائلة فى رقة
واسعطاف :

— لا تنكى إله سيعود إليك .. ما دمت نحيبه ..
وتؤمنين نحيه .

وأحسنت برغبة حارفة فى أن تعرس فى نفسها بدور
الإخلاص وتمت الوفاء . وأدركت أن ذلك هو لدافع الخفى
الذى دفعها إلى أن تنسج امرأة بعينه . ولكنها أحسنت .
وهى تمسك بذراعها وتحاول أن تحدثك لتشجيع التى تعينها
بها . أن ذلك الإحساس بالغيب قد عاوده وبدأ لها . وهى
تلهف على معرفة المراه . كأن هناك تياراً حقيقياً يوشك أن
يجرفهما معاً فيرعهما عن صاحبها .

واستطاعت أن تتمالك وتوجه الحديث للمرأة قائلة .
— قولى له إنك تخيئه .. قولها من فلك . حتى نص
إلى فيه .. وأجرم لك أنه سيمعك ويعود إليك .

وساد لصمت .. وأحسنت كأن التيار قد حرم فعلاً ولم
تعد تستطيع السيطرة على حواسها . وتمسكتها رجفة سرت

من ثمة رأسها إلى أحصى قدمها وأحس أنها تنهاوى لا إلى
الأرض ، بل إلى أعماق بعيدة العور لا قرار لها ، وحيل
لها كأنها تسمع طرفات تدوى من بعيد ، وأخيراً استطاعت
أن تميز صوت صاحبها يناديها في حضوت .

وأجابت بصوت مخجول مخجرح

— يا ثنية .. يا ثنية

ثم ساد سكون عميق ولم يعد يشعر بما حولها لقد
وفدته تماماً كما فقدت المرأة روحها

، ، ،

وعند ما أفاق وحدث رأسها تستند على صدره ووجدته
يتحسس جدها بحنان ثم تفتت حولها فليحت وجه امرأة
عجوز تنسم لها في رفق ونقول :

— أنت الآن أحسن ، فبيل من الجهد .. وستطيع أن
تعود لك إلى شاطئ النجاة .

واحتضت العجوز ، وسارت هي متكئة على ذراعه حتى
وصلا إلى قارب يرسو على لشاطئ .. وكان أول ما لفت
نظرها ذلك الراس العجوز ، ذا المنظار المذهب ، وقد وقف
فوق الربوة ينحس على ظهره كبساً صعباً يثقل كاهله ، ويكاد
يسوء تحت حملة .



ولوحت له يدها .
 مشيرة له أن يهبط يهود
 معهما في القمار
 وصاحت به .
 - أين صاحبك
 الذي كان يحمل الكيس ؟
 - لم أحده .
 ومكى وجذت
 الكيس .

- ألا تريد أن ترحل معنا ؟
 - لا بد أن أصطحب الكيس معي
 - ولكنك لا تستطيع أحده . إنه قد مرق اقارب
 ويمرقا معه .
 - لا أستطيع الرحيل بدونه إنه حياتي إنه أموال
 التي أنفقت في جمعها عمري .
 وكان قد وصل إليهم في تلك اللحظة . وقد تساقط
 عرقه وتلاحقت أنفاسه تحت وطأة الكيس . . ونظرت
 هي إليه باسمة ، وقالت في صوتها الحام :
 - جيتك أوصل من الكيس . إن على الأرض من

احمال والحب ما يعوصك عن كل ما فيه .. إنه ينقص طهرتك
ويشقي حياتك .. تعال معا .. والقي به في اليم . أو نبثره على
الري . إليك لن تستطيع أب نتاع به شروق شمس .
أو حب قلب .

ولم يتردد الرحمن لحظة واحدة .. من سار إلى اليم بحطى
ثابتة ، ولقي فيه بالكيس . وقرر إلى الغارب في حمة الشباب
وهو يقول لها :

- شكراً .. لقد أنحت لي ورصة الحياة .. كنت
في صباى أعث في مكان جميل كهذه الحرية . كنت أحب
الطبيعة ، وأحب لشعر .. ولكنني غادرت في يوم ولم أعد
إيها .. لقد شعنتني عنها الحياة وجمع المال . حسن وعشرون
عاماً وأنا أشبه بحمار في ساقية أدور فيها معصوب العينين ،
لا أنصر مما حولي شيئاً .

لقد أزلت العشاة عن عيني . إن الآن أستطيع أن أرى
الكثير مما لم أبصره من قبل . أرى احمال والحب والحياة
وصمت الرجل . وحقاً لاح شبح يقبل من فوق الرتبة
واستطاعت أن تقبر فيه المرأة الشقراء وهي تتحرك كالثائمة
الصالة .. فهنت بها من أعماق قلبها . وسمعت المرأة النداء ،

وأحدث تقرب من القارب وبدأ رويداً رويداً حتى وقعت بحواره
شاردة الدهر . فصاحت بها :

— هيا . أقسم لك أنك مستحيه . ما دمت تحببه
إن لعشور عليه لا يحتاج . لا الحب وإيمان
وقعرت المرأة إلى القارب

° ° °

وسار القارب في هدوء . وأسدت رأسها إلى صدره .
ولاحت أمامها مارقة مصبئة في وسط حصة بدت في
أول الأمر كأنها فار في وسط البحر . ثم أحدث تحديق
فيها وبدأ بها مصباح كهربائي . وتلذذت حوها وبدأ بها ترقد
على فراش في حجرة وقد أمسك صاحبها يدها فحنواها بين
كفيه وسأته في دهشة

— أين القارب الذي كما به ؟

وأجابها في أسمة رقيقة :

لقد رسا بنا على شاطئ السجاء .

وحاولت أن تنقلب على جانبها فأحسست بوحر في طورها
جعلها تتأوه

ثم أصررت بمصرعة فدانشت بلباسها الأبيض ثقل
عليها فتضع يدها على رأسها ونقول لها :

— أرحوك .. لا تتحركى .. إن الصدمة لا شك تؤلم
ظهرك .. ولكن الخي قد زالت والحمد لله .

وهزت رأسها ونطرت إليه متسائلة في دهش :
أية صدمة ؟ إن لا أذكر شيئاً مما حدث .

— ألا تذكرين أن الليلة موعد رواجنا ؟ لقد كنا نتره
في عربتي في الحرية قبل أن نذهب إلى البيت حيث أعدوا
العدة لعقد قرانا ، ولمكن العربية تصادمت مع عربية أخرى
في محط الطريق بحوار النادى الأهلى .. الحمد لله لقد
زال الخطر .

— وامكنى أذكر أنا كما في قارب .

— لا شك إنه كان حلياً

— وامكنك كنت معي دائماً في كل لحظة من لحظات الحلم .
أحماً كنت معك ؟ لقد جاهدت لكى أكون معك
فعلاً حتى أعيدك إلى .

— إنى لا أستطيع أن أتصور الحياة بدونك إليك حياتى .
وتسللت الممرضة إلى الخارج ووقفت تتحدث مع ممرضة
أخرى خرجت من الحجرة المجاورة . فسالها الأخيرة :
— كيف حال مريضتك ؟

لقد نحت . . إن الفصل له . . فهو لم يتركها لحظة
واحدة . يبدو لي إنه هو الذى استطاع بمرط إيمانه وإخلاصه
أن يعيد إليها الحياة . وأنت كيف حال مريضك ؟
- لقد مصت عليها بصع ساعات وهي مستغرقة في
هذيانها . . لا تكلم عن مناداة زوجها حتى حصر أحداً
وقد تحسنت بعد ذلك كثيراً

- أحفأ أهما كانت في العرة الأخرى مع الرحمن
الديوبير ؟

من يدري ؟ قد تكون أصدت هي ومائة في طريق .
إن بعض الطن إثم . وليس هناك من شاهد الحادث حتى
يستطيع أن يحرم ابن كانت
- والرجل كيف حاله ؟

- كالجل الأرق إن إصابته حميفة وهو يصحك
في مرح ويتحدث عن الحب والخمر . وقد ذهب المسشى
نضعة آلاف من الحبيبات . . ويقول إن الفشاوة قد أزيلت
عن عيبه . وإيه يستطيع أن يرى الكثير مما لم يبصره
من قبل .



دور دور

حاجت به حساب آن یک جود
 و نمود به حد که ... با بعد
 دهر دور با غریب خنده

التاسعة مساء . وقد صعدت العربات المحملة

الساعة صمًا طويلًا أمام قصر المرحوم علي باشا

عبد الرحيم الكائن لصاحبة الزيتون . . .

كانت ليلة حافلة . والفصل الكبير قد أحد برحر بما

فيه . . وبدأ كأنه قد نعث من العدم . وأبهرت أرجوه بعد

طول طلبة . . فقد رعت الأم المحور في أن نخني له . . .

خطبة ابنها . يحبي ، التي اختارته له ، والتي كانت تمصها على

غيرها من الغنيات . لكأن عبقها ، ورقة حنقا

وكان البيت أحد تلك الفصور الشاحنة العتيقة الواسعة

الأرجاء ، الكثيرة السرايب ، المسيحة الحشرات ، التي يحوى

كل ركن فيها آية من آيات العس ، ومثلا من أمثلة العبي واثراء .

وكان صوت الموسيقى يصل حافنا إلى إذن الفتى الذي

اصطحب في عرلة عن الجمع فوق أحد المقاعد الطويلة وقد بدأ

يختفي الكأس الثاني من الشيرى ، وأحد حباله يسمح لعبدا

في طلبات الماضي وآمال المستقبل

وأخذ يتمطى في كل . . عندما همت عليه رائحة عطر

معادة ، من ذلك النوع الذي يحترق الآف ، ثم يسرى منه إلى

بقية الجسد . فإذا بالإسنان قد أصابته نشوة وعرته هرة .

وتلفت حوله ليرى صاحبة العطر لأنه لم يشك في أنها
أشي . لأن العطر يكاد يطق ليمصر عن نوع صاحبه . نعم
كان يكاد يصيح افسحوا الطريق .. لامرأة رقيقة كسيم
الليل . حيلة كأوهام الشاعر ، وأحلام العار .
ولكنه . لدعته . لم ير ما يتبع الرائحة . لقد بعد
لعطر إلى نفسه .. ولمكن صاحبة العطر لم يكن لها
وجود بعد .

ونخص من مقعده . ونوجه إلى أقصى العروة المسيحة
كأنها ملعب كرة . فإذا غثاء قد توكتأت بدراعها على مكتبته
الذي رصت فوقه بعض الكتب وأحدث تقرأ في أحدها .
أحد القتي بمصر العاة . فقد كانت عربية عن البيت
عربية عن تلك الجماعة التي اكتظت بهم الخجرات . وتعجب
العتي . فهو لم يرها في حلال يومه إلا الآن بل لم يرها في
حياته قط إلا هذه اللحظة .

وعما راد في دهشته أن الغناء على رشاقتها وحاطها ، وصغر
سناها ، كانت ترتدى من الملابس ما لم يره القتي من قبل إلا في تلك
الصور الريفية التي تملأ حدرا البيت ، والتي تمثل آباءه
وأجداده من قرون مضت .

وانتمت لفئة . وقد ظهرت على وجهها سماء الهدوء .



والسكية ، ولم تكن تبدو عندها أى علامة للدهشة كما بدا على
صاحبها . وكان مطهرها مطهر من تتجول في عقر دارها
وكأنها رأت لفتى قبل ذلك مئات المرات

وحيل للفتى — أها إحدى صديقات صيوه . وأن يعقلها
بعض الشدود . وسكه ما كاد يحقق في جسمها حتى صغى .
لقد كانت الغناة شفافة .

لقد كان يرى كل شيء حلما بوضوح . . كأن جسمها
قد صنع من الزجاج . وقد رأى خلال جسمها المكتب التي
رصد على المكتب ، ورأى المكتب نفسه وقد بدت تفاصيله
واضحة حلية .

وسقط من يده الكأس ، وصدرت منه صرخة خافتة
لقد سمع قبل ذلك ، شاعرت من أشاح نجوس خلال الدار
ولكنه لم يصدقها قط . وسخر منها أشد السخرية . وحتى
لو كان قد تحيل أجاباً أن هناك أشاحاً ، فإنه قد نجح أنها
نجوس خلال الألفية الرطبة المظلمة ، والسراديب الصيقة في
أسفل المزل التي ملأها العفونة . أما أن تظهر هذه الأشاح
في حجرة المطالعة . وليت قد عصّ بالروار . والموسيقى
ترسل أنعامها في أرحائه . فذلك ما لم يحظر له قط على نال .
وفوق ذلك لم يكن صاحباً بتجيل هذه الأشاح

والعقارب إلا في صور شعة لسعا كي الدماء الغلاط الأكاد ،
لقياة القلوب . أما أن تظهر تلك الأشباح في صورة فتاة ،
فتاة فتاة في عيها سحر ، وفي شفتها حر . فذلك هو ما لم
يتصوره من قـل .

وكأنا سر الغناء أرساك العتي قـرنت بصحكة كوسيق
عدة حلوة . . وأفاق العتي لعمه . واسرد شجاعته ، وساءه
أن يكون موضع سحرية من لغاة حتى ولو كانت شبحاً
أو عهرينا . ووجد أن الغناء عزلاء ، كما تترامى له ، لن تملك له
صراً ، حتى ولو كانت حبة فهو حدير تسحقها بين أصابعه
كفتات العيش ، لو حاولت أن تناله بأدى .

وأمكن للعني بعد أن طامأن نفسه وتمالك أعصابه . . أن
يرد على صحبة الغناء ، بصحبة ملوفا السحرية سائلا إياها
— من تكون الزائرة الكريمة ؟ . وما سبب تشرعها
بهذه الزيارة .

— تفقد الريارات ؟ . فما كانت هذه أول زيارة ولن
تكون آخرها .

— سيان عندي ، كانت زيارة أم ريارات . إنا بهمي
هو أن أعرف من تكونين : ومدا تسعين ؟
— أما سؤالك عنى أكون ، فهو انهم صريح له كاتك

وفطنتك . وتأكيد الصعف داكرتك . لأمك لاشك قدر أيتي
مرا - آ في عدة صور من تلك الصور المعلقة في صالة الاستقبال .
فقد ظهرت في بعضها وحيدة . وفي البعض الآخر مع بقية
العائلة وعلى أية حال يمكنك أن تعتبر أفساء أولاد عم .
أما سؤالك عما أريد : فذلك سؤال في موضعه . والواقع أي
حسنت لأحدرك

وسأل أيتي في دهشة

- تحذيري؟ أنا . ومن تحذيري؟

- من الفساء التي ستزوجها . في أود أن أصحك
الآن وأزوجها . وأصر على تصيحتي .

- ولمكن ما لبس والحب بين متبادل والعانة حميلة
الحق والخلق . ولا عيب لها . إلا إذا كنت تؤدين الواقعة
بيننا . وتنوين افتراء الأكاذيب واختلاق الأراجيف وعلى
أية حال قولي فيها ماشئت . فس بصيرها ذلك شيئاً . لأنني أحبها
وسأزوجها بالرغم من كل شيء .

نضحك الفساء صيحة باعثة ثم أجابت

- لا أكاذيب هناك . ولا أراجيف لانكر أمها .
إن أحذرك من ارواح الفساء . لا شيء إلا لأمك لاتحبها .
ولم يتألك نفسه من الفقهفة في سحرية

هذه لفظة لصغيرة . بل هذا الشبح الزجاجي العتيق .
تدع عن دحائل قلبه كأنها تعرفه أكثر مما يعرفه . هذه
الفتاة تدعى أنها تعرف إذا كان يحب أو لا يحب أكثر مما
يعرف هو عن نفسه .

- حررتك يا بنية أن نسكني بيتك مشقة التدخين في
شئون الغير . . وأن تصيبي وقتك في شيء أفضل من لتدويني عما
إذا ما كنت أحب أو لا أحب .

وطارت الفتاة إليه بطرة شملته من أحسن قدميه إلى
أمام رأسه . وقالت بلهجة من يصح طعنا عريضا بالكيف عن
لغة صارة .

- هذه الفتاة الباردة النافذة . . ماذا يحبك فيها ؟ هذه
الفتاة الشديدة بالتفاني الجبب التي يصنعها مثال مبتدىء .

وبدأ العنكب يلوح على وجهه "هتي" . يحاول تهدئة نفسه
بشعال سيجارة . وحاول أن يطهر نفثاته قلة أكثراته
بأحاديثها

- من تسمحين لي بالتدخين ؟

- لا شك في أنني أسمح . . فإني أحب التدخين .

وصمتت برهة ثم أزدعت :

- كم كنت أتمنى أن يكون التدخين مباح للمسيكين

في عصرا ، كما هو ماح في عصركم .. إني ما رلت أذكر كيف
حرمت من الطعام يوماً ما كله عقاباً لي على محاولتي التدخين
وأما في الثامنة من عمري .. ونسكتا حرجاً عن حديثنا
الأصلي .. لعنك مقنع الآن بأن الخطأ كل الخطأ في رواحك
نبتك العنة الخوفاء ، الخالبة من كل شعور ، لعاطلة من كل
إحساس .. إني لأبحيل صاحبك وقد تسلفت بها إلى ركن
الحديقة ساكن ، إلا من أبيض الهوى الصادرة من الأوراق
الرفيفة المحصراء بحركها لتسيم الهادي ، فكأن كل مها قب
صَبَّ مَدْلَه وصو القمر قد تحرر من وراء العيم .

وأنت قد ملأ الهوى قلبك وترجحت من لعشيق أعطائك
وبدأت تصارحها لعرام ، وهي .. هي .. آه مها .

ووجدتني معه قد حذب إلى حديث العساء ، وشعر
كأنه همل في ذلك الموقف لشاعري احين . وإذا به يسألها
دون قصد

— هي ..؟ ما لها ؟ .

— هي أمامك كقطعة من اللحم البارد الذي تسمونه
« النوبيع » لا يحرك قلبها ساكناً ، بل أعلب طلي أنها
لا تخم في صدرها قللاً التة ، وقد نطلعت إليك بوجهها
اللاشعوري ، فإذا بمصورك الشم قد اهارت من عيناها

وإذا بالوقوف قد فقد سحره ، وإذا بك نهط من السماء الرقاع
الحينة لتصدم بالأرض الصحيرية السوداء ، فتحطم أمانيك ،
وتذهب أحلامك أذراع الرياح .

وشعر الفتي كأنما قد سقط فعلا . . وأحقه أن الفناء
تتلاعب به مثل هذا التلاعب فصاح بها عاصفاً :

- لقد أصمت وفتى في الاستماع إلى ترهاتك فأرجو
أن تسكني عن ريارتي بعد الآن . فصيحك لن تجد معي دعماً
وأفضل لك أن تسكني نفسك مؤونة تحديري .

وهزت الفتاة رأسها آسفة وقالت :

- أنت وشأنك ، ولكن فتي أبي أن أتركك تزدري
في هاوية رواح بلا حب . أنت أله . . لأبك لم تدق صمم
الحب . . هذا الذي تدعيه حياً . لا يمت للحب نصبة .
واحتفمت من أمامه فجأة كما طهرت . تاركة له عذق
أريجها يملأ خياشيمه .

وعاد الفتي العرفة إلى حيث القوم قد جلسوا للسامرة
والرقص . وفي العشاء جلس الفتي في مكانه ساهماً واحماً .
ورأه ملئاً بالتفكير في هذا الشبح الرقيق الجميل وفيما قالت
له الفتاة من صبح وتحدير . . وشعر أنه في حاجة إلى أن
يفضي إلى امرئ ما بدخية قلسه ويقص عليه اعصاة

من أوطأ إلى آخرها ، ولكنه حتى أن يسحر منه القوم
ويطونونه قد ثمل . . وطل يستعرض في محبته الأشخاص الذين
يثق بهم ، فلم يجد هناك من يقص إليه بالأمور خيراً من أمه .
وانتهى العشاء . . وصاحبا ما زال في وجوهه وقلقه ،
وأحدثت ذكر ما قالته له الفتاة حرفاً حرفاً . . وبعد ما تذكر
تسليمها خطبته ، بالتوبيخ ، لم يتناك منه من الضحك .
ونظرت إليه خطبته في دهشة وقالت .

— هذه أول صحبة تصحبها الليلة . فعمل ما طوف
برأسك بقيك على مرحك بقية الليلة . فلا تعود إلى
وجوهك السابق .

وخافة نهض القتي وتوجه إلى الفتاة وحدها من دراعها ،
وقال للجميع :

عن إيديكم سأسر لها حديثاً يجمعها بعض الشيء . .
ودهشت الفتاة ، كما دهش القوم ، ولكن القتي لم يأبه
لهم . . بل اندفع إلى الحديقة كمن اتوى أمراً جليلاً .
وفي ذلك تشاءت فيه الأعصاب . . ركن أشبه بذلك
الركن الذي وضعه الشبح في حديثه . . وقف الاثنان وقد
عمرهما ضوء القمر وتشيع جو المكان بالسحر والفتنة . .

ونظر الفتى في وجه صاحبه وقد تملكه الحب .. وسرت
في جسمه النشوة .. ثم قال هامساً

مارأيك في أن سررت سويّاً في عرني إلى الاسكدرية
حيث يتم رواحداً ورشف مع كؤوس الحب في مكان يملؤه
الشعر والحيان .

ومد يده فبف الفتاة وجدتها تحو صدره وفلها في شوق
ولكن الفتاة دفعته يديها ، ونحطت من دراعيه ، وردت
عليه غاضبة :

— أي حمور قد أصابك وأي سحافات تلك التي
تحدثني عما . أي هرب هذا الذي تزیده وماذا يقول الناس
عما .. بل ماذا يقول أي وأنت أدري الناس . أي نوع من
الرجال هو .. ثم تحيل أن العربفة دفع من في الطريق .. فأى
مشكلة تكون قد ألقيا بأعضائها .. ومن هذا هو الأمر
الهام الذي حدثني من وسط القوم وتركهم يتحدثون عما
في سحرية .

ووجد الفتى أن السحر قد ذهب ، ولعنته قد رأت
وحما طيب قلبه ، ونظر إلى صاحبه فإذا هي حافة باردة .
وجأه تذكراً لنويف ، وشعر لشدة الحق على الفتاة

الرجاجية الشفافة .. وأحسن كأنه يرى بحر سهم في حفته .
مدأبر حوصاحته

— إذا كنت تعتقد أن الفراوجتون .. فدعينا منه ..
ولكن هل لديك مدع في التعجيل بالروح .. وليكن في
الأسوع لقادم مثلاً ؟. أرحوك ألا ترهقي

— لا أدري ماد أصابك اللية ؟. من المستحيل أن يتم
الروح في الأسوع القادم ولا حتى في الشهر القادم .
وأنت تعلم أن للملاس . وه الجهار ، لن يتم صعهما ، لا بعد
شهرين أو أكثر .. وإن يقل أني تعجيل بالروح فقط فليس
أن تتم هذه الأشياء . خصوصاً أنه لا سبب للمعجل .

وعد لائس من الخديقة و فترقا وسط الحروع الرافضة .
وشعر الفتى يميل بدفعه إلى الذهب إلى حجرة المسكنة
مرة أخرى . وجلس في نفس المعبد ، ونمى لو طهر الشبح
احمىل ثاية

ولم تمص لحظة . حتى هت عليه رائحة لعطر إياه
وإذا بالعناة الشفافة أمامه وقد بدت آية في الرشاقة والجمال ..
واستندت بمرفقها إلى المصدة ثم صحتكت في لين . وقالت :
— لقد وثقت النجربة .. وكنت أعلم سلفاً أنها فاشلة ..
يا صاحبي إن الحياة هي الحب .. ولا شيء غير ذلك ..



فإن فقدت الحب فإنك قد
فقدت الحياة .. واداعشت بعير
حب فكأنت لم تعيش .. وخير
للإنسان أن يحب يوماً ويموت
بعده ، من أن يعيش دهرأ دون
أن يطرُق الحب قلبه . أما أدري
بالحب منك .. فلقد مستنى الحب
وأنا في الخامسة عشرة وكان يد
ساحر قد مستنى .. وإذا بمحياتي
قد انقلبت من قطعة غم سوداء ..
إلى جرة حمراء ملتهبة .. في
جوفها ضوء وحولها ضوء ..
وكان الذي أحدث مبرد على أن

يكون كاتبا بسيطاً في دائرة أتي . ولكي كنت إدأراه كئي
قد مسكت لديا والآخرة وهررت معه ولكمهم أمسكوني
ووصفوني حيلة في الدر وعوملت . كما يعامل أشد الناس
إجراماً .. ثم انتقوا إلى روجاً .. طأ بهم أن ذلك سيذهب عني
عاطوه طيشاً ورقاً .. وفي ليلة الرفاف كنت أشعر كأني أرف
إلى القبر . لقد كنت حزينة بانسة كنت أعمى الموت ولكي

لا أستطيعه ، فمدكت أعامل كأني أسيرة حرب . ولكني
أحيراً استطعت أن أخدو لعمري بصع لحظات تناولت فيها
سماً . وفرت من الرفاف ومن الحياة .
وصمتت الحطة . ثم أردت في صوت ملؤه الاحتقار
والإردراء :

— أنت تتبرح هذه الفتاة .. يا للسخافة .. إياك أن تقدم
على ذلك الروح . إياك أن تلي نفسك إلى التهلكة . مع
الفتاة النافهة السخيفة .
وقاطعها القى غاضباً :

— كفى عن هذا السب . فما زوجهما بالرغم من كل
هذا .. وإن تريدني إهالك لها إلا تعلماً بها .
ولم تأبه الفتاة لمقاطعة

— أنت القى الأمل . القى الخمين السيل . تنروح
هذه الأضغوكه .. كم يسوفون أسألم يلتقي في عصر واحد .
كم كنت أود لو حلقاً سوياً .. بدلاً من أن يكون بين أحدا
والآخر هذه الحفة الضوئية من الزمن .. كم كنت أتمنى أن
يلتقي حسداً بحسد ، لا جسداً بروح .. أو شبح .
وشعر القى أن الفتاة تقرب منه .. ثم أحس شيئاً حقيقياً
قد من شهيته .. كأنه حياح فرانس . ثم احضت الفتاة .

وانتهى القوم من سهرتهم وآت كل منهم إلى فراشه ،
ودخل الفتى مضجعه . . وشح الفتاة لا يفارق ذاكرته .
وحيل إليه أنه قد براها في مضجعه . ولكنه لم ير أحداً .
وما كاد الفتى يغمض عييه حتى سمع على الباب طرقة
خفيفاً . . ففكر من فراشه وفتح الباب وهو لا يشك لحظة في
أن الطارق هو الفتاة العاشقة . . الساحرة العاتية .

ولكن الطارق لم يكن سوى حبيبته تسأله إذا كان لديه
قرص من « الاسبرين » تذهب به عن رأسها صداً أصابها .
وأجابها الفتى بالإيجاب . . ولكنه وحد وجهها قد تغير
لجأة وكساه احمرار الغضب . فدهل وسأها عما بها فأجابه
صارخة :

— تسألني عما . . وفي فراشك امرأة . هل رأى
أحد أوقع منك محوفاً . . إني لا أكاد أصدق عيني
وكانت الفتاة تتكلم وهي تنهر من الغضب . وصعق الفتى
وأجاب في دهشة :

— امرأة . . ماذا تعنين ؟

وتلفت حوله وبدأ بالفتاة الخيلة الشعافة قد استلقت في فراشه
في نوم عميق هادئ . وبدت كأنها عروس في ليلة زفافها . وتعجب
الفتى ، فإنه عندما قام من فراشه ليفتح الباب كان فراشه حالياً .

وأدرك الفتى أن الفتاة العاشة الماسحة قد أوقعته في
مشكلة كبرى .

وتلقت إلى خطبته وهو يكاد يحن وقال :

— إنها ليست امرأه ؟ .. إنها ليست بحقيقة ؟ هي لا تزيد
عن أن تكون شبحاً . . . تقديى وامسكها بيدك إن كنت
تستطيعين . . . إنها لا شيء . . .

ولكن الفتاة كان قد عليها السكاء . . . فطرت إليه نظرة
بنفض ويأس وقالت ساخرة .

— وماذا يمكنك أن تعتذر به غير ذلك . . . نعم . .
إنها شبح .

وعاد الفتى إلى امراض وهجم على الفتاة المستغية به . يود
لو يمرقها إرباً . . . ولكنها كانت قد احتفت .

وعلم الفتى أن من المحال أن ينتظر من القوم أن يصدقوا
الحقيقة .

وفي الصباح تسلسل من البيت قبل أن تهب عليه الروعة .
وقبل أن يعادر الدار طرق أذنه صوت بكاء حطيمته وبكاء أمه .

• • •

وغاب الفتى عن بيته ثلاثة شهور . علم حلالها أن
خطبته قد تزوجت . وتوسلت له أمه أن يعود إلى البيت فعاد
ومرت الأيام وبما الرمن القصة شيئاً فشيئاً . . . ففساها

القوم .. ولكن العتي ان يدس فط شح لعتاه الساحرة ..
وفي يوم من الايام زارهم أحد أقرانهم لمعبدين ، وكانت
معه ابنته ، ورعا من الأم أن تترك فتاته عندها حتى تتم دراستها
في أحد معاهد الفنون ، فأرلتها الأم على الرحب والسعة .

ولم يمض أسبوعان على محي - العتاة حتى كان الرواح قد تم
بيده وبين صاحبا . فقد جره حبا فلم يستطع عليها صبرا
لقد قرب حياته من حمة إلى حمة كما قال الشح .

وأعجب ما في الأمر أن العتاة كانت كثيرة الميل إلى
ارتداء ذلك النوع من الملابس الذي كانت ترتديه القتيات منذ
قرون مضت .. ذلك النوع الذي كان الشح يرتديه
وما نظر إليها لفتي فص لا وتعجب من شدة شبهها بالعتاة
الشماقة .. حتى أنه كان كثيراً ما يحنس : لا لني . لا ليت . كد
من أنها حقيقة .

وفي ذات يوم كان والد العتاه شاهد الصور الزيتية المعلقة
في صالة الاستقبال ، فاستوقفت نظره إحدى الصور .. ثم نادى
العتي وقال له صاحكا وهو يشير إلى الصورة :

— هذه هي صورة جدتي . ألا ترى أنها شديدة الشبه
بروجتك ؟

وحمل العتي في الصورة وقد كانت لنفس الشبح الحميل الذي
زاره مرات عديدة والذي سمعه من الرواح من حطيه الأولى .



يد ي أمها ولد عارضا غبي نبي
 فقد أتى ربّي ملاه أبهم وه
 في صوت هاله ثقاه وآخره ياد
 تمس عن الله ، يا واد كر حيد
 عند ما ناتي في الآخرة ساد
 عن كل مضاب -

صاحبي قال :

مهرتي

كان ذلك على ما أذكر في سنة ١٩٣٦ .
وكنت أقطن جبداك في إحدى الصواحي .
وكنت أهوى لتصوير . . وخرجت ذات يوم لألتقط بعض
الصور . . فساقتني قدماي إلى جهة نائية على شاطئ البحر ، وجدت
بها بضعة رجال يحمرون في بقعة من الأرض قد حططت
كان هناك شروعا في إقامة بناء عليها . ووجدت كهلا
قد انتحى ناحية من المكان جلس على حجر وهو يرقب
الرجال الذين أخذت معاولهم في الارتفاع والهبوط
وألقيت التحية . . فألقى الرجال معاولهم وردوا بأحسن
منها . واسكن الكهل لم يحب الكلمة . بل لم يدع عليه أنه
قد أحسن وعودي . . وأعجب من ذلك أنني ألفت شعبيه
تعدنان وتفحان . وسمعت منه همسا حميما .

وعلمت من أحد الرجال أن الكهل هو صاحب قطعة
الأرض التي يحمرون فيها أساسا لبنت . . وأنه دائم التحدث
إلى نفسه . . وأن حديثه إلى نفسه يشغله كثير عن الالتفات
إلى غيره . وأنه يقضي يومه جالسا على الحجر يرقبهم . وقد
شرد ذهنه وأخذ يتعمق لنفسه بين حين وآخر بكلمات غير مهمة .

ونظرت إلى الرجل فوجدته أقرب ما يكون إلى أولئك
الذين تراهم يحملون المحار أمام الحمارات . تلك البذلة
الخائلة اللون ، البالية المسح . . التي صمت في حباياها جسداً
صامراً داوياً . من ذلك النوع الذي قيل فيه ولو توكلت
عليه لانهدم ، أما طروشه فقد انزلق من على رأسه وارتكز
على أذنيه . إدم يعترف برأسه كفائدة لخاورها إلى أقرب
مستقر . . ودت عيانه عازنين دالتين استبدل فيهما بالياص
صفرة مشوبة بحمرة . . ونهدل شاربه الاشيب معطى
نبحا عيده

وعدت إلى الدار وكدت أنسى الرجل حتى حملني قدمي
مرة أخرى بعد نصفه أيام إلى نفس المكان . وجدت
الرجال قد بدأوا في البناء . وبحث عن الرجل في الموضع
الذي رأيته فيه في المرة السابقة ، فلم أجده . . فبمنت وجهي
شطر الشاطئ ، ووقفت أرقب الهر وقد انعكست عليه أشعة
الشمس فدا منه بريق ذهبي عجيب . . وأغرقتني الوحدة
والسكون بإطالة التأمل . . حتى سمعت فجأة صوتاً يتحدث . .
فأخذت من الصوت إذ كنت أضل أبى وحيد في ذلك المكان
وتلفت بومة ويسرة فإذا بي الملح الرجل الكهل وقد انكأ
بطهره على شجرة ضخمة أحمت حسده الصامر عن عبي .

وسبح هو الآخر بصره في الهر وبدأ يحدث نفسه كما كان
يعمل في المرة السابقة . ولكن صوته في هذه المرة كان جلياً
واضحاً . وكان يبدو كأنه قد اشدت في جدل . واستطاعت
أن أمير صوته بسهولة وهو يقول في شيء من الحدة :

- ولكني قلت لك اني لا يمكن الاستمرار في هذا
العمل المصني !

وراء ان يكون برهة كأن هناك شخصاً حمياً يحاوره
ثم سمعته يقول .

- أجل . ولكن استمع إلي

ثم جاءت لرجل من صوته حتى لم أعد أسمع . وبدأ لي
من حركته أنه يحاول إقناع من لا تريد أن تقنع . وشعرت
بعبط شديد . ووجدتني أتم بأن أصبح الرجل أن يرفع
صوته ، لولا أنني رأيت وقد شاع في وجهه لعصب وأنصرت
يدفع رفته المعروفة إلى الأمام ويقول حافياً .

- ان استمع إليك بعد الآن كعاني ما مضي

ومضت فترة صمت قصيرة . ورأيت غصبت الرجل
بعضه خاة . وأنصرت رأسه بسقف على صدره كأنه طفل
بعدم مستهزئ . ثم سمعته يجمع بصوت ملؤه الرهق والحنان
- آسف يا عزيزي . . ما فعل كل ما تريد .

وهما كان قد بلغ في حب الاستطلاع أشده . . فمرمت
على أن أستطلع سر الرجل بأية وسيلة . وأحدث أقرب
مه ثم جيبته في أدب ورقه .

وفرع الرجل في بادى الأمر . لم يتوقع أن يبصر أحداً
بحوره ، ولكى كسوت وجهى كل ما استطعت من مظاهر
المودة والصدافه حتى أبعث الظه أبيضه في عصبه وقلت له مترقفاً
- هل يسمح - ببدى أن ألقط له صورة وهو يتأمل
الهر ؟ .

ولم أكن أفصـد سؤالى أن أصوره فعلا لأبى - أولاً -
لم أتوقع من رجل في مثل هذا الشدود أن يقس التصوير
سهولة وشيأ - لأنه لم يكن به من المرايا ما يجعلنى أتلفه
على تصويره - ولكى أردت سؤالى أن أجعل لى متفذاً
لى نفس الرجل حتى أستطيع استدراجه للحديث

ولشدة دهش رأيت الرجل - بعد أن تردد برهة قصيرة ،
يشتم فى سرور ، ثم أحد يتحسس دباط رقبته ويصح
طربوشه ، فيثبته على إحدى أذنيه ، ويمر بأصابعه على شارب
المنهدل ، ثم يشد سترته إلى أسفل ، ويقف وقصة انتأه
للتصوير قائلاً : - أبعجك هذا ؟
- جداً .

وسرعان ما التفتت الصورة ، ثم أقبت على الرجل
أجاده أطراف الحديث ، ولم تسكن هناك مشقة في استدراج
الرجل للحديث بل على القيص لقد بدا لي أن الرجل
قد احزن في صدره أحاديث أعوام ، وأن الفرصة قد سحبت
له بمستمع طيب ليعر له كل ما في جعبته .

وعلى ما به كان موطئاً بوراره الأوقاف . . وأنه
قضى حياته قائماً بوطيقته المتواضعة بين أكادس المملكات ،
وأنه لم يطمع قط في أكثر منها . . فقد كان مرتها لصنيل
يبي له الحياة الهادئة البسيطة التي تعود أن يجباها في شفته
المتواضعة بحي البغالة .

والسكن امرأته - كما بدا لي من حديثه - لم تسكن مثله
من ذلك النوع القانع الراضى . بل كان نفسها طموح ،
وبروحها لهفة على حياة أفضل ، وعلى الخروج من تلك الشقة
الترطبة المظلمة في هذا الحي الخامل .

وأخيراً سنحت لها الفرصة التي تستطيع بها تحقيق
أمنيتها وإرضاء نفسها الطموح وبدا لها شماع من بوريس .
حياتها القائمة ، عندما عبت أن قريباً لها قد توفي فأورثها
قطعة أرض في إحدى الضواحي .

أحست المرأة وقتذاك أن آمالها قد هبطت عن محبط



الأوهام والأحلام . وأما فدايات في عداد الرعات اتى
لا يصعب تحقيقها .

مسد ذلك اليوم صممت في نفسها على أن توفر كل دائق

يمكنها ادخاره حتى تستطيع في النهاية أن تجمع مبلغاً تشيد به
بيتاً على قطعة الأرض التي ورثتها .

ووصف لي الرجل تلك السنين الطويلة التي مرت به بعد
ذلك ، وطلع ما كان يصيبه من حرق ونهرم من ذلك لاقتصاد
الذى أمست به المرأة . وكيف كانت تمر بهما الأسابيع ،
ولا بدقون إلا الحب ، أو العمل ، كي تستطيع أن تجمع
القروش من هنا ومن هناك . . وكيف حرمت عليه الذهاب
إلى المقهى الذى تعود أن يقضى فيه أوقات فراغه ، حتى
تدحر الدريهمات التى يصرعها ههنا . . وذكر لي كيف
قاطعت صحتها حتى لا تظهر أمامهن تلك الثياب الباهظة
التي لم تحاول أن تحددها منذ أن بدأت التوفير

ثم رأيت بدفع يده في جيبه ويخرج من محفظته الجلد
صورة صغيرة قدمها إلى قائلاً :

— هاك صورتها .

وتأملت الصورة فوجدتها لامرأة في منتصف العمر ،
متوسطة الحال . اتشجت بشال أسود من الحرير ، ولم يكن
بها كثير من زينة أو أنوثة . ولكن كان يبدو عليها الكثير

من حدة الذكاء ، وقوة العزيمة ، وأعدت لصورة إلى الرجل .
وبعد برهة عاود حديثه قائلاً :

— ولم يطل سا الأمر كثيراً . . فقد استطعنا بعد بضعة
ساعات أن نجمع متعاً من المال يكفي لأن نبدأ البناء على
أن تدفع الباقي على عدة سنين .

وعثرنا أخيراً على المفاوض الذي قبل أن يقوم بعملية
البناء وتم بيننا الاتفاق .

ودأت يوم ذهب في صحبة الرجل ليريه الأرض ،
وأصرت هي على الحضور معاً رغم ذلك التوعك الذي
أصابها نتيجة رد حميف ، وعرضت عليها أن توخر عربة
نحملنا من محطة السكة الحديد إلى قطعة الأرض ولكمها
نظمرت إلى نظرتها إلى محوون ، وأصرت على أن يسير
على الأقدام .

وعندما عدنا إلى البيت . كان التوعك الذي بها قد اشتد
وانقلب ذلك الرد الحفيف في يوم وليلة إلى التهاب رئوي .
ولا أطيب عليك الحديث فقد ماتت بعد بضعة أيام .

وصمت الرجل برهة ثم أردف هامساً في اهتمام :

— لقد كانت تقاوم الموت مقاومة شديدة لأنها لم تسكن

تريد أن تموت ، وظلت في نضالها حتى لعطت آخر أنفاسها .
و كنت أسممها تردد من حين لآخر : « يا إلهي .. إني أريد
الدعاء .. » ثم رأيتها نصمت ثابة وبدو في عبيها يريق
عجيب .

وحيل إلى أنها قد أدركت وقتئذ أن لافائدة من
الإصرار على الدعاء ، وأنها أحست أن الله قد اختارها
لجواره ، وبدأ لي أنها قد عرمت على شيء .. فقد أشارت إلى
بالاقتراب منها وقالت في صوت ملؤه الثقة والحزم . إياك
أن تعدل عن الساء ، وادكر جيداً أسا عندما تنق في الآخرة
مسألك عن كل ما فعلت .

وصمت الرجل ، ثم رأيت برمت على ساقى رفق وروع
حاجيه وبرز رأسه هرات خفيفة كأن فيه شيئاً بركة . ويقول
متعجاً :

— ولكن الشيء الذي لم تذكره لي وقتئذ ، هو أنها
سترافقتي طيلة عملية البناء !

ونطرت إلى الرجل في دهشة ، ولم أدر ما يضط ما يقصد
بقوله .. ترى هل دوى المرأة في قطعة الأرض .. أم هو
يقصد أنها ترافقه بروحها ١٩ .



واستمر الرجل في حديثه قائلاً :

— في كل دقيقة . بل في كل ثانية أحدها بجواري
لا تغارق لحضة واحدة . حتى الآن أراها قد وهبت حلقها
تصت لحديثنا .

وودت لو أدت رأسي بسرعة إلى الخلف لأذكرك من أنه
ليس هناك من يقف وراءنا . ولكني كنت أحسن شيء
من الخوف جعلني لا أحول نظري عن الرجل الذي
استطرد يقول

— أما أعرف بهم تفكر . ولا مراة في أنت تهتمى
بالخوف ، أو تطلى أنوهم رؤيه الأشباح .

أبدأ . أبدأ . كل ما في الأمر أن لديك قوة تخيل
عجيبة !

— قوة تخيل ؟ مو طاب بنفسى أربعين سنة في طابات
ورارة الأوقاف تكون لديه قوة تخيل ١٤ لا ياسبدي
بني أراها تماماً . كما كنت أراها في الدار . وأحاصها
وتحاطى .

لقد صفت درعاً بالسوء . . حتى لقد فقدت أعصابي مد

لحطات عندما انتابتى نوبة من العصب ، فأبأنها أنى لى أستمى
فى هذه العملية المرهقة ، وأنى قانع بحى العالة ، ولكى رأيتها
تلكى . قدمت على ما فرط منى ، واعتذرت لها عى
حماقتى .

والتمت خطفه قائلاً :

— لا أطلب عاصى عى الآن يا حبيبى ؟

وهنا أحسست أنى لم أعد أهتم .. فقد شملنى خوف
شديد من الرجل المعتوه وامرأته الموهومة .

وسادت ببى فترة صمت كست حلالها أصدق الصبر فى
حولى . وأبأ لا أكاد أصدق ما أسمع .

وعادرت الرجل دون أن ألتفت حلى . فقد كان فى
خوف شديد .

وعدت إلى الدار ولم أحاول بعد ذلك أن أطرق المكان
أو أقابل الرجل .

وإلى هنا انتهت قصة الرجل .. أو على الأصح كادت
تنتهى . فقد بقى منها جزء قصير .. يتعلق بالصورة التى
التقطها له . فعند ما انتهت من تصوير (الفيلم) وطبعه ..
رأيت شيئاً عجيباً .

إن الرجل لم يكن وجيهاً في الصورة ، فقد كان يحواره
 امرأة في منتصف العمر ، متوسطة الجاه ، قد انشعبت بشان
 من الحزير الاسود ، ولم يكن امرأة كثير من فتنة أو
 أبوة . ولكن كان يبدو عليها الكثير من حدة الذكاء وقوة
 العزيمة ١١





و مَن سَتَ لَ لَدَوَءِ بَدِي كَه
 الطَّيِّبِ مَن كَانَ الْإِخْرَاقَ لَدَوَءِ
 وَمَن دَنَتْ لَدَوَءِ الْإِخْرَاقَ لَدَوَءِ
 نَادِي لَدَوَءِ الْإِخْرَاقَ لَدَوَءِ
 مَن دَنَتْ لَدَوَءِ الْإِخْرَاقَ لَدَوَءِ
 مَن دَنَتْ لَدَوَءِ الْإِخْرَاقَ لَدَوَءِ

سيرة العزيز

ترددت كثيراً، قبل أن أكتب إليك، أولاً لأنك لا تعرفني،
وثانياً لأنني لا أستطيع أن أحدد بالضبط مطيبي منك؛ ورجاؤي
من الكتابة إليك، لأنني لست في حاجة إلى شيء. حتى
هذا الغراء الذي تعودت أن تنبه لقرائك لخروبي. لست
أراق في حاجة إليه، فقد انصرم العمر، وشملت الأيام قرحي
ورأت حرجي. اللهم إلا أثراً لا أظنه رائد حتى أروى أما
وتزول الحياة.

ولكن شيئاً واحداً هو الذي أنثف عليه.. وهو تفسير
لأمر أعياني تفسيره. تفسير عملي لا يتعارض مع اعتقادنا
في هذه الحياة. ولا يجعلها تتطابق من رؤوسنا فتذهب مع
الريح. وتركنا حائرين بين الشك واليقين.. تفسير يقع
كحلا مثلي قد أشرقت على المربع الأخير من عمره. ولم تعد
لديه القدرة على تعلم طرق جديدة للتفكير.. هل فهمت
ياسيدي؟

لعد المهجري إلى أيام حلت ورمي ولي. عندما كنت
في مقتل العمر وفي أول عهد بالرواح. إن مجرد الذكرى

تعتك في رأسي شوة ، وفي حسدى هرة كأنها أعية تطوف
بأذني فيحرق لها القلب ، أو شذى عطر يعد إلى أنفي فيهمو له
الفؤاد . عندما أنجما طعلتنا الأولى ... مادية ، ... وعندما
طسا أن أحاسيتعها أو أحتا . ولكن السمة مرت تلوالسة
دون أن نرق سواها ، ويحيل إلى أن ذلك قد دفعنا إلى
الشعف بالطفلة وتذليلها إلى حده ، الإلتلاف .. أو هذا على
الأقن ما ينهم به أبوان ملأتهما اللهمة على إسة وحيدة ..
ولكني لم أك أفهم قط معنى أن ، يتعب ، الطفل أو كيف
ويتعب ، ، لأنني من نوع مرهف الحس .. لا أعتقد أن تلف
الطفل يمكن أن يتأق إلا بصربه أو هرة أو إبلام نفسه أو
تخطيم روحه أو حرمانه ، أو إرهابه .. أما بحه ، أو الاسراف
في حه .. فلا أطرب . بل إني لا أفهم معنى أن يقال
« إسراف في الحب » . بينما الحب لا يمكن أن يكون
إلا إسرافا .. وإلا ما كان حبا .

إنما قطعاً أحداها أكثر مما نحب أى شيء آخر في الحياة ..
أكثر من نفسها .. ولن أحاول أن أصفها لك .. فلا أطرب
أستطيع أن أرسم في ذهنك صورة صادقة عن عدوبتها
وحلاوتها . ولكن ثق ياسيدي بأنها كانت مخلوقا محسوساً ،
برامتها ، وطهارتها ، وتذكيرها السادح ، ومطالبها التامة ..

نصحكاتها وبكائها.. ومرحها ولهوها بعيدها الخصر اوين ،
وشعرها الأصفر الملتف في حلقات ذهبية .. بأفهامها القصير
الدقيق ، وشفتيها الرقيقتين .. كل شيء فيها كان جميلاً محبباً .
وأصحت لطفلة محورية حياتنا .. وكنت إذ ذاك موطفاً في
السكة الحديدية في إحدى بلدان الوجهة الحرة ، وكنا نقتطع
بيننا صغيراً ذا حديقة عماء فباحة . وكانت حياتنا هادئة باعثة
فلا أكاد أنهي من العمل حتى أعود إلى الدار . وفي شوق
إلى كل ما فيها .. ويمر بنا الوقت وقد عمر ثلاثنا وقص من
السعادة .. بلهو بالطفلة وتلهو بنا . أقص عنها قصصاً عن
والعيل أبو رلومة ، وعن د أبو طرطور .. ونصحح هي
أخطائي إن أخطأت .. وتذكرني إن نسيت . وتستعصر عن
أشياء لم تفهمها بعد . ثم تمتطي كتي .. ويدهب إلى اللعب
في الحديقة .. أبة حياة هائبة كنت أحيها وقتذاك !
مادركت سخابة واحدة جيت في سماتنا . ولا شاب صفوا
كدر ولا شائنة .

كنت وقتذاك موطفاً صغيراً . ولكن مرتني كان يوق
بكل حاجاتنا .. بل كان يريد حتى يوق بالكثير من الكاليات .
ففي يوم الميلاد الرابع للطفلة أقبلت على الدار وفي يدي لعبة
كبيرة .. وكانت قد تعودت أن تلقان بلهفة وفرح ..

وسؤال يقهر على شفيها، جت ي إيه^٤، ولدا فقد
كست دائماً أحصر شيئاً، أى شىء، قطعة من الشيكولاته،
ولبان إنجليزى، مصاصة، أى شىء كان يرضيها..
مادمت قد تذكرتها وأحصرته وفى ذلك اليوم أردت أن
أفاجئها مفاجأة سارة، فانتعت لها عروسة، كبيرة نعمص
عينها حينما تردها، وانتعت لها فرائداً كاملاً مرر كشافاً،
وكلفنى ذلك ما يقرب من اثلاثة جنيهات كست قد استطعت
أن أوفرها منذ بضعة أشهر استعداداً لهذا اليوم ولا شك
أنك تعرف ياسيدى قيمة اثلاثة جنيهات فى ذلك الزمن.

وقيمتها بالنسبة لمرتبة موظف صغير مثل

كانت فرحة الطفلة وبالعروسة ولعراش، فرحة أشعرتنى
بأن الجنيهات الثلاثة لم تذهب سدى، ثلاثة جنيهات^٥،
ما أنصها إلا أن العالم كله لا يساوى عدى فرحتها حينذاك،
لقد أمسكتها برفق، ثم ربتت عليها بحنان، ووضعت فوقها
الغطاء، ثم قالت لى هأمسه، ولدعها الآن تستريح،
وهى لا شك متعبة.

ولم أكر أضل فط أن العروسة، الجديدة - أو
دوسو، كما سميتها - مشتعلاً إلى هذا الحد، وتسكفها كل
هذا الاهتمام الجدى، فقد اعتبرتها مخلوقاً حياً.. فى حاجة

إلى كل ما تحتاجه هي .. وكانت ترقدها في الليل بجوارها ..
وكم كان بطريبي أن أرقبها . وهي تتصرف مع اللعبة
تماماً كما تتصرف أمها معها . مقلدة إياها في كل شيء .. وفي
كل كلمة .. تحملها على كتفها ، وتمش كأنها تعسل لها وجهها ،
وتغير ملابسها ، وتطعمها ، وعندما آوى في الظهيرة إلى
العراش كنت أنصهرها وهي تشير إليها لسانها محدرة :
« سوسو بابا نام . إياك والكاء » .

وفي ذات يوم سألتني « بادية » أن أحصر لها فراشاً آخر
صغيراً .. فسألتها مداعماً : « فراشاً وعروسه ؟ » .. ولكنها
هزت رأسها قائلة :

— لا .. لا .. فراشاً فقط .

ثم اقتربت مني وشمست في أذني لها تريد العراش للطفل
الجديد « ابن سوسو » .

ولم أتمالك من الضحك . وفي اليوم التالي أحصرت لها
فراشاً صغيراً .. فوضعت به بجوار الأول .. وفي الصباح وجدتني
تضع أصبعها على شفتيها لتكبلأ أحدث حركة توقظ « البوب » ،
ثم سحنتني من يدي حتى وقفت أمام العراش الصغير ورفعت
المطاء عنه بحمّة ثم قالت بصوت خفيض : « إنه نبت » ، وبعد

أن أنديت إنحاني سألها عن اسمها فأجابت إنها ليست بحاجة
إلى اسم فهي مجرد « نونو » .

وكما نظر أنها سرعان ما تنسى ذلك المخلوق الوهمي
وتطالب بإحضار طمعة صغيرة لتضعها في الفراش الصغير
بحوار « سوسو » ، ولكنها لم تفعل . من استمرت تعامله على
أنه شيء مبدوس توقفه وتدله ونحمله تماماً كما تفعل بأمه .

وفي ذات يوم - أطله في شهر سبتمبر - نعيم علينا الظلام
ونحن نلهو في الحديقة وأحسنا بالجو شديداً من الرطوبة ،
ودخلنا الدار وفي الصباح التالي شكت الطامه ألماً حقيقياً
في حديها . وبدت عليها تلك « الدعة » التي تدور على
الأطفال إذا عشيهم مرض أو هم . واستمرت مستلقية في
الفراش وبدا لي أن الأمر لا يزيد على رد حفيف لا يبعث
على الفلق ، إذ لم يكن بها أى ارتفاع في درجة الحرارة .

ولم يدر بخلدنا قط أن الطفلة مريضة . . أو أن المسألة
تستوجب استدعاء طبيب . خاصة وأن التحسن بدا عليها في
نهاية اليوم عندما أهدت نسمع إلى القصص التي أحدثت
أفصا عليها ، وتشاهد الرسوم التي رسمتها لها ، ولكن عندما
أقل المساء بدا عليها شيء من التعب وارتفعت حرارتها قليلاً

ونقايت كوب المني ادى أعطيناها إياه . وبدأت تشكو من
ألم في الصدر

وحتى ذلك الوقت لم يكن هناك ما يدعو إلى القرع ، فقد
كانت في تمام صحتها . وكانت تصحى عندما أحاول إصحاكها
ولولا ذلك الألم السيء . الذي كان يذهب وييجي . لما كان هناك
ما تشكو منه . ولكن لم تنص فترة من اوقت حتى بدأت أحس
تعبير أطرا علي . ورأيت جهرها يثقلان وحب ريق عيها
وأصاها لقرع وحيل . و أن فني يهوى في حوى
وقلت لم وحتى . من نظراتها لا تعنى . وسأذهب لإحصار
الطبيب . وحتى حينئذ لم أكن أحس بعد أن المسألة قد
بلغت دور الخطورة

١٠٠

تصور يا سيدى بعد كل تلك السنين التي انصرفت والتي
كانت كفيلة بأن تصعب بيضا وبين الماضى حذراً سميكاً من
السيان . وبعد أربعين عاماً تغير فيها كل شيء . ما رلت
أحس بقنى يعصره الألم . وينمغ عيني راودها على الإبهار
كما تذكرت تلك الساعات القلائل التي قضيتها بعد أن حصر
الطبيب وعندما تبينا من نظراته مدى ما في المسألة من
خطورة

لا أكثر عليك القول يا سيدى . لانى ما قصدت
بكتاتى إليك أن أحثك آلاماً . أدعو الله من قلبى ألا يصاب
بها إنسان . لقد ماتت الطفلة قبيل العجر . . . وم أصدق أنها
ماتت فى نادى . الأمر . إذ كان يسدو لى موتها بعيداً . .
ولم يستطع دهمى المرهق المسكدود أن يسلم بأنها ذهبت إلى
غير رحمة . فهذا شئ لا يمكن أن يكون حقيقة . وحتى
بعد أن رقدت فى جدها وعدنا إلى الدار الموحشة الصامتة
لم يمكن بصدق أنها ماتت . وقع أقدامها . صوتها
صحاكتها . مارلت أحسن كل ذلك ببدأ ابدار الحرمان .
ومارلت أتوقع بين ن وأحر أن أراها مقلبة على بلهفة
واشفاق . وعلى شعبها سؤاها لتفيدى الطريف .
حسنت لى إليه ؟

وحتى يوماً هذا مارلت قطاردنى مرارة الأسابيع
والأشهر التى أعدت موتها . ماذا تستطيع أن تفعل كلمات
العراء بقلوب كريمة محروحة . . . وأنى انقطرات الدمع أن
نظفى . نأراً تستمر فى الجوارح وتتأجج بين لصنوع .

وبعد فترة نقلت إلى القاهرة . . ثم مضى العام تلو العام
ولم أعد بعد موطئاً صغيراً . بل أصبحت دأمرت ب محترم . .
وبعد أربع سنوات رزقت بابنتى الثانية . سامية . . وسرعان

ما عمت حتى أصبحت طفلة حميله كأنها الراحلة . . وإن كان
حاملها من نوع آخر . . نوع رقيق الحسد ، دقيق التقاطيع ،
أسود العينين ، حالك الشعر .

وقد انقضت وأما على ألا يذكر لها شيئاً عن نادية . .
معتقدين أن من الخير أن سعد عنها أمثال تلك الحقائق
السكرية . ولا شك أن كسا محطتين فإن الموت ليس
أكثر من نيحة . نتيجة طبيعية محنومة قد تسكون آجلة
أو عاجلة . ولكنها لا بد واقعة . فلم يرتاع منها ومن
لنعكبر فيها ؟ لا نؤاخذني يا سيدي . . هذه فلسفة عقيمة . .
لا يمكن وضعها . لا على أطراف الألسن . أما في قرارات
النفوس فلا موضع لها .

وهكذا مرت الأيام والصلوة لا تشعر إلا أنها أول من
أنجس . . وعندما بلغت الرابعة وأقل عيد ميلادها سألتني
أن أحصر لها عروساً نعمص عينيها وفراشاً ترقد فيها .
فأحصرت لها ما طلست . وحيل إلى أن الأيام تعيد نفسها . .
وقد أفلتت ، سامية ، على العروس تنومها وتدللها وتعني لها . .
تماماً كما كانت تفعل أختها . . من قبل .

وبعد بضعة أيام وجدتها تسألني أن أحصر لها عروساً
أخرى . . ولست أدري ما الذي جعلني أسألهما عما إذا كانت

تقصد فراشاً آخر ، ولكها هت رأسها وأهتني أها تريد
عروساً وفراشها حتى تؤمن عروسها الأولى
ولم أكر أستطيع أن أرفض لها طلباً فأحصرت عروساً
وفراشاً آخرين وصعتهما بحجاب الأولين . ولم تمض بضعة
أيام حتى لاحظت أها بدأت تصع دميها في فراش واحد
وتترك الفراش الآخر خالياً . وتكرر منها ذلك . فسلأتها
صاحكاً عما يدعوها لذلك الأمر . فأوصحت لي أها بعد لفراش
للصعل الذي يوشك أن يولد . وفي الصباح التالي وحدثها
تصع سالتها على شفيتها امرأة إباي ألا أحدث صحة لثلا
أوقفط ، الووو ، ثم تخنني من بدى وأوقفني أمام الفراش
الصغير الخالي وأراحت استارها مسة . إنه بيت .
أبنة ذكريت هاجمة أيقظها انطلة في قلبي ، وأى إحساس
بالخوف سرى وفقدك في نفسي . فقد صحت برهة ثم قلت
لها في رفق . حميلة جداً يا حنتي . ما اسمها ؟ . وأحانتني
انطلة بسرعة دون كثير تفكير : نادبة . . أليس اسماً
حميلاً . ولم أجب ، فقد كنت في حان لا نصح لي بالكلام . .
لقد قلت لك أن رجل مرهف الحس . وكان الأمر أكثر
بما أتوقع وبما أحتمل .
ومضت بضعة أشهر ثم مرضت الصدفة . . وبعد دقائق

معدودات كان الطبيب يجوارها . وقد أمرنا ألا نتركها
نعاذر لعراش وأن نعطيها من اللين قدر ما تستطيع أن تشرب
وأحبرنا أنه ميتة بالتيحة بعد التحليل ، وفي المساء أحبرنا
أنها مصابة بالدفتريا

وسأمر عابراً بالأيام الثقيلة التي تلت ذلك . . فاست
أذكر الكثير عما حدث لها . إذ كان يحين لي أني كنت
أعيش وسط صناد كئيب أشاهد تلك المعركة التي كانت
تدور بين ابني وبين الموت . وأنا مكتوف اليدين لا أملك
سوى الصبر والانتظار حتى كان ذات يوم بدا لي فيه أن
الطفلة العذبة علي وشك أن تحسر المعركة . . وحصر الطبيب
في ذلك المساء . وبعد أن مكث ربع ساعة اسحق بي جاساً
وأنا في أنه لم يعد في وسعه شيء . وأني يجب أن أتوقع
الأسوأ . ثم كنت لي سر دواء وطلب من احتضاره قائلاً : إنه
مجرد محاولة قد تعيد إليا بعض الأمل . . وانصرف علي أن
يعود إليا في منتصف الليل . وأدركت وقتئذ أن الصفة
قد حانت نهايتها .

ولم أشك أن الدواء الذي كتبه الصبي لم يسكن إلا مجرد
سدة ، ومع ذلك فقد انطلقت لإحصاره باحثاً عنه في
الصيدليات التي وجدت مفتوحة وقتذاك . ولكني لم أحده أنراً .



وأحرأ عدت أدراحي
 إلى لدر وحلت وروحي في
 صمت وبين هبة وأحى
 كما نسل على أطر وأصدا
 برف طفنتا في معركته
 الحسرة .

وعندما دقت بعائرة نديا
 إلى الحسرة . ونظرا إلى

الفراش وكانت أصغيره تدور دئمة على حبها الأيمن وقد نبت
 ركبت وبلا وخذ رأيا شيا أم أكر وحدي الذي
 رأيت ولا كات وروحي وحده التي رأته لقد رأياه
 كلنا رأياه نعيد كما تنصر أصعدت في وصح النهار .
 لا وهما ولا شجأ . لقد رأيا بحوار الضمة الرعدة طهية
 أخرى قد أحاضتها برأعي كنما تحاول أن نقب الشر وتقرأ
 عبا عائلة لسوء وكانت النظمة هي مادية !! أحل لقد كانت
 مادية نرفد بحوار سامية وكلتاها واضحة وصوح الأخرى ..
 وكانتا تدوان كالسمنين ووقعا بحلق فيهما وكأنا في
 حم . وأحيرا خفت دية خاة كما ظهرت .. وتقدما
 بحط وثيدة وتحسساء سامية ، ويداهما نائمة
 ونطرت إلى المصدرة موحدت عليها رجاجة م نكي

موجودة من قل . .
ورفعتني يدي فإذا بها
الدواء الذي أشار به
الطبيب .



فد نتهمني يا سيدي . أني لم أر في الفراش سوى شع
صورته لي الأوهام . وسكن ما رأيك في رجاجة ادواء ؟
وعندما حصر الطبيب مرة أخرى قبيل منتصف الليل
واخى عليها أنصرت في وجهه دهشة شديدة .

وبعد أن خصها برة استدار وقال في هدوء وهو يحاول
أن يخفي شيئاً من حيرته : « هذه معجزة من السماء . . إنها
الآن بخير . . أعتقد أن الخطر قد زال » .

وكان ذلك منذ زمن بعيد وقد مانت روحني منذ بضع
سبعين . وتزوجت مامية ، وأنجبت طفلة حصرها ابعينين ، ذهبية
الشعر ، هي حبيبتني ، مادية ، لقد ما أراها تشبه مادية الأولى !
هل عندك يا سيدي تفسير لكل هذه الأمور ؟ تفسير
يمتد عملي لكهن لا أظن . . فأعلت ظني أن هالك أشياء في
هذه الحياة لا نستطيع تفسيرها . وليس عيباً إلا أن نقبها
على علاتها

الکاحیاتی



میں ان کے کان میں سمجھاتا ہوں کہ وہ بولے کہ وہ
 اسے جوڑ دیا اور وہ بولے کہ وہ اسے
 وہ اسے سمجھاتا ہے کہ وہ اسے
 سمجھاتا ہے کہ وہ اسے

على أبو سريع ، أو ، الحاجلي ، كما تعودنا أن
يسميه مدعين للكلمتين معصهما كأنهما كلمة **الحاج**
واحدة . هو حاج رسمي . حصل على لقبه بأدوية
فريضة الحج فعلا ، وما زلت أذكر كيف استقبل عند عودته
من « حجة المبرور » . . اتصال لمرأة العائش . وبالطل
والمزمار والنقرزان ، وقد اضطجع بحسبه الطائل الضخم في
عربة ، حنطور ، زيت بالورود وسعف النخل ، كأنه
« مطاهر » . . وعلى باب داره علفت الأعلام الخضراء ،
وفرشت الأرض بالرمل الأصفر .

ولم أر هناك عارفاً كبيراً بين ، الحاج على ، قبل الحج
وبعد . . من ناحية القلب لم يرد عليه شيئاً . . وقد تعودنا أن
نحلمه عليه قبل أن ينجح . فهو حاصل عليه ، من مساره ،
أو هو حاج ، عري ، . أما من ناحية المطهر ، بكل ما راد
عليه هو ، سبعة ، يحرك حاشاها بين أصابعه . « ودلة »
فضبة حشرها في بصره السمين . . أما من ناحية المحر أو
الجوهر ، فلم يتميز به شيء . التثنية ، فهو هو . نصاب ، محتال ،
كذاب ، خداع .

وهو لا يسمى « العرض » ، ولكن العرض عنده لا يتعدى

ركوع وسجود وتحريك شعاه بكلام تعود اللسان بلفظه دون
أن يعيه الذهن أو يفهمه . ولا نعى بذلك أنه يؤدي الصلاة
تظاهراً ، بل عن يقين واعتقاد واقتناع بأن هذا هو واحد
بحو الله . . وماذا نطالب منه أكثر من الصلاة والصوم وحج
البيت ؟

هذا هو واحد بحو الله . ولقد قام به خير قيام . .
أما واحد بحو عباد الله ، فهو يعتقد أنه شيء آخر لا صلة له
بالتة بواجهه بحو الله ، ولذلك يحرص على ألا يخلط بينهما . .
وفلسفته في هذا أن ، اشعل شعل . . وأن ، أكل العيش يحب
الحداقة . . ١ وأكل العيش يعني لديه ائترار أقصى ما يمكن
ائتراره من أموال عباد الله . . أما ، الحداقة ، فهي عنده وسيلة
واسعة مطاطة ، تستطيع أن تخوى كل ما يحظر على اسال من
صروب السكر والدهاء ، والصب ، والاحتيال .

كل هذا هو مذهب ، الحاحملي ، قبل الحبح لا يخلط أبداً
بين الله وعباد الله . . ويعتقد اعتقاداً راسخاً . . أن الله راض
عه كل ، رصا . . أما عباد الله . . فيبه وبينهم حساب ، ليس
لأمر السبب به شأن ، فهي مسألة ، شطارة وحداقة . .
ولقد طال مذهبه كما هو . لم يغير فيه الحبح شيئاً . . بل لقد
راده تمسكاً به خاصة وأنه يعتقد أن حجه لبيت الله قد رفع

شأنه عند الله وراى من رضى الله عليه ، وعمر له ما تقدم من
ذنبه وما آخره . ولذلك فهو مقس على عباد الله وبديه
من يعرف ان رضى كبر ، ويستطيع اعتدأ على هذا الرضى ان
بعض بهم ما يشاء ، وأن عتبه ، ويحتال عليهم ، دون أن يحتل
عصب الله هذه هو رأى الخلق فى واحد كوا الله وواحد
كوا عباد الله . أما رأى فى الواحد ثلث واجبه كوا
نفسه . وهذا كان لا يحب أن ينفقه فيه أحد . وقد كان لابد
له أن يعصى نفسه جميعاً من الخشخشة ومن النساء .

وهذا الخلق ، ربح حقيق ادم كغيره من سائر الدين
يعو صهم الله عن النفس فى أحاسيس حقة فى دمه . فهو سريع
السكر . حاصر الدنية . حلو فى الكاهن . أنت أشك فى
أن هذا هو السبب الذى جعل عباد الله يعصرون له ما يرتكبه
معه من عيش ونصب . وفى الوقت نفسه يقبلون عليه وعلى
صناعته ، حتى إذا حرمهم حلوبه رعى بأقدامهم أنه دمعوا ،
وأنه من المشاشين الخدعين . المصغين الذين إذا اكبلوا
على الناس يسوقون ويد كالهم أو و بهم يحسرون .

كان الرضى ناخر (يا ميس) شارب بين الصوريين . يرحر
ذكاه لعراات احو . ويور والسبق . وبسات فى الدين
وصاديق اثنين . ور حاجات اشريات ، وغلب الاخلاوة

الطحيبية والماء . وصانع السس . وكان يتحد مكره في
ومض أحاولت على مضطمة مكنونه من أربعة صديق متجاهد
على سطحها حصي . وزرع فوقه بحسده السمين المستمع وقد
تدى . كرشه ، أماه كانه شيء معص عنه . ويطوط على
حسده ففقط حريرى تخطط كشف رمله عن حره من سابقه
نصحتين ، كلهما داء لعين . وقد التف حول سم بينهما
وحالة اشتراب . وبدأ ضوى حدانه الأصغر دى الرقة الطويلة
واللاستك طين من حب أكدراس الفجر النحلة فوقه . وإذا
صعد الأصغر من أعلى وحده الحرام الكشميرى وقد عاف
حول محيط الشكوك لاصبة . لا سكاو سدو لمدنة ولا هاية
وإذا تجاور . أحادام صدف صدر الرحن المحتجج . كانه صدر
امرأة مدينة وقد تبدل فوقه شيء . يدو كانه كرش آخر

وإذا أمع الأصغر في ذلك شيء . الذى طساه كرشا . انصح
لنا أنه يدانة رفق أو . بعد . عيوذ فوق الرحن الأصدة وقد
توسطها طبع حسن . أوفى طابع الفصح . وفوق الدفين الدفن
لسفلى والدق العليا شفقيه لميصص . وقد وضع بينهما مسم
الشيشة تندفع حلالها أنفاس الرحن كأنها أنفاس الواوور
فحدث في الشيشة (كركنة) و (بقلة)

وإذا تجاوره . الفم صدفها أنصاً يدو صغيراً بدأ

بحوار كنتاني اللحم اللتين يتكون منهما حدى الرجل ، أما العيان
فأست أدري كيف كان لرجل يصبر بهما من فرط صبقهما ،
فهما تدوران في وجهه كأنهما نقير

وأحيرا تدور رأس الرجل صلعا حرداء . تمتد إليهما
يده بين آوة وأخرى بالمندبل المحلاوى لتجفف قطرات
العرق التي لا تفتأ تنصب منهما ، تصرف النظر عن حراره
الجو أو روده

وه الحاحلى ، في جلسته هذه يفعم كل شيء . يبيع
ويشترى ويشرب الشيشة ، ويلقى أسكات والمعارلات . فليسه
لا يكف عن الحركة بين شذقيه . وسيل الحديث لا يقطع
عن التدفق . . ولو حاوسا أن تسجل له حديثه في لحظة من
اللاخطات على سبيل (لعبة) لما وجدنا فيها أكثر مما يلي

• ياميت حلاوة . . • ياميت ندامة على اللي حب ولا
طالشي . . . أبوك . قول اشمني . يمسكوه بورقة . .
• يا نور العيون أنت . . . إني يامت يا اللي رى القشطة . .
وقد تأخذه الحماسة بصفق يده . وقد يتملكه الطرب
فيدفع في الرقص وهو جالس على مصطنه بحرك كرشه ويهر
كتعبه وينهين دات اتيمين ودات اليسار

فيأدا ما أدن المؤذن بالصلاه هط من على مصطنه صائحاً

بقوله المأثور : ساعه لقلبك وساعه لربك ، ، ثم يعطى لربه نصيبه من الركعات والسجادات .

هذا هو الخاج على . المرح المهرار . وحل رثائه من عواة الصحك . بصحكهم ويصحك عليهم . ويعنفون له عشه وخداعه من أجل خمة دمه . . .

وكنت للرح صديق حميما فقد كال يقطن بجوار ما في درب الخاميز ، وكنا كثيرأ ما نقضى مهربنا سوياً في مقهى عكاشه ، على ناصية الشارع فهو يلعب الطاولة والتدجين والسمرو حيث يتساول هو ، قصاً ، أو ، قصص ، يزن همما رأسه . .

ومرت في فترة من الوقت شعنت حلالها عروقية الرجل حتى كانت ذات ليلة ذهبت إلى المقهى لأفصى السهرة معه . فلم أحده ، وسألت عنه فعبت أن به وعكة ، وأنها قد في داره . ورأيت الواحد يحتم على أن أرو الخاج ، وأطمش عليه ، ولم يكن الأمر بكلمتي كثير مشقة ، فقد كانت دار الرجل على قيد خطوات من المقهى

وتوجهت إلى الدار ، وقرعت الباب . بالسقاطه ، الحديدية المدلاة عليه ، ولم تمص لحظة قصيرة حتى فتح الباب ، ووجدت أمامي خادما بسألني عما أريد . .

و بنت نظري في الخادم حسابه فقد وجدت من شئ
محظوظ خصوصاً حمراء وحضراء . كأنه إحدى ثلاث . كره
لعدم .

وم آه كثير الخدم رعر عراية مطر . لأنه
خادم . ولا حرج عليه في أن يمس ما شاء . وأجته على
سؤله نبي أريد الخا حيلي فعاد يمش
— يقول له مبي —

ودكرت له اسمي فاحتج . وعاد بعد به به يقول
— انقص . .

ونقصت . ودخلت إلى الصالة . فوجدت ما يقرب من
لبعة أطفال . مامس من وسط . تتراوح أعماهم بين الثانية
والثانية عشرة . وقروا في قصته تصدمون . فصار هم لي
وتملكنتي من . وبينهم الدهشة . لا لكثرة عددهم . فقد
كنت أعلم أن لدى الخا حيلي من الأولاد مبرور على هذا العدد
والسكن الذي أدهشني هو أني وجدت منهم جميع الست منهم والسين
فدا ندوا حلايب من نفس القماش . الأحمر والأحمر
المحظوظ الذي يتبعه الخادم

وسرت في طريق متجاوزاً . نيم السكر . الذي يتصلح
بصره إلى . وانجحت إلى حجره الاستقبال حيث قادن الخادم

لا هذا كذا ، لا بد أن أهنئهم قد أهيئوا بلوته
من صدق أبي وحدث بي صحت الذرائع والسكرامى من
نفس الفهش :

ودحت على ، الخاجلى ، ، وبأبى أحده مستنق على
الفراس وقد سكور كرشه وبدا كنه فقه جامع لا فرق
بينهم سوى أن فقه جامع بصاد أما كرش الخاجلى ، فقد
كل محتوط محتوط حره وحصره

أحسن ، فمكان : حل منه يتدى حذر أمر الفهش ، راه

وقلت للحاح :

— لا بأس عليك باحاح ، إنك انكسرت من المانش ؟
وفهم الرجل ما أعنيه ، وأنا أقصد ، الترقيق ، على جلبابه
فأجاب متعجباً

— اجلس إنك لم تر النقية بعد

— هل عارالت هناك بقية ؟

وهر رأسه بساخه وأجاب بالإيجاب

ثم رفع ديل جلبابه قليلاً وكشف عن صدره فوجدته
يرتدى قيصاً وسروالاً من نفس القماش^١
واندفعت أفهقه ، والرجل يطر إلى في استنكاه ، حتى
تملكت نفسي ومائلته .

— إيه الحكاية ؟ عليكو عمريت اسمه ، ابينش ؟
وهر الرجل رأسه بالنس فعدت أسأله في دهش .
— أمان إيه ؟^{١١٤}

فأجابني

— عسى أن يكون الآن مستريحاً في قبره !

— من هو ؟

— صاحب القماش .

واردادت حيرتي ، وعدت أسأله عن حقيقة المسألة

هل هو . تدر . من . الخاجعلى . أن يلبس هذا القماش إذا ماتوفى
صاحبه . أم أن هناك . أسباده . يكون الرجل وأن . السكودية .
قد أشارت عليه بلبس هذه الثياب لمحاولة ارضائهم ؟
ولكن . الخاج . عاديهر رأسه بالمى . ثم صمت مرعة وبدأ
يقص على حفيقة الأمر قائلا

— بامبدي . . المسألة بسيطة . . ذهبت منذ بضعة أيام
لأففى سهرقى فى المقهى . وانحلت بجلى على . الدكة إياها . التى
تعودت أن أحلس عليها . وطلت من . ددق . الشيشة .
ووضعت فيها الدخان . والذى منه . ولا أكد أشد منها . نساء
أو نساء حتى حصر المعلم . نصحها . كعادته . ثم قال .
« السلام عليكم . . عليكم السلام . . انفصل يا معلم . . »
فعد المعلم . . تلعب عشرة . يا خاجعلى . . ألعب . . مالعش
ليه . هوات صغير . . وصفق المعلم . نطجها . وطلب من
« ددق . أن يحضر للطاولة

وبدأنا اللعب . . شيش جهاز . . شيش ياك . .
« معلش يا زهر . . »

وحى اللب . فتركت لشيشة حاسا . . وأقبلت على الزهر .
وها حدث أمر عجيب . . فرغم أننى كنت أجلس وحدى
على . الدكة . ورغم أنهما كى لشديد فى اللب . فقد بدأت

أحسن أن هناك شخصاً يجلس بخواري شخصاً أستطيع
أن أراه نظرف عيني ، وأن مصروف إلى الطاولة

وحول بصري خفة لأرى هذا الشخص الذي جلس
بخواري ، واليكى لم أجد أحداً ، فعدت إلى الإهمالك في اللعب ،
ومع ذلك فقد استمر في الاحساس أن هناك شخصاً يجلس
بخواري وأن أستطيع أن ألقه مصرف عيني . واستمر هذا
الإحساس منسطقاً على حتى حصر المده ، رجب ، وفترت
ليحاس بخاري ، وسمعت بأن أسمع به بخراً حتى لا يجلس
على الرجن الذي أراه بخواري ، واليكى حسبت أن أكون
واهما . . . فيتمووني بالحنون .

وعدت إلى اللعب وأنا أحسن فيه ، فقد اعتقدت اعتقاداً
خارفاً بأن المده رجب ، يجلس على حجر الرجن الذي جلس
على ، الدكة ، بخواري ، وأن الرجن لاشك في صيق شديد
وفدوت الزهر ، وقلت ، شمس لك . وتمهلت برهة
أفكر في كيفية تحريك احجارة ثم سمعت بأن أرفع حجراً
من إحدى الخانات عند ما سمعت صوتاً يقول لي ، سبده
واحبس في الباك يا غني .

وتملكى مدش وقد كال الصوت عرباً عني ، لم يسكن
صوت ، نطجها ، ولا ، رجب ، بل صواباً آخر ، وأحسست

باعتصم ، وهرمى من يهور ، لولا أنى وجدت أن اللغة
التي أشربها ، على الصوت هي اللغة ، الصبح ، ولم أجد بدا
من حمال الإهانة وتعبيد اللغة .

وحيل إلى أنه لم يكن هناك من سماع الصوت سوى ،
وبدأت أشعر بحروف والفرح ، وتناولت ، منهم لشدة ،
أشد منها عما أسمع به على تلك هي . وهذا رأيت أعجب
ما يمكن بإسناد أن يراه .

لقد هب السحاب من في قلم يتصاعد في الهواء ، من أحد
يتكسب ويحسد حتى صهر من خلاله صاحب الصوت

أحل لحد رأيت أحيرا دنت لحد الذي كان يحس
بحوارى ، وقد وقف نظرا إلى الصاولة مرتدبا حلقا طويلا
ومر بوشا ، وصفت حول حصة أرق وجوه الموحدين
وأرى أثر صبور الرجز عليهم ، صبح في أنهم لم يمروا ، وأن
أما وحدي الذي رأيت

وبدأ الرجز ، أو قل الشح ، يرشدين في كل لغة ، فك
الحوهار يا حمار ، واحسن في اندو يانيس ، وسيت الحجر ده
يا طور ، لقد كان الشح قبل الأدب نعص الشيء ، ولكي
احتتمه في سبيل تصاخره

وكيف لا أحتمه ، وقد انتهى في الأمر إلى أن أعل



المعلم ، طنجها ، أربع عشرات ، وأنا الذي لم أعنه في حياتي
مرة واحدة . . حتى كاد الرجل أن يصاب ، نقطة . .
وأحد الناس ينصرفون من المفهى الواحد تلو الآخر
حتى ، صممت ، على وعلى صاحبي الشح .
وحس لشح بخواري وصممت بأن أطلب له شايًا أو قهوة
ولكنه أهتمي أن الأرواح لا تستطع الأكل أو الشراب
وبدأنا في الدردشه ، والحديث عن هريجة ، طنجها ، التي لم
يسمع التاريخ بمثله .

ولاحظت على انشح دلائلهم وعلامات صبق وقلوب .
فسأته عما به مبرر رأسه قائلاً . . لا شيء . . ولكني ألححت
عليه فراح انشح يسرد حكايته قائلاً
— إن مصيبي كبري لأن روحي معلقة بين السماء والأرض
فلا أأنا حي وأسعى وأعيش مع الأحياء ، ولا أنا ميت فتصعد
روحي إلى السماء مع بقية الأرواح

ونظرت إليه في دهش وسأله كيف يمكن أن يحدث هذا
فأجاب :

— إن قضتي تبدأ منذ عشرين عاماً عندما كنت أعمل مع
أني في تجارته في العورية ، وكسأتجر في الأفتة ، وفي يوم
نحس أصابنا سوء الحظ فصاعت علينا صفقة كبيرة ، واتهمي

أبى بأنى أب الذى أصدتها ، وأبى جانب لأ أصلح للتجارة ، وأبى
سأعيش طول عمرى غالة عبه
وأبى قوله ، واشتد بسا سقاى وقلت له به هو الجانب
وإبه يفسد بتدخله معظم الصفقات ، وأبى وكب وحدى
لأربته كيف تكون التجارة .

وإدعت فى نورى إلى بعض أنوار من العرش فحمتها
على كنى وقت له أبى سأشرح لأتوار وسأريه كيف يكون
أبيع ، وأقسمت بى بأ معطاة أبى لى أعود حتى أبى . . . وأن
نحل لعمه الله على فلا يهدأ جسدى فى أرض أو تستقر روى
فى سماء حتى أبيع آخر قطعة منها

ولكى لم أكد أعاد الخوات وأسير فى الطريق فصع
حصولات وأبى أن الأنوار حتى دهمتى عربه فقلت لى
وحشوى رفاى إلى فقر وسط رجب والكاء وانصرت
أن تصعد روى إلى السماء ، والكاهاء تصعدا فقد حلت
بى أسعة ، ووجدت نفسى أبحول فى الظلمات وأبى أحمل
الأنوار أحاول بى فلا يرى أحد ولا يحس فى إيس .
عشرون عاما وأبى أهيم على وحشى فى الطرقت محاولا بيع
الأمثلة دون حدودى . وأخيراً عثرت على أون شخص
استماع سماعى ودققتى وهو أنت . أبى فى يدك خلاصى ،

وكل ما أريده منك هو أن تنساع من الأفتة . إن سعرها
رحيص جداً بالنسبة لأسعار هذه الأيام . . . فهي «التراب» .
إن الثوب لا يريد منه عن ثلاثة جبهات .

° ° °

وأخذت أفكر في قول الشح ورأيت أني أستطيع أن
أصعب عصفورين بحجر إذا أستطيع شراء الأثواب أن
أنقذ روح الرجل . ثم إن الصفقة نفسها صفقة هائلة فمن
ذا الذي يستطيع أن يشتري الآن قماشاً بأسعار ما قبل الحرب .
ولم أتردد كثيراً ودست القود في يد الشح وسرعان
ما سلمني «الأثواب» الثلاثة .

لا تقل أني كنت واهماً ، وأن ما رأيت لم يكن سوى
أصعاب أحلام . فلا أظن هناك ديلاً على أن الأمر كان
حقيقة واضحة أكثر من هاته الجلايب التي يرندبها كل من
في الدار .

° ° °

وانتهى «الحاجلي» من قصته . وأحدث أفكر جداً . .
وتذكرت رجلاً عرص على ذات ليلة عجة من قماش لديه منه
لصعة أثواب بسعر رحيص وتذكرت أن عجة القماش لم تنكس
تختلف كثيراً عن هذا القماش . ولم أشك وقد اك أن القماش

الذى لدى الرجل
سروق . وأنه يبيعه
حقة ولذلك أعرضت
عه .

نرى هل كان الرجل
شبحاً ، أم أن الحاجب على
الذى خدع الناس جميعاً
قد استطاع الرجل أن
يخدعه أخيراً بفعله

، يطم . ، ويتشاع ثلاثة أبواب المسروقة

عم ذلك عذرني . وعهد ، لتعميرة ، التي كان ، الحاج ،
يشد منها نفساً بعد نفس .

قطار آبي صطڪي دهنن مديده لاءِ وڃي
 ميرنگاهه وڪاڻي ڪري ٿو ۽ اهو ڪو به ڪم ڪري
 آهي نه ٿو ڪم ڪري ۽ اهو ڪم ڪري ٿو ۽ اهو ڪم ڪري
 ڪم ڪري ٿو ۽ اهو ڪم ڪري ٿو ۽ اهو ڪم ڪري ٿو

ميرنگاهه



وما الحياة . وما الموت . وما الدنيا .
وما الآخرة . وما الرمن ؟ أهو ذلك الشيء
الذي يبدو لنا كييل دائم التدفق ، يبع
من المستقبل المجهول ، ويجرى في وهاد الحاضر الذي يعيش
فيه .. ثم يصب في الماضى الخلق ليدهب إلى غير عودة .
أو أن أقسام الرمن ثلاثة . المستقبل والحاضر والماضى يمكن
تشبيهها بأشياء محسدة ، ويمكنها التحرك في أى اتجاه كما
يتحرك أى كائن ملبوس . فأى حدث من أحداث الحياة
أو صاعه لثلاث . مستقلة ، وماضيه ، وحاضره .. يمكن أن
يتحرك في أى اتجاه في محيط الرمن

ما الروح

أوضح قولى .. أم ترى لا أحسن التمييز ؟

لكى أوضح أكثر .. هل يمكن للماضى أن يصبح حاضراً
وللحاضر أن يصبح مستقبلاً ؟ .. لا تتمحلوا الرد فتقولون .
لا . لأننى أستطيع أن أؤكد أن ذلك شئ دائم الحدوث .
وفيما لا تعللون الأحلام . ثم تعللون الفترة التى يجباها
النائم فى ماضيه ؟ وبم تعللون تلك الأحلام التى تدنا عن
المستقبل ، والتى تعرض علينا فى نومنا . وهو حاصر .

أحداث لن تحدث مكانها في ميدان الرمي إلا بعد أيام
أو أشهر .

أليس هذا هو تحرك عكسي للأحداث في محيط الرمي
من المستقل إلى الحاصر ، ومن الحاصر إلى المأوى .

هذا شيء دائم الحدوث في الأحلام . . ليس فيه ما يثير
الدهشة ، ولكن ما رأيكم إذا ما حدث هذا في الحقيقة ، فعاش
الإنسان فترة من المأوى وهو يقطن .

أمر غريب . أعجبني تفسيره . . فقد حدث لصاحب لي
كان يحيا حياتين . حياة حاضرة ، وحياة ماضية .

إليك قصته . سأسردها كما هي . إن وهي الشري أغبر
من أن يكشف عوامصها أو يجد لها تعبلا

° ° °

وقع لنا على وقع الصاعقة . . فاحظر لي على بال فط أن
صاحبي ، توفيق المهندس ، يمكن أن يقدم على جريمة قتل .
ولست أشك - إذا ما وصفته لكم كما عرفته منذ عشرات
السين - أن الدهشة ستملككم ، كما تملكنتي ، وأنكم
ستسألون معنى . . كيف أقدم على ارتكابها ؟ ولم ؟ ونحت
أية ظروف ؟

هو إنسان عاقل منزه ، أميل إلى الصمت ، مسالماً بطبيعته

يصعب عليك أن تثيره ، أو قل يستحيل إثارتة أو إعصابه ..
فأرأيت قط غاضباً أو ناثراً . بل يوافقك على كل ما تقول
نجماً منه للفاش والحديث .. إذا سألت أحبك فقدر ما يمكن
من الاختصار . إن لم يكن بهرة من رأسه .

عرفته خلال الطغولة ولصا والشباب . وفي أحده مرة
واحدة يخرج من حبله وهدرته وصحته فقد كانت تلك هي
صريقة حقه وتكويبه . ولم تكن شيئاً مكتسباً من لس
أو التجربة . أو نتيجة لصدمة من صدمات الحياة .

عشرون سنة . لم أهرقه خلالها ، وهو هو ، ما أعصيته
عساوة حادم . أو إهانة رئيس ، ولا صاق بمزحه ثقيل أو
ثرثرة ماجن .. بل تعبه سعة صدره على أن يلقى الحياة
ومخافتها بانقسامه هادئة وبمن قريرة .

تصوروا بعد كل ما عرفوه عنه .. أسمع خذ أنه قد ارتكب
جريمة قتل أو قتل من ؟ خادمه المعجور عم محمد ، الرجل
الطيب الهادي . المخلص الأمين . الذي اصطاحه مد أن
حضر من بلدته إلى القاهرة للدراسة ، والذي أمضى اسون
الطويلة في خدمته دون أن أسمع به شكوه منه قط .. بل كان
أشبه بالآب ، والأم . والروحة . وكان يصوم له . بكل ما يلزمه
ويقتضى كل حوائجه .

لقد كان القتل آحر ما يمكن أن ينتظر من صاحبه .. ومع ذلك فقد تجبر الظروف أى إنسان مهما بلغ من الهدوء والاتزان على أن يقدم على قتل . فتن لص هاجمه في البيت وأرغمه على أن يرد العدوان عن نفسه بقتله . أو قتل في ثورة غضب لشرف مظلوم . أو أى طرف من الظروف لطرفة التي قد تودى صاحبها إلى ارتكاب القتل .

أقول إن العذر قد يلتمس لصاحبه الماتر العاقل لو أنه أقدم على جريمة قتل من هذا النوع . الذي لا تحدى في دفعه حكمة ولا عقل . ولكن أى عذر هناك . في أن يقدم على

قتل الخادم العجوز المسكين

ولقد بدا لي في أول الأمر أن الحادث قد يكون فيه سوء فهم أو التباس وأن صاحبه قد يكون بريئاً من كل ما اتهم به . ولكنني عندما عرفت تفاصيل الحادث أدركت أن الأدلة كلها تكاد تجزم بأنه المقاتل .

كانت الواقعة تتلخص في أن بواب البيت الذي يقطن فيه صاحبه أقبله قبيل الظهر ألا يجد أثراً للخادم العجوز وهو الذي تعود أن يهبط إليه كل صباح لينتزع القول والعطار لسببه . ثم يخرج بعد ذلك للسوق لشراء الخضروات واللحم لتجهيز لعشاء . وقد يجد من وفته صفحة للردشة معه

وشرب فنجان من القهوة ما بين الفطار والعشاء .
وتذكر السواب أنه قد شاهد توفيق أمدي ، يهبط الدرج
مسرعا في حوالى الساعة الحادية عشر مساء . بعد ما كان يوشك
أن يستلقى في فراشه في غرفته الخشبية المكنة أسهل السلم .
ولم يذكر بعد ذلك أنه أحس بعودته .

واستنتج أن توفيق أمدي ، ربما قد قهرى اللبن حارج
الدار . وأن عمر محمد ، قد حال بومه فلم يجد بدا من أن
يطرق الباب ليوقظه .

وطرق الرجل الباب فلم يسمع إلا صدى طرقاته .
واشتد الطرق بلا حدود . فتمسكه القلق وأحس بأن
شيئاً غير عادى لا بد أن يكون قد حدث وأوحس في
نفسه حيرة .

ونظر من ثقب الباب فصرخ في حشد رحمة . إذ بدا له
كأن هناك جسداً مسجى بجوار الحائط في أقصى العرفة .
وتراجع في دعر ثم انطلق من الدار صائحاً وأبلغ أول من
صادفه من سكان الدور المحاورة وأصحاب الحوايت . وبعد
برهة كانت الشرطة والناس قد تكاثروا حول البيت .

وفتح باب الدار ، فإذا بالحسام منق على الأرض جثة

هامسة ، وقد هشت رأسه بصرته من عصا غبيطة ملقاة
بجواره بدت عليها آثار دماء .

وكانت ملاح اقنيل بدا عليها دهش شديد .

واستطاع الواب أن يحرم أن العصا هي عصا د توفيق
امدى ، وأدلى شهادته لتي تتلخص في أنه لم يشاهد من السيد
والخادم إلا كل ما تعود أن يشاهد يومياً ، وأن كليهما آوى إلى
الدار فين العشاء . وأنه شاهد السيد بعد ساعتين ، أو ثلاثة
يهبط الدرج وقد اندفع من الباب في عجلة شديدة ، ولكنه لم
يحظر ساله فط أن هناك جريمة قتل قد ارتكبت . . فما حدث
ما يشير ريبته أو يوقف شكوكه وهو لا يعرف هناك شيئاً
يسندعى أن يقتل السيد حادمه ، فقد كان الرجل طيباً
وكانت العلاقات بين الاثنين على خير ما يرام .

وقرر الطبيب الشرعى أن القتل حدث قبل الحادية عشر
أى في الساعة التى شوهد فيها د توفيق ، يدفع من الدار ، ولم
يستطع المحقق أن يستدل على أن أحداً دخل البيت غير الرجل
والخادم . وهكذا ثبت التهمة على د توفيق ، ولم يبق هناك
مجال للشك في أحد غيره ، خاصة وأنه قد ولى فراراً ولم يظهر
له أثر بعد ارتكاب الجريمة . .

أمر عجيب !!

إن التحقيق قد أثبت أن : توفيق ، هو القاتل وأنه
صرب الخادم بعصاه صرجه أفست إلى موته ثم فرّ هارباً .
ولكن لم يقتله ؟ وأين هو الآن ؟ . . .

إن المسألة رغم أن التحقيق استطاع إثباتها بسهولة . . .
تبدو غريبة محيرة . فأنا أدري لاس صاحب . إنه لا يستطيع
أن يقدم على قتل حشره . وهو ليس بالإنسان الآحق
الذى يثيره خطأ دم إلى حد أن يتهور في ضربه ضربة
ترد به صريعاً .

لا لا . بل أقسم أن : توفيق ، لا يمكن أن يكون
القاتل . فلا بد أن تكون هناك ظروفًا خفية أحاطت
بالجريمة . ظروفًا نعرفها ، ويستطيع لو أظهرها أن يرى .
نفسه مما اتهموه به .

ولكن أين هو ؟ ولم أحتج ؟ . ومادا يخشى إذا كان
يرتكب الجريمة ؟ إلى موق أن لو لنفيت به لا اعترف لي بكل
ما حدث فهو يثق بي ثقة عمياء . ولا يركن إلى أحد سواي ،
ولا يستطيع أن يخفى عني شيئاً

وشر الأحداث في لصحف تحت عنوان : مهديس يقتل
خادمه ويمر هارباً ، وأعلن أن الوليس جاد في البحث عن
القاتل الهارب .

وعدت إلى بيت ورأسى يصطحب تلك المسألة المحيرة
ومضى اليوم وأنا أحاول عثاً أن أحد تعبيلاً منطقياً معقولاً
لشيء مما حدث .

إني أحرم أن ، توفيق ، ليس لقائتي ، من هو القاتل
، دأ ؟ ولم لاد ، توفيق ، ما هرب ؟ وأي إنسان على وجه
، لأرض يمكن أن يكون له مصلحة في قتل المحور المسكين ؟
وبذلك الأفكار الحائرة والأسئلة التي لا نجد جواباً شيئاً
أوبت إلى مصحفي . ولم أكن أتوقع بالطبع أن يتسلل اليوم
إلى عيني بسهولة ولما كنت فقط كنت أريد أن أريح جسدي .
وهكذا رقدت على الفراش وقد انتابني أرق شديد ونهت كل
حواسي . عند ما سمعت ضجة طرقة على الباب .

وكان الطرق من الرحمة بحيث تحببت أبي وأهم وبما سمعت .
ومضت بهمة لبست بالفصيرة دور أن أسمع شيئاً حتى
كدت أحرم أن الطرقات لم تكن سوى حذاع سمع .
وبكن . . مرة ثانية ، عادت الطرقات ، خفيفة
متروكة . كأن صاحبها يسترق الطرق . أو كأنه يخشى أن
يسمعه أحد سواي .

ومضت في حذر ، واقترت من الباب ببطء . ووقعت وراءه
الحظة وحاولت جهدي أن أتغلب على تلك الرحمة التي أصابتني .

فقد كانت أعص في متعة مكدودة . وتساءلت في صوت لا يخلو
من القزع :

— من ؟

وأجاني صوت حميص

— أنا .. افتح

إيه هو !! هو بغيه ! . صوت نوبيق الهادي الأحش
العميق .. وأنصت رهقة . ونامت حولى . ورأى أحداً أحداً في
الدار قد استيقظ على صوت لطرفات سواى .. وتقدمت
خطوة إلى الباب ومددت يدي إلى المزالج رفعتة وفتحت
الباب وهمست :

— ادخل

ودخل صاحبي واستطقت أن أمير وجهه على ضوء
المصباح ، المبهاري ، الناهت . فها إلى ما وجدت به من شحوب
ولهاك . ووجدته يتربع في مشيته كأنه ساقية لا تستطيع
حملة ، فأمسكت بذراعه وقدمته إلى حجرتي .. فارتبى في إعياه
على إحدى الأرائك .

وأغلقت باب الخجرة بهدوء . ووقفت أنامله وقد أعص
عينه وتلاحقت أنفاسه وأحد صدره يعلو ويهبط ، وأمسكت
بيده ومأنته :

— مالك . لماذا تشعر ؟

— لا شيء .. فقط متعب وحائع ... ومحطم الأعصاب ..

وتركته ودهست إلى المضج لآقي له شيء يسد رمقه ..

وتواثرت الأفكار على رأسي في سرعة البرق

إني واثق أنه يرى بما انهم به . ولقد أقي إلى الآن ملجأه

الوحيد .. ولأنه ليس له صديق يعتمد عليه سوى .. ولا شئ

أقي يجب أن أعاونه على إثبات براءته . ولكن هب أنه

ليس بريئاً ؟ . وأنه الفاسق فعلاً ، وأنه أقي إلى قارأ من وجه

العدالة . وأنه يطلب مني أن أحقيه عن أعين البوليس ...

ماذا يكون موقفي حياله ؟

هل من العقل أن أعاون قاتلاً على الهرب من وجه العدالة ؟

نعم إلى متى أستطيع إحقاقه ؟ . ومادا يكون موقفي إذا ما ضبط

وثبت أقي عاوته على الاختباء ؟

ولكني كيف تطاوعى نفسي على أن أبيع عنه ؟ ..

وكيف أستطيع أن أتخلى عنه وقد ركن إلى وطلب معاونتي ؟

ولممكن لم كل هذه القروص . وأنا أ كاد أحرم أنه بريء

وعدت إليه بعض الطعام وكوب من الماء .. فتناول

الماء من شهقة وجرح الكوب مرة واحدة ، وكان قد هدأ

بعض شيء . وجلست أرقبه في صحت وهو يزدد الطعام
حتى انتهى منه ، وسأله في قلق :

— فص عليّ ما حدث . . إنك بالطبع لم تقتل الرجل
وأصرق برأسه . ومصت رهة طويلة وقد بدت عليه الحيرة
وتردد . ووجدته يجيبني ، وهو يهر رأسه في بأس شديد

— لا أستطيع أن أحبك بمنزلة هذه السهولة . إن المسألة
ليست من السهولة كما يمكن أن تتصور . أنا لا أستطيع أن
أحب ما أو قتلت أو ه أقتل . ولا أكاد أعرف أنا نفسي إذا
كنت ربي أم مدناً . إنها مسألة معقدة مثوية . وقبل أن
أجيب عن سؤالك عما إذا كنت قلت الرجل أم لا ، يرم أن
أوضح لك جبهة الأمر . وأروى لك الظروف المناسبة له .
ثم أسألك عما إذا كنت قاتلاً أم لا أنت تعرف مدع ثقتي
بك ، وأنا أعتبرك كمنسئ . سأروى لك كل شيء بالتفصيل .
وكل ما أرجوه منك أن تصدقني . . ولا تهمني أنني واهم أو
مخون . لقد كنت أود أن أفض عليك الأمر عند هذه
حدوده ، ولكنني خشيت ألا تصدقني . . وهاست أن أطويه
في صدري ما دام ليس هناك ضرر في ذلك . فقد كنت أجد
فيه شيئاً خاصاً أن . يتعدى دائرة نفسي . ولا يمرر لأن
أفصح عنه لأحد ، خاصة وأنه شيء لا يعرفه العقل .

ولو أنى سمعت هذا القول من إنسان آخر غيره في مثل
طروقه . لشككت كثير أى سلامة عقله . . ولطفت به
اصطراط في الدهس والأعصاب . ولو حدث في قوله تحطاً
مشأه ذلك الإجهاد الذى حطر قواه .

أحق لقد كنت أتوقع أن تكون إجابته لى قاطعة جازمة
بأنه لم يقتل الرحمن . ثم بأحد بعد ذلك في سرد الطروف
المحيطة . لا أن يقول لى أنه لا يدري هو نفسه إن كان قتل
الرجل أم م يمتنه . ولا يعلم إذا كان ربناً أم مدساً . وأنه
يسألنى أنا لى أجيب عنه .

أقول أنى لو كنت سمعت هذا القول من أى إنسان لانتهمته
الخبور . وسكن . توفيق . لم يكن الشخص الذى يسهر على
انتهامه بالخبور . فقد ألقى لى قوله بطريقته الهادئة المنيرة
اللى توحى لى السامع بالثقة فى كل ما يقال له بحيث لا يدع له
مجالاً لريبة أو موضعاً لشك .

وقلت له متسانداً

— عجب ! بك لا تعرف إذا كنت قتله أم لا !

— إنى فى الواقع قد قتلت . ولكى لم أقتله هو . . بل
قتلت إنساناً لا أعاقب على قتله . أو على الأقل ، لا يمكن أن
أعاقب على قتله فى رسم هذا . . اللهم ! لا إذا كان الإنسان

يمكر أن يعاقب على قتل الأموات .. وأى أموات ؟
أموات تواروا في باطن الأرض منذ مئات الأعوام . ولم
يقمهم إلا رماد عظام لا تكاد تميز من أديم الأرض ؟

وصمت برهة يعكر .. ثم رفع رأسه وسأى لحاة
- اسمع . هل يمكر أن يعاقبك أحد في أيامنا هذه
على أن قتلت كبير ، أو مالبون بونابرت ؟

- مالبون بونابرت ؟ أنا أعاقب على قتل مالبون
بونابرت ؟

- أنت ، أو أنا .. أو أى إنسان .

- طبعاً لا ... لسب بسيط ، هو أنه ليس هناك من
يستطيع قتل مالبون بونابرت .. ولا أحقر جدى من
جود بونابرت .. لأنهم قد أضحوا شيئاً غير كائن .

- انتبه .. إذاً فليس هناك من يستطيع معاقبة
على الجريمة التي ارتكبت

- ولكن القليل ليس بونابرت وليس كبير .
بل هو د عم محمد ، الخادم الذى كان بالأمس دسماً يتحرك
من دم ولحم . لا عظام في باطن الأرض ولا أديم
ولارماد .

- ولكي لم أقفل ، عم محمد ، فليس هناك قط
ما يدعو إلى قتله .. إنه أكثر الناس فعلاً .. ولست
أنصور كيف يمكن أن تحرى حياتي بدونه .. كيف آكل .
كيف ألبس أنا أقفل ، عم محمد .. ل .

- أه لم أوس أنك قتلت ، عم محمد ، .. ولكي قالت
أن القليل .. الذي أربق دمه . والذي طرحت حته مسجاة
على الأرض بلا حراك . هو ، عم محمد .

- القليل هو ، عم محمد ، .. هذا هو المصاب .. وتلك
هي لعقدة .. إن الذي قتله لم يكن ، عم محمد ، .. ولكن
الذي قتل فعلاً هو ، عم محمد .

وأطرق صاحي برأسه . واستغرق في تفكير عميق .
ثم قال بعد لحظة :

- حساً .. دعني أروي لك المسألة من أولها . ثم
خبرني عن رأبك في النهاية . وفي إذا ما كنت برئاً أم مذنباً
بدأ الأمر ذات يوم قبل الغروب ، وقد جلست في شرفة
الدار مستقبلاً في أحد المقاعد الضويلة المريحة أرقب قرص
الشمس المنهب يهبط في الأفق البعيد رويداً رويداً ، وقد
حلف وراءه ديول الشفق الأحمر نعث ، أشعتها الأرجوانية

متحللة أوراق الأشجار المرامية في حديقة الدار وفي حدائق
الدور المجاورة .

وأحدث أحلق في رؤوس الأشجار الملتفة كأها هوهات
براكين . . وبدأ لي كأن بصري قد ثبت فيها لا يستطيع
عها حولا . وأحسست تنلدي الدهس . واسترخاء في
الأعضاء . . واتاني شعور الذي يقع تحت تأثير محدد . .
وبدت لي المساطر التي أمامي تتلاشى رويداً رويداً . . ولحظة
أحسست بقطعة تماماً . ووصح كل شيء أمامي تماماً . كما
يحدث عندما تكون في طينة دامية . ثم تضغط زر كهربائي
فيعمرا الدور مرة واحدة . ونطرت أمامي فتعلمكني دهش
شديد . لقد وجدت تعراً كاملاً في كل ما يحيط بي .
وتسب كل ما كنت أنصره أمامي سداً تاماً . إلى ثم أحد
مسي في مكان آخر حسب . . بل في زمان آخر .

أحل إن ما أنصرته لا يمكن أن يكون في زمان هذا .
أفقد وجدت مسي أحلس في مشربة ، مونة الزجاج
بدفعة الزجاج تدل من سقفها . لا مصباح كهربائي . من
قنديل زيتي دقيق الصنع .

وبدت لي الدور المقابلة لا يكاد يفصل بيني وبينها إلا انضع
حطرات وقد صاق لطريق بينا . وأطلت من نافذة المشربة ،

فإذا بالطريق ينصر بالمارة . وقد قامت على جانبيه الحوائيت
المزدحة .

هل تعرف تلك الطرقات الصبقة التي تحبب بمدرسة
«السبة» في حي «سيدة» . أو تلك التي تنزع من
«باب الفنوح» . . . أو «بوابة المتولي» ؟

كان المكان يشبه إلى حد كبير تلك الطرقات . . مع
فارق في أرياء الناس الذين يعيشون فيه . وأصبحت المدرسة
وأصحاب الحوائيت يرتدون العباءة الصحية . «والقفاطين»
دات السراويل . والمراكيب الخراء المدسة

وأوحى إلى ذلك المنصر الذي رأيته - مطر الدور .
والطريق . والناس . ثم مطري أنا نفسي . وقد لمحت ساق
تتعلل . المركوب إياه . و«السروال» المصفاص . تأتي
أعيش في زمن عار . غير ذلك آدم الذي تعوذت أن
أجأ فيه .

وهبطت المدرج الحجري بعد أن وضعت «العمامة» على
رأسي . وسرت بين الناس في لطرقات . . هم أجد أثرًا لزام .
أو سبارة . . بل خيل مطهمة . وعربات . وحير .
ورأيت الناس يتحدثون بأل «الوالى» قد أمر بأن يعلق
على كل باب . مصباح . ووجدت بينهم حانة من التدمر .

ولا أطيل عليك الحديث فقد أدركت بسهولة مما أنصرت
من ماطر وسمعت من أحاديث أنى أعيش في عهد محمد علي ،
الكبير .

وبنى أذكر أن ما كان يشع من الناس يومذاك هو أساء الخنة
التي يسوى الوالى توجيها إلى ، بوهابيين ، نحت إمرة ابنه
وطوسوب . وكان ينحشون عن السفى اتى تم ماؤها
والجيوش التي تم حشدها . وعموبها ، المهمات والأسلحة
والذخائر

وعدت إلى الدار عقب جولة في الطرق المجاورة ،
وجست مره أخرى في مقعدى حيث كنت أجلس ، وبعد
لحظة أحسست نفس التلذذ ، والاسترخاء ، وأخذت الماظر
تتلاشى بالتدرج ، ومره واحدة أصبغت الأنوار ، فإذا بى
حيث كنت .

• • •

وصمت صاحى مره . . ووحده يجهب على بطراق
المنشكة قائلا .

- حيا . . قد بدرك هذا مجرد حلم وإسى أعصيت
بعصاة طويبة وأنا حاس في مقعدى . . ولعد كان هذا فعلا
هو ما تصورت حتى حدث بعد نضعة أيام أن تكرر

الأمر مرة ثانية ، نفس الطريقة ، وإذا في أحد نصي مرة
أخرى : أعيش في قرن مضى .

لا أطى أستطيع إقداك بمجرد أن أطلب منك أن
تثق في صحة قولي . وأن تصدق أن ما كان يحدث لي هو
شيء أكثر من الأحلام . هو انتقال فعل من حياة إلى
حياة . . وأن الحوادث كانت تمر في الحياة الأخرى بنفس
الترتيب المنتظم الذي يقع مرور الأيام بمعنى أني إذا
انتقلت إليها ليوم مثلاً . . ثم انتقلت إليها بعد ذلك بيومين ،
وفي أحد أنه قد حدث بها من الحوادث ما يقع في يومين ،
وذلك يؤكد أن ما كنت أنصره فيها هو حياة مستمرة ،
وليس مجرد ماطر منقطعة . فبداحكك الشك في صحة قولي ،
وسكني أستطيع أن أذكر لك من التفاصيل ما يثبت لك بوجه
قاطع أني عشت فعلاً في ذلك العصر . أنت تعلم أني
مهندس ، وأنني لم أدرس من التاريخ إلا ما درسه سواي في
مدرسة الحديوية ، والذي لا يعدو أن يكون سرداً سطحياً
لتولييه . محمد علي ، الحكم وفتوحاته وإصلاحاته ، أما التفاصيل
الدقيقة عن الحياة في ذلك العصر . . والتي قد تعرف أنت
عنها أشياء الكثير بحكم مهنتك كدرس للتاريخ ، فإنني أجهل
الناس بها .

وهربت رأسي بالموافقة، ووجدت نفسي أضمت إليه
في لحظة . وأطلب منه أن يذكر لي تلك التفاصيل . وبدأ
يصف لي الطرقات ، والناس ، وذكر لي كيف أنصر شاطئ
البحر في المكان الذي تقوم فيه بولاق ، والمطبعة الأميرية .
وقد تحول إلى ترساة لصنع السير . . وذكر لي أن أطراف
المدينة كانت تقوم عند المناسبة ، وأن المكان الممروص فيه
أنه القبة الآن . كان ميداناً للتعنة ، وحشد الجنود . وأخذ
يصف لي تفاصيل دقيقة عن الحياة في ذلك الوقت ،
ويصف لي الطرقات ، والميادين ، والدور ، والحوانيت . .
وكيف أنصر ميدان السيدة ، واحسين .

ونطرت إليه مشدوهاً مأجوداً . فأما أدرى لسان
لصحة كل ما قال . . فلقد درست ذلك المهد جيداً وقرأت
الكثير عنه ، وكان كل ما قال صحيحاً مانعاً في المائة . كيف
يمكن أن يحدث هذا ؟ وخفة حطر لي حاطر حلت أنه
كشف لي عن حيلة الأمر

وهربت رأسي وقلت لصاحبي كأي قد حلت الأمر

— هل قرأت تاريخ الجحرقى ؟

فطرت إلى في عظة وأجاب متعجباً .

- جبرق؟ ١... أنا أقرأ تاريخ الجبرق؟.. ألدئ
وقت لكي أقرأ الجبرق .

- ولا تاريخ الحركة القومية للرافعي؟

- لا داعي لهذه الأسئلة . يحب عليك أن تتقن .
وتصدق كل ما أقول

بني أثق بك وأصدق ما تقول . وسكني أريد أن
أجد تعليلاً لما حدث لك . . ومعرفاً . لأن تعرف في عيوبه
كل هذه المعلومات الدقيقة . إذا كنت قد قرأ شيئاً من هذا .
وبن المسألة لا شك حارقة للعادة

وساد السموت يساره . ووجدني استغرق في التفكير
هذا الزجر الحاسن أمانى . قد أمكنه أن يعيش في
قرن مصرى . . إن معلوماته لا شك أدق من الجبرق ، ومن
أى مؤرخ كتب عن عصر محمد علي . إيه أنصر ، محمد
علي . . أو يستصعب إنصاره .
وسألته في لحظة .

- هن رأيت محمد علي ؟

- رأيت مرة يمر بعربته من أحد الطرق ولحمت جانب

و ١٩٤٧ .

- والقيوب عمر مكرم ؟

— رأيت حارجاً من ميدان الحسين في حمرة من الناس
— ومن رأيت من رجال التاريخ عبر هؤلاء . حدثني
بالتفصيل كيف وحدثهم .

ولكنه مر رأسه . . ولم يبد عليه أنه ينتم كثيراً لرجال
التاريخ وأجاب بعد برهة صمت .

— يجب أن تذكر أني لم أعش في حياتي تلك كثر
ولم أكن أهتم كثيراً بأن أعدد وراء هؤلاء المشاهير لأصبرهم
كيف يمدون ، ولا ماذا يرتدون . لقد كنت فرداً عادياً
وكنت في حياتي الخاصة لني أهتمام بها .

— ولكن هل كان من حولك يحسون بك ؟

— طبعاً . هل تظن كنت بينهم شحاً ؟

— وكيف كانت علاقتك بهم ؟ . .

— هذا ما أوى قصه عليك . . إن تلك العلاقات هي
التي أدت إلى المشكلة التي أعرفت نفسي بها . سأقص عليك
كيف بدأت . لقد تعودت أن أحلّس عندما أودع في
حياتي الأخرى على مفهفي بجوار باب الفتوح ، وصاحبت
من رواد المفهفي رحلين من كبار التجار ، حسن الحيمي ،
وهو عبد الرزوق الدساحي ، وفي ذات يوم ، وقد اندمجت
في حياتي العابرة ، وحلست على المفهفي بينهم دعائي ، الحيمي ،
إلى تناول العشاء معه . وترددت برهة ، ولكنه ألح عليّ

فقلت ودهت إلى داره دار شمه السوء وحررة الرياض .
ومد السوط .. فساوينا من الطعام مالد وطاب . ثم تمددنا
على المراتب بحسى القهوة

وانتسيا من المعهه وسألى مصبى إن كنت أود أن
أرى مستغلى فى لصحان فأحسته بالمواقفة وددى على
لسدى وطلب منه أن يس عائشة ثم انتفت إلى قائل

- إن اسى و عائشة خير من أن يقرأ لصحان . لقد
علمتها القراءة جارية بحمر نوات تربيتها بعد أن ماتت أمها
وبعد برهة أقلت عائشة

أجل .. أقلت و عائشة ، فأحسست أن فى يكاد يفقر
من بين أضلنى .

لقد أحببت بضع مرات فى حياتى هذه .. ورأيت
كثيرات من أنواع النساء . ولكنى لا أذكر قط أن علوا
استطاع أن يعدل بى كما فعلت عائشة .

لا أريد أن أصعب الوقت فى وصفها لك .. فليس هذا
بجال غزل وتشبيب ، وشكر مذكون .. المهم .. هو ما تركته
من أثر فى نفسى .. بعد أحسست أنها مرت فى دى وأناى قد
أصابت من سحرها نشوة عجيبة



1997

وقرأت لى الفئجان .. ولم أسمع بالطبع مما قالت
شئاً . وعدت إلى الدار وأنا شه غمل .

وعندما عدت إلى حياتى هذه .. وحدث أن الشيء
الوحيد الذى استطاع أن يعلق فى معنى من حياتى الأخرى ،
هو : عائشة

وبعدت بعد ذلك أن أراها فى كل مرة أعود فيها إلى
حياتى الماضية . من لقد أخذت أتعجل العودة إلى تلك
الحياة وأفضلها عن هذه الحياة

وتصور الأمر إلى حب متبادل بسا .. واستطعت
دات مرة أن أحبه وإياها واعترف كل ما يحبه للآخر
وصممت على أن أتقدم لخطبتها . عندما فرجت دات
يوم بأن عبد الرؤوف الدحاحى ، قد خطبها .

وأحسنت كأنما منى صاعقة . وعدت أن أناها
قد رضى به لأنه سيفقده من الإفلاس .. ووجدت أن الطير
قد أفلت من يدى . أو هو يوشك أن يفلت

وتمسكى ما يشبه الحور ، وصممت على أن أهور بها
أية طريقة . حتى ولو كلفى الحصول عليها .. حياتى ...
ما قيمة الحياة بدونها !

والتقيت بها حفية في حديقة الدار فوجدتها قد أدبرها
الخمر - وأتاني أنها لن ترعى محبوبي سوى ، وأنهم من
يرفوها إلى حظيرها الآخر إلا حنة هامة ، وافترقا في تلك الليلة
بعد أن صمما على أن يهرب سويا قبل أن يتم الزواج

وتركها وتسللت في حجب نضلام وصمتت لأن أقهر من
سور الحديقة عندما أبصرى الحارس ، وصلى الرجل لصا
وصرح ناصب ليجد وعدا حلي لعصاه للحق في
وأحدثت أعدو في الظلمة حتى تعثر بحجر فوهت على
الأرض ووجدته قد حلق ورفع عصده أيوى بها على
وسكنى بهمت بسرعة وأمسك بالعصاة منه عنها منه
وهويت بها على أسفه خر على الأرض صريعا

وصمتت صاحي بره طويلة ، ثم رفع رأسه وقد راغ
نصره ، وقال

- هذا هو الرجل الذي قتلته ، وجل كان يعيش منذ
مائة عام حارب قتلى ، فدافعت عن نفسي بقتله ، ولكني
عندما عدت لحبائي هذه ، وجدت أن القتل لم يكن سوى
وعم محمد ، .



ولم يكن أمامي حيز من الفرار لا لآي أحشى أن
 أنهم يقتله .. بل لآي لا أبدأ أن يشعلني شيء عن إنقاذها
 أحل . لقد أصبحت المسألة مسألة حياتهم أو موتهم . فهي
 مصممة على ألا ترف إليه إلا وهي حية همدية ولا تترك لي
 من إنقاذها

ومرة أخرى عاد إلى صمته ، ووجدت دهي مضطرب
بما فيه .

إن صاحبي في حالة غيبة لم يستق لها مشين . إنه يريد أن
يفقد حياة امرأة ماتت مدممة سنة . ويريد أن يفقد هاهنا
روح لاشك أنها قد بروحتة أو تروجت غيره ، فهو لن
يعبر في التاريخ الواقع شيئاً . . لأن ما حدث لاشك
قد حدث .

بعد حاول أن يعيد المصاصي وأراد أن يعين
شيئاً يستجبل فعله وسعد تلك المرأة مهما بد من
حول وقوة . . ولكن أنى له ذلك
ثم أحد يدي كالمحموم الذي تغطت عليه وطأة
المرض . .

وحاولت تهدئته وإيهامه أنه مهما كان من صحة قوله فهو
يعشق إسمائة غير كائنة ، وأن حاته تلك قد سست له أن
يرتكب في الحياة الأخرى حوادث وهمية . تظهر
تبيحتها العقلية في حياته هذه . . وأن القاموس لا يمكن أن

بعينه من تهمة قتل عم محمد ، إلا تحت ظرف . وهو أنه
مجنون .

وظلت منه أن يكف عن حياته الأخرى ، لأنه في
محاولة إيقاد صاحبه مرة أخرى قد يرتكب جريمة قتل
أخرى أو من يدري . . قد يقتله الحراس في الحياة الأخرى
فإذا تكون النتيجة في حياته هذه !

وأخير أصلت منه أن يبدأ ويسريح وأن يترك المسألة
للصاح . . فعسى أن يسأله الله من لديه رحمه ويهيئ سبيل
أمرنا راشدا .

ونكبي عنه ما استيقظت في الصباح م أحده . وبعد
راحة عبت أنه قد عاد إلى داره . . وأسئت أن البواب لم
يشعر به إلا وهو يهوى من الشرفة فيسقط إلى الطريق
جثة هامدة .

وظهرت الصحف لتروي حادثة الحادث تحت عنوان
المهندس الذي قتل خادمه ولاد ، القرار ، يتحرق بالقاء نفسه
من الشرفة . .

ولم يدرك إنسان ماذا يمكن أن تحوى تلك الأسطر من
 حوادث حارقة وانطوت عمقه حياته لمردوحة . التي لم
 يعرف عنها أحد سوى وسواه



تري كيف كانت غائبة في الحياة الأخرى . . هل استطاع
 إنقاذ صاحبه ؟ . .



کائنات کا سفر

وہ کہتا ہے کہ یہ دنیا ہے
 جس کا مکان ہے جس کا نام ہے
 وہ کہتا ہے کہ یہ دنیا ہے
 جس کا نام ہے وہ کہتا ہے

.. سيد وحادم . شديداً من رباط من الود

تجانيه متين وألفت الأيام بين نفسيهما فأصبحا لا عني
لأحدهما عن الآخر .. فهما أشبه بإسنان وصننه .

أما السيد فهو الأستاذ الدكتور عبد الله اششوانى ..
أستاذ علم النفس بالجامعة . عالم من كبار العلماء . المشهود لهم
بالعقيدة والسوغة ووفرة العلم . يحبطه عارفوه ومريدوه بهالة
من الإحلال والتقدير والإكثار ، ويحبط هو نفسه بهالة من
الشهادات ذات الأحرف الأفرنجية المتعددة التى من أن
يفكر فى فك رموزها إسار . وهالة أخرى من المؤامرات
والمحاصرات التى عمر بها المكسات والمعاهد .. وهالة نائمة
من لشدود والشرود والذهول الذى يبد للإنسان العادى أن
يراه فبمس يتحيلهم أرقى منه .. ولست أظنى مهما حاولت
أن أنكم على الرجل أو أكتب عنه بلهجة ساحرة . بمستطيع
أن أنكر فيه فصلا هو السب فى كل ما وصل إليه .. وهو
فرط الدكاء . المقترب بطيب الخلق ، وكرم النفس ، والميل
إلى فعل الخير .

ويحيل لى أن الرجل قد وجد أن علم النفس أصحى (مودة)
هذا الجبل وأن الإنسان من فرط ولعه بنفسه قد أقبل عليها

يحبها ، ويشرحها . ويقتلها بحثاً وتمجيصاً . . . فأتجه إلى دراسة
« علم النفس » ، وبرع فيه . كما كان لاشك سيعرج في أى شيء .
آخر يوليه نفس الاهتمام والإقبال . وفقر الرحمن من درجة
إلى درجة . وبال شهادة تلو الشهادة . . وبين عشية
وصباحها ، وجد نفسه أستاذاً شهيراً ، وعالمًا حليلاً .

فإذا ما عصفنا الطرف عن الرحمن كعالم وأستاذ ودكتور
وتركنا جاساً مؤلفه ، ومحاضراته ، وشهاداته ، وتلامذته ،
ومقبرته ، وعارفي فصله . . . وحاولنا أن نصفه كإنسان
عادي . . . ونعقناه في عمر داره . وجدناه قد جلس في
حجرة نومه لينصت عنه ملائسته .

الساعة الثانية بعد الظهر ، والرجل قد عاد من الخارج . .
بعد أن انتهى من حضور أحد المؤتمرات . . التي تعقد وتنفض
دون أن يعلم هو مما شيداً . . فهو إما متكلم أو (سرحان) .
ولا تظن بقية الأعضاء حيراً منه . فكثيراً ما يجتد النقاش
بينهم في أمرهم متفقون عليه . . أو يحاولون إقناع بعضهم بعضاً
برأى لم يختلف عليه أحد .

وبدأ الرحمن في خلع ملابسه وقد وقف ساب الحجرة
وعلى الليث ، خادمه الأمين أود العرة الأخرى . كما كان
يخلو لبعض الناس أن يطلقوا عليه فهو يكاد يكون حصو

سببه . ببرأحدهما والآخر شه غيب . ولو خلا لأحدهما
مرة أن يفس نيات الآخر فخرج . عم على . مثلاً من ابدار
مرتدياً بذلة سيده الرذعنوت ورافته المشه للثين لا يعيرهما
حتى في هجير مؤونة . وأملك حصاه وأط حافطته . وكس
طريوشه حتى أدبه . ووصع على عبده مطره سميك
لما شك أحد في أن ارجح هو الدكتور . عبد الله . نفسه
أو لو حطر بدل امرى . أن يعردهما من شباب ووصع
كلا منهما أمام أحبه عارياً لتسب في مشكلة كبرى
إذ يصعب أن تغير الخادم من السيد . ويريد لمشكلة صعبة
أن الأمر لا يد سيجلط عليهما فلا يعرف أحدهما من
يكون . اللبني . ومن يكون . الشواي .

حلع الاستدسنة . وفدى بها على الفرائش . ثم بدأ يفت
أررار السطلون وزكه سقط على الأرض . ثم حلع الفميص
ورماه على أحد المقاعد . ووقف في أرض الحجرة مرتدياً
سروالا من العانة الصوف عطف ساقه الرفعتين حتى
لقدمين . وفانة صوف ذات أكام طويلة . واه وسطه
بحرام صوف خمس أو ست مرات . وعلى رأسه استقرار
الطريوش ثاساً على أدبه .

وكان الشهر وقتذاك شهر يوبه . والساعة - كما ذكر -



الثانية طهراً وست أضفى في
حاجة بعد ذلك إلى أن أصعب
النار الموقدة التي كان يستعر
أوارها ولا تشده الذي
كان يهب من الوالد فملحح
الاحياء

ورفعه السيد عبد الله
في وسط الحجر وبدا عليه
أنفقد فقد كان الصوف يحرق

جسده ومده عري يده باحبات الكسور الثقيل
وسأله الأسناد متردداً

— أنسب ترى أن الجوف قد دق بعض شيء.. ما رأيك
في أن أحلج الحرام؟

ولم يحبه عم علي ولا طهر عليه حتى أنه قد سمع سؤاله
بل دفع إليه بالحداب وقال له ملهجة حارمة :
— لنس بسرعة . ولا تستهوي .

وأسرع الأستاذ بوضع الحلبات على جسمه بسرعة .
فقد حاف فعلاً ، أن يستوى ، . فقد كان في مسائل والبرد
والحراره . وكل ما يمكن أن يؤثر على الصحة سماً اعتماداً
كلياً على د عم على ، . وثق فيه كل الثقة .

ولم يكن صاحباً قد حلق بعد طريوشه . فقد كان رأسه
هو نقطة الضعف فيه . ولم يكن يحسر أن يتركه عارياً لحظة
واحدة . . وطل الطريوش حائماً عليه حتى تعطف د عم على ،
ومد له يده ، بالطاقيّة الصوف ، ففرع الطريوش ، وكبسها ،
لسرعة على رأسه .

وبدا الخادم المهرم يملق الثياب على المشجب وحلس
الأستاذ بعرك أصابع قدميه ، وبدفع عصاه في فمها فيحك
بها ظهره . ثم سأل الخادم نحوه

— عم على

ورفع الخادم إليه عييه دون أن يحبه . واعتبر السيد
هذا بمثابة الرد ، وأردف بتم حديثه .

متى أسحم ؟

رفع د عم على ، حاجبه علامة الدهشة وقال في حق .

— ألم تستحم منذ شهرين ؟

— آه . . لقد نسيت .

ولم يكن الرجل قد نسي . ولكن لم يجد رداً أسلم عافة
من هذا . وعاد فسأله بعد برهة

— ماذا طبخت اليوم ؟

— قرع .

وبدا الازعاج الشديد على وجهه . وقال في استياء .

— قرع ؟ أنا لا أحب القرع .

ونظر إليه . عم على . نظرة رادعة

— القرع حبيب على معدتك . لقرع المسوق

وازداد ازعاج السيد وعاد يكرر

— قرع مسوق ؟ ولكن معدتي بحير

— ليست بحير .

— ولكني لا أحسنها الماء . إنها بحير .

— وأنا أعلم أنها ليست بحير . لقد كنت . تنكرع .

كثيراً في الليلة الماضية .

وهو الأستاذ رأسه وأدرك أنه لا فائدة من المناقشة .

فانحدر الجواب الأمر . . وأجاب الإجابة التي تقيه الثمر .

— آه . لقد نسيت . . معك حق ، وماداً صنعت حلواً ؟

— بلوطه .

وبدا الاشتمرار على وجه ليد . وقال بلهجة المملوك
على أمره :

— كنت أفضل البطاطا . نطاط معمنة في العسل
لنحل . . إنها تماماً كالمارون حلاسيه . بل وحير منه
— هذه أشياء ثقيلة على المعدة . . هذه رمرمة . .
— معك حق . إن شاء الله عندما تصح معدتي سحرت
هذه الأكلة . . عدا ما تحب معدتي تماماً

ولم يحب . عم على ، وقد تحرك حارج الحجره بعد أن أتم
عملية تطبيق الملابس وتغريشها .

وجلس الأستاذ بديا أول صغامة . ويدفع بالفرع المملوك
في حوفه متقراً منادياً . وهو يرقب . عم على ، الواقف على
باب الحجره نصف عبي . وقد تملكه منه حق شديد . .
وطافت برأسه صجبتهما القديمة . وتذكر صغامها وكيف أرسله
أبوه معه من البلد لخدمته والعناية بأمره . . كان ذلك منذ
أربعين عاماً . . وذهب الإنسان إلى لقاهرة . فاستقرهما
المقام في إحدى حجرات شارع . مختاراً بالبنالة . . ومنذ
ذلك اليوم لم يفسارق أحدهما الآخر لحظة واحدة .
هل من الإصاف بعد كل هذا أن يوصف . عم على ،
بأنه كان خادماً له ؟

طبعاً لا . وهو ليس من الصفة . وبتكر الخير بحيث يعتبر
الرجل حادماً فقد كان له كل شيء . كان الآب . وكان الأم .
وكان الروح . وكان الشيء الذي لولاه لما كان هو نفسه .
ولما وصل إلى ما وصل إليه . لقد كان المشجع . وكان
لصير .

أرغمون عاماً . نقلت كلهما بين يدي الرمز في رفع
وحصص وسراء وصراء . وهما متلازمان متماسكان
كم سهر بجواره بعبه على الاستدكار تحت ضوء المصباح
العري الخافت . وكأرق لمسه . وحاج لبطامه . كم تحمل
في سببه الأذى والضر .

وبدأت الحياة تنقسم وأحد يرتقي الدرج شيئاً و شيئاً وبدأ
يسطع بحمه . وكان ، عم على ، يعرف واحده تماماً ويعرف
كيف يدبر أموره . ويرتقي بالمسكن والمجلس ووسائل العيش
حتى يجعلها تناسب دائماً مع مركزه في الحياة .

ولم يكن هو نفسه له دخل في هذه الأمور . بل كان
لـ ، عم على ، سمجماً مطيعاً . وهو يعرف أن الرجل ولي أمره
وهكذا وجد نفسه يتنقل من العالة ، إلى ، جنبه
ناميش ، إلى ، حبيبه رشيد ، إلى ، المنيرة . . ولو كان الأمر
بيده ، لظل كما كان . في حجرته بالعالة . . ولظل مداوماً على

القول ولطعمية ، والعسل والطحيحة - وفي حالات اليسر -
البيض والمعجوة

أرعبون عاماً . لا يستطيع أن يتصور كيف كانت تمر
به لولا « عم على » .

واردد الرجل آخر قطعة من القرع المسلوق ، وأمسك
بالمعلقة يدفع بها في « طلق النالوطة » ، غمضى النبرم
والاشتمزاز . ورفع عينيه إلى الرجل الواقف بجوار الباب
كأنه تمثال لا يتحرك ورمقه « طرة حق وعصب » ، وعار يحدث
نفسه .

لقد أصحى الرجل لا بطباق ، وأنه لبيكاد يصيق به درعا
ويسى له فصل الأربعين سنة من حرط ما نسب له من
مصايقات ، ما صرّه لو استدبل بالقرع بطاطس أو باديجال .
ثم ما لداعى لهذا الإصرار منه على الحرام انصوفى الذى يثقل
به بطله .

ولكن الذب عنه هو . . فهو المستكين المسلم ، وهو
الجاهل الذى لا يعرف من شؤون الحياة شيئاً . لم لا يحصر
له طباحاً ويحصر له « صفة حدم آخري » . لقد كبر « عم على »
ومن الحق أن يعرض نفسه عليه مدى الحياة . . إنه قد أصحى
هو نفسه فى حاجة إلى من يخدمه ، لقد أصحى متعباً . وتعباً .

وراد الطين بنة هذا الصمم الذي أصيب به أخيراً مما يضطره
إلى الصباح به بصع مرات حتى يستجيب لدائه .. ولقد تعود
الرجل أيضاً أن يتحدث معه ، وأن يرى أشياء لا يراها سواه ،
أشاحاً أو أرواحاً أو شيئاً من هذا القبيل . ربما خيالات
وأوهاما . وهو بسب له بذلك إزعاجاً شديداً .. حتى أنه
ليحسنى أن ينتهى الأمر بأحدهما إلى الجنون

وسمع ، عم على ، بنتم لعمه بضع كلمات .. فأصابت
الاستاد رحمة شديدة ، ولم يعد حيراً من أن يكلم الرجل حتى
يمعه من الحديث إلى عمه ، فصاح به

— عم على ..

ورفع الرجل بصره ولم يحجب .. واستمر الأستاذ .

— سيرونى اليوم صيف فى حوالى الخامسة بعد الظهر ،
أرجو أن تجهز لنا شايًا .

وصمت لحظة ثم أردف :

— صيف عزيز ورجل محترم من عليه القوم . فأرحوك
أن نخرج الطعم الصفى المذهب .

وأشار الرجل برأسه علامة الموافقة .

وعاد الأستاذ يؤكّد

— الطقم الصنى المذهب لا أريد أن نخشى
أمام الرجل بالساحين الفجار الصغراء .
وقام . الأستاذ . لبعض يديه إلى حجرته
لبسط طقم . ومرتأداً وهو يرين ناياباً لصعاب من فوق
المائدة فقد له لسره الرابعة

— الطقم الصنى لا تنس
وأشار الرجل بالمواقفة دون أن يصيبه أى ضيق من إحتاج
سببه . ووافق أن هذا الإلحاح من جانب الأستاذ لم يكن
فى غير موضعه . فقد كانت مسألة . طقم لثنى . من المسائل
التي صحت مدقة . بهما لم يحسمها نقاش أو رراع
وه . عم على . يتحد من طقمى لثنى . معبراً يرب به
أفكار لئس . وراء قد قسم الصيوف واصحاب إلى قسمين .
قسم مرعوب فيه . وقسم غير مرعوب أو كما يقول
هو . الأشرار والأرار . وهو يصر على ألا يشرب الأشرار
إلا فى الفجار . أما الطقم الصنى فهو يحتفظ به للذين يود أن
يخصهم برصانه . ويشعرهم بأعراره وهو يعتبر
نفسه فى هذه المسألة . . . مسألة الفجار والصنى دكتاتوراً
مطلقاً . الذى يقرر أهل الصنى وأهل الفجار .
وكان من المحتمل ألا ترعج . الأستاذ . هذه المسألة .

وأن يقن بحكم ربح وبها كما قيل تحكه في غيرها ، لولا أنه
يحب أن ، عم على ، يحاط بين أقدار الناس ، فيقدم الصيني لمن
لا يستحقه ، ويقدم الفخار لمن يستحقون الصيني . فلم يجد بداً
من أن يحذر ، عم على ، في كل مرة ويعلمه عن الطقم الذي
يحب أن يقدم ورع هذا الحديرو "المهم" . كان ، عم على ،
لا يفعل إلا ما في رأسه

واليوم سيورده ربح من كبار الرجال دوى الشان
والمحاكة ليستشيره في مشكلة أملت له . وليسأله العون
والصبح باعباره من كبار علماء النفس . وهو يحشى جداً أن
يحدثه ، عم على ، كمادته . فيقدم ، الشاي ، للرجل في الطقم
الفخار . لم يجد بداً من تحذيره والإخاح سبه .

ودقت الساعة الخامسة ، ودق معها حرس الساب ،
وكان الأساقفة انتهى من ارتداء ملابسه . وسمع ، عم على ،
يفتح الباب . ويدخل الصيبي سكون إلى حجرة الاستقبال
فوضع المطار على عيبيه . وكبس الطربوش على رأسه ،
وهرب لتجبة الرجل . وصادف ، عم على ، حارجاً من
الحجرة ، فعاد يكرر عليه للمرة الأخيرة :

— الطقم الصيني يا ، عم على .

وهر ، عم على ، رأسه موافقاً كمادته دون أن يمس
بينت شفة .



وحلس ، الأستاذ ، يحي صيغه . ويحيطه عما يليق بمكانته
ومركه من آيات الاحترام والإجلال وجرت بين الاثنين
أحاديث سطحية عابرة . عن الجو . . وعن السياحة .
والغلاء .

وبعد فترة دقي الساب ، ثم دلف ، عم على ، إلى الحجرة
متحركا ببطء . وتؤدة حاملا صبية رحمت عليها العاجين ويراد
الشاي وبقية الأدوات ، وكان الأستاذ موليا ظهره لآب الحجرة
فلم ير الرحن حتى لف حوله ووضع الصبية فوق المصدة .
ونظرة الأستاذ إلى الصبية ، وأحسن بحجة أمن شديدة
إن الرحن لم يلقى الفلين قد ركب رأسه وصرر برجائه عرض
الحائط . فقد أنصر على المنضدة الثلاثة فاحين الفجار .
وعلام الفجان الثالث ؟ . نرى هل يوى الآحق أن يحلس
فبشار كهما الشاي ؟ من يدري ؟ قد يصعلها . . فقد تطور في
السنوات الأخيرة فأصحى لا يستعد عليه أي شيء .

ورفع السيد نصره إلى خادمه الذي وقف في صمت بجوار
المنضدة . . والتفت الأنصار . وكان كل منهما يستطيع أن يقرأ
ما في رأس الآخر بسهولة . ولكن في هذه المرة لم يجد في
عيني خادمه ما يقرأ . . فقد بدا عليه شيء من الشرود . . الشرود
الذي يديه وكأنه يرى أشياء غير مرئية ولا ملموسة . . ولشد

ما كان ذلك يزعم الأستاذ ، وبجميعه . وأمر حادته أن يعادر
الحجرة لأنه سيصيب الشاي بنفسه .

وأحد الأستاذ يصب الشاي ، وبدأ صاحبه يقص قصته
قال الرجل : إن مسألته من المسائل التي يصب على العقل
الشرى تصديقا ، فهو مصاب بشيء لا يحسن به سواء ، وهو
يحشى أن يعضه على الناس فيتموه بالحوار ، وبدا فقد خأ إليه
لأنه يعتقد به سمة العقل وهو لا شك يستطيع أن يفهمه جيدا
كان الرجل عرو في مساء امرأة من بات الهوى . . وحملت
من المرأة تحاول إحياها عشا . وحان وقت ولادتها فقلها
إلى إحدى المستشفيات ، وكانت ولادتها عسيرة مصيبة .
وأخيرا وصفت الحبيب وعانت هي ، وأوصته بأنهما خيرا
وهي تلفظ آخر أنفاسها .

ورشف الرجل من فحواه الأصفر رشعة صويلة
وعاد يقول

.. لتصور ياسيدي موقفي وأنا في السنة النهائية من
الدراسة .. وأنا أعيش في بيت والدي الرجل القاسي
لصارم . وقد أنجمت أبا ، لا أم له .. ولا إنسان يحمل عي
عنه .. لقد حنت إلى أحد الصادق .. واستأخرت وإياه
عرفة . آو به فيها .. حتى أستطيع أن أدبر أمري وأمره .

وكانت ليلة عاصفة شديدة المرد. والريح تعوى في الخارج
عواء دثاب صارية . وبعد خججها إلى الحجرة من حلال
الوafd كأنه شيخ الأفاعى . . وأحدث رأسى لىكى أحدى
مخرجاً من مرقى . وأخيراً مر يدهى خاطر عجب .
استطعت بواسطته أن أتخلص من حلى إلى الأبد .

لقد خطر لى أن هذه الريح لمأوية خير من يحمل عى
عنى . . فوفقت لها المساعدة وسمحت لها بالدحول لحطة
وأطلقت قرها على الطفل . فإها لاشك ستكون القاصبة .
وسيموت الطفل دون أن يكون هاك أى مطهر من مطاهر
الجرمة .

وبعد لحصات كانت الريح ترأر فى الحجرة . . والطفل
يرنجف ويرتعد . . وفى الصباح فصى الأمر . ودهت إلى
الدار بعد أن ألقت عى ما أنفل كاهلى ! !

وصمت الرجل برهة شرد بها دهنه وعاد بنتم .

— لقد طئت أبى تحلصت من العبه هائياً . فقد ذهبت
الأم . . وذهب الطفل . وأصبحت حراً طليعاً من كل قيد . .
ومرت بى الأيام وأنا أعتز من ملذات الحياه حتى شعت

وارتويت . ثم شعرت أحيراً محس إلى الاستقرار وإلى أن
يكون لي روجة وبيت وأولاد . وفعلاً تزوجت . . ووصفت
امرأتى أول طفل

وفي ذات ليلة . ليلة ليلاء سوداء . أحسست بالعادة
تفتح على مصراعها وبالريح تندفق من الباعة وبعد بضعة أيام
مات أبى .

وقد تقول أن
الحادث مجرد
صدفة . . وقد
كنت أستطيع أن
أقع بمسئدك .
لو لم أرها نعي
أنى تعدر مطلقة
من الحجرة بعد



أن فتحت النافذة .

من هي ؟ . . . المرأة القديمة ، التي قتلت انها . لقد عدوت
حلمها وهي تعدو إلى الباب بعد أن فعلت ما فعلت وحاولت

أن أهوى على رأسها نصاي هذه .. ودملت روحي وحاولت
أن تمسك بي .. لأنها لم تستطع أن تنصرها كما أنصرتها .
وطنتني أنجيل خيالات ..

ولقد عادت لي بعد ذلك . لتطاردني في كل مكان ، حتى
بت أحسن أني على وشك الخوص .. إن لم أكن قد أصبحت
بالعمل مجنوناً .

وصحت الرجل وبدأ الأستاذ يهدي من روعه وبرمه أن
ما به عقدة ممية مانحة عما يحسه من تأييب الصمير على الجرم
الذي ارتكبه .. وأنه ليس هناك أية امرأة تطارده .. وأن
النافذة قد فتحتها الريح .

وأخيراً حرح الرجل بعد أن هدأت نفسه بمص الشيء
وأقبل ، عم على ، ليحمل صيدية الشاي .. وتذكر الأستاذ
مسألة الفاسجين وكيف أحمله . عم على ، مع الرجل بالعاجين
المحار . وضغط على أسنانه وصاح به باهرأ لأول مرة
في حياته :

— ألم أقل لك أن تقدم الطقم الصبي . لقد كررت
عليك الرجاء مائة مرة .. ماذا أصعب لك ؟

ونظره عم على ، إليه وقال ههوه .

— الطقم الصبي ليس به سوى فتحاتين !

— ومن قال لك أنا تريد أكثر من فتحاتين ؟

وصحت ، عم على ، برهه وهر رأسه وقال وهو يحمل الصبية

وبعاد العرقه ببطء وثقل ، وفي عيبيه الطفرات الشاردة التي

تظهره كأنه يرى أشياء خفية :



— لم أكن أظن أن المرأة التي تمتع الرجل ، ستصرف

دون أن تحتسب الشاى .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ومُسْتَظَلِّمٌ قَوْلُهُمْ قَوْلُ
 مَنْ هُوَ أَعْلَمُ؟ أَمْ هُوَ أَعْلَمُ؟
 مَنْ كَانَ أَعْلَمُ؟ وَمَنْ هُوَ؟
 وَمَنْ؟



صحبة سمر ذات ليلة . . وتشعب بها الحديث
 كننا دو الشجون ، وإذا به يحوص بها في العالم المجهول .
 عالم الأرواح دو اللحج العميقة والمجاهل والمصال .
 وألقى كل منا بما يعرف . وما لا يعرف . . وبدا حديثنا
 أقرب إلى الترهات والأباطيل . والآقاويل والأضاليل .
 ولم أحد في كل ما قبل أكثر من حطاط عشواء في عباها
 شك ، وظلمات ترجيم .

وتتابع الحديث ، واحتدم الجدال . كل يسوق الأدلة
 ويضرب الأمثال . . وكان يتنازمل طيب لأم الصحة ،
 لما فاه بنت شمة . . واستمر يصمت ولا يتحدث حتى أمرغا
 ما في جعلتنا من هراء ولغو وهذيان . . ثم رأيناه يهر رأسه
 بظه كأن هناك ما بحيره ويشعل دمه مما لا يرد قوله .
 وقلت له متسائلا :

— ما بالك ؟

— لا شيء . . حير لنا أن نكف عن الحديث في
 الموضوع . فحي أغمر من أن نستطيع فهم حقيقته ، أو
 إدراك كنهه . . وحير لنا أن نقع تطواهره من حمياها
 والأناحول كشم عباها . . فكما ارددنا توغلا فيه ارداد عليها

حكمة وتعقيداً . اسدع العالم المجهول .. مجهول كما هو
ولق أسفا خطر عليه .. ولقد صادفتي حادثة لها مصادا
العالم صلة . حاولت أن أخلص فيها وأبحث وأحد في التعيين
والتفسير .. ولكنني لم أفز بظائل .. ونأيت بدهي عنها حشية
الحسن وقبنتها على علامتها .. وفرت من العلم سلامة العقل
وصمت لطيب برهة استعاد فيها الحوادث إلى دهبه
ثم قال :

- لست أدرى .. لم كنت أول من لحا إليه خادمه
عسما وجده ميتاً في مقعده . ولكن أعاب طي أن الخادم
نفسه لم يحظر على ناله أن سببه مات فعلا . عند ما اقتحم
عليه غرفته بعد أن وجده قد تأخر في الاستيقاظ على غير
عادته . فهو حى . بأن يراه قد تمدد على مقعده الصحم بجوار
آلة التليخون وهو بكامل ملابسه .. ولم تحظر على مال الرجل
فكرة الموت .. بل ظن أن المسألة لا تعدو إغماء بسيطاً
فأسرع في استدعائي

وددت وفاة الرجل للمستولين وفاة طبيعية .. لا دحان
حوادث ولا عار عليها .. فقد مات الرجل بالسكنة القلبية .

ولم يكن هناك أى احتمال لأن يقال شئ غير هذا . ومع ذلك فقد كنت أحس في قرارة نفسي بما يبشئ أن في وفاة الرجل شيئاً حجباً . لقد كنت أعلم أكثر من غيري . أن الرجل ذو قلب سليم قوى . فقد كشفت عليه مسد نصعة أيام . ولم أحده ما بيعت على القاق . ثم ما معنى تلك التعابير لعجبة التي ارتسمت على وجهه الميت ؟

كنت أعرف الرجل منذ سنين حلت . فقد كما جيراناً في المعادى . . ولم تكن داره لتبعد عن دارى إلا مسيرة دقائق معدودات . وعرفته في أول الأمر كرفيق قطار . تشابهت مواعيدنا . فنكرر لقاءنا في القطار دهاً وأعودة . حتى كنت لا يكاد يمر على يوم دون أن أنصره . . ولم يكن هناك بد . . والأمور كذلك - خاصة وأن لرجل لم تكن تبدو عليه سيئات شر . . ولا محائل سوء . - من أن تنشأ يدساً صداقة عارة لا يريد مظهرها عن إيمان بالرأس ، وتبادل بصع كلمات عن الجو ، والسؤال عن الصحة . .

كان الرجل أسمر الوجه حليق . . على شئ من السداة والترهل وثقل الحركة . وكان يبدو في اخلفة الخامسة



من عمره أبرز ما فيه
مظاهر الطيبة التي
تبدو في قسماته ،
والتي تعززها تلك
المسبحة التي لا تفترأ
حباتها تنزلق بين
أصابعه .. وتلك
الهمسات غير

المسموعة التي تتمتع بها شعثاه

واردادات يبا أو أصر الصداقة . فعبت أنه رئيس فم
في إحدى المصالح ، وأنه يملك فوق مرته دخلاً ثانياً من أرض
لزوجته مما يجعلهما في بسطة من العيش . خاصة وأنهما لم يجعنا
أساء .. وعمر الأيام بدأت أنادل مع الرجل الزيارات
المنزلية فوحده وروحه مثلاً لزوجين راصين قلعين ، يجد
كل منهما في قناعته بصاحبه أقصى متعة في الحياة .

وعندما أقول روجان راصيان قلعان قد يبدو ذلك
الوصف طبعياً بالنسبة لأي روجين .. لأن المروض في
الزوجين قناعة كل منهما بصاحبه .. ولكي من جاني أرى

أن الرصف على شيء من العراة .. لأنني لا أعتقد أن لقاعة
شيء طبعي من جانب الرجل - ولعذري الرجال على هذه
الصراحة ، فكلنا في الهوى سواء - لأن الرجل حتى تطعمه
شديد العطش إلى الماء . لا زوى عنه امرأة واحدة .
ولا اثنتان . ولا عشرة . ولا مائة .. فهو دائم لتطلع
إلى كل حياء يقع عليها بصره .. قد يختلف الرجال في
قدرتهم على كبت ذلك الشوق وإحفاء تلك الالهة . وقد
ينفجرون في مدى تهاوتهم أو السيطرة على بؤسهم .
ولكن ما من شك في أنهم في بطونهم رجل واحد يسمى
أن يرغمي في أحضان أول حياء تصادفه .. حتى ولو كانت
له مائة زوجة .

وعلى ذلك فقد كنت أرى في قساعة الرجل بروحه ..
وفي رعبته عن سواها ورهده في غيرها .. حتى ولو عجز
التطلع أو الحديث شيئاً يستدعي من التقدير والإعجاب ..
وكنتم أدهش من ذلك الإمعان منه في البأى عن كل ما يتصل
بالنساء ويسيرتهن .

وعند ما رادني الأيام معرفة بالرجل وبروحته بدأت
أصائل نفسي :

ترى أدلك الإخلاص منه والوفاء بمعتهما شعور صادق
بالقناعة والرضا .. أم أن بمعتهما ليس سوى حشية المرأة
والخوف منها ؟ لقد كانت الإجابة عن ذلك أمراً عسيراً ..
فالرجل مثل جيد .. لا يستطيع الإنسان بسهولة أن يسير
عوره . ولكي كنت أميل إلى الاعتقاد الأخير — لا لأنى
من أنصار المبدأ القائل بأنه لا يوجد فى الدنيا رجل فروع
بامرأته قناعة حقيقية غير مكره عليها — بل لأن المرأة فعلاً
كانت من نوع شديد السيطرة ، قوى الشكينة .. تتحكم فى
كل شئ . وتتصرف فى كل ناحية .. وكان هو سميعاً مطيعاً ،
راضياً قانعاً . أو هكذا كان يبدو .. فقد كان كما قلت
مثلاً جيداً .

وفى ذات يوم أصيبت المرأة خاة بتريف فى الرثة .. وأخذ
مرور الأيام ينهش من حياتها حتى تركها جسداً طريح الفراش
هريلاً نحيلاً .. وعندما ماتت لم يكن فى موتها أية معجزة ..
فقد كانت نتيجة منتطرة محتومة . ولا أظن الرجل إلا قد
حزن عليها ، وإن كان قد حاول جهده أن يبدو متمالكاً متماسكاً
وبأن يتدبر بالصبر والإيمان .. ، إياقه وإناقه إليه راجعون .
وبدا عليه هزال شديد فى الفترة التى أعقبت الوفاة .. وكان
دائم الوجوم والإطراق .. وخبل إلى أنه يقاسى ألم العرق

والوحدة . حتى وحدته بعد فترة من الوقت يسترد نفسه ..
ويعود إلى سابق حاله .. لا تحول ولا دول . ولا وحوم
ولا إطراق .

ولم أحد في أمر الرجل شيئاً من العراية . لأنني أعلم أنه
ما من نعمة من الله بها على عبده خير من نعمة النسيان .
وأنه ما من حزن أصاب الإنسان إلا وكان الرمن كميل محموه
كل شيء . في الحياة إلى الروال مصيره . حتى الأحزان .
والأشجان .

أقول إني لم أدهش في أن يعود الرجل إلى نفسه .
ولسكني دهشت كثيراً عند ما وجدته قد عاد إلى أكثر من
نفسه .. لقد لمحت به كثير تحول وتبدل .. فاعاد يعرض عن
سير النساء أو يتجنب الحديث عنهما كما كان يفعل قبل وفاة
زوجته .. وما عاد يحشى أن يبدي إعجابه بهذه أو تلك ..
وذهب عنه قديم رهنده ، وسابق تعفنه .. وبالطبع لست
أقصد بقولي هذا أن الرجل قد تحول فصار رپر نساء . أو
أنه قد بات صائد عوان أو مطار دظباء .. فإنه ما زال كما هو
بطبيعته وحيائه . ولكنني تبئت ذلك التحول من طريقة



حديثه .. فقد بدأ
يكشف الحجاب
عن نفسه، ووضع
لي أنه مخلوق مثلنا
يستلمح ويتمنى
ويشتهى، ولم أشك
وقتش في أنني

كنت على حق عندما صلت أن معك ردهه وعفته كان حشبة
من امرأته لتي كانت شديدة البطيرة عليه .
وصادوك في بضعة مرات امرأة من أصدقاء روحته
تروره في داره .. امرأة لا أطل هناك أصدق في وضعها من
دست حمت .. ولم يكن من العسير أن أكتشف أن
صاحبا معنوي بها . فقد كانت توجد في نفسه حالة سرور
وشهوة ، ولم يكن يتورع من أن يخلع عليها العاطف المديح والثناء
وفي ذات يوم - ولم يمض على وفاة الروجة إلا أشهر
معدودات - بدأ لي من حديث الرجل أن به رغبة في رواج
المرأة .. لولا أنه يخشى بعض أقاربه الذين سيعارضون
في ذلك .. ولست أدري أي شيطان جمعي أنني في ذلك
الوقت أن أرى روجه في قبرها حتى أحرص لساني لها ولغيرها

من المحدثات في مسألة الوفاء الروحي وفي قناعة الرجل
ورده .

ومرت الأيام ، وأما أحسن أن المسكرة قد اختمرت في
نفسه ، وأنه قد يقدم عليها في أية لحظة رغم معارضة أقرانه
حتى وجدته يقبل على ذات مرة في دارى وقد بدا عليه قلق
ظاهر . وجلس يحدث إلى وهو يحاول أن يبدو طبيعياً
إلى أن قال فجأة :

- اسمع . . وقع لي اليوم حادث غريب يحيرني
أشد الحيرة . . فقد عادت مكتى في هذا الصباح لفترة قصيرة
وعند ما عدت أسأى صاحب المكتب أن سيدة طالبني
في التليفون وطلبت منه أن يذكرني بأن أحضر العشاء من
الغدا ، فقد مضت عليه مدة طويلة . . وأدهشى قول
الرجل دهشاً شديداً . فإن روجنى قبل وفاتها قد أرسلت
أحدنيها لتطيعه ، وما زال الثوب هناك حتى الآن . ولا أظن
أن هناك من يعرف أمره إلا أنا . وهي ، وصاحب المحل

مسألة غريبة ١١ ولست أسكر أن دهشى لم يكن أقل من
دهشه . . ولكنى حاولت أن أجند تفسيراً لأحدهم من قلقه
فقلت له إن المتحدثة لابد قد أخطأت الرقم ، وأنها قد تكون

روحة موظف آخر لها فستان نريد من زوجها إحضاره وأن
المسألة قد حدث فيها التباس .

وبدا لي أن الرجل يحاول جهده أن يقنع نفسه بما قلت
وفي اليوم التالي أقبل على الرجل وهو أشد تجهماً وأكثر
قلقاً . وأنا أتأني أن المحادثة تكرر . . وأنه لم يجد بداً من
الذهاب لإحضار الثوب . وبعد ما عاد به إلى الدار أقبل عليه
الخدام . وقد بدا عليه الارعاج وأبشاه أن سيدة نحدث في
التبصير وقالت لها ، المرحومة ، وظلت معه عند ما يحضر
سيده العنتان أن يطلقه في الدولاب الأوسط .

ولولا ما كان يدور على الرجل من دعر شديد لانطلقت
مضجها فإن لم أشك أن المسألة عث عاث . . وأن ما جأ
يحاول أن يهرل مع الرجل هراً لا ثقلاً . . وأحدث أهدي .
روعه وأهمه أن الأمر لا يمكن أن يكون إلا مرحلة بلهاء .
وعلمت أن الرجل متعب الأعصاب . وأن تلك المرحلة
الحديثة قد صادفت من معه مرتعاً خصباً للإرعاج فصحته
أن يأخذ أجارة وأن يخلد إلى الراحة التامة .

وصرفني عنه طرود العمل ثم لقيته بعد ذلك بأسرع .
فهالي أمره . . إذ وجدته قد أصابه هزال شديد وبدأ شاحب
الوجه عائر العينين . . وسألته في دهش عما أصابه . فأجاب
لا شيء . . . وعدت ألح عليه في السؤال قائلاً :

— لا بد أن يكون هناك شيء . أما رالت تقع
تلك المحادثات التليفونية ؟
وتهد الرحل تهيدة طويلة كمن يروح تحت عبء ثقيل ، ثم
قال في دهول .

— في كل مكان أذهب إليه .. أحد منها مسألة تليفونية
تنتطرن في المصبي .. وفي المادى .. وفي المكتب . وفي
المرل .. وأؤكد لك ياسيدى أن المحادثات لا يمكن أن تكون
مزحة مارج .. في معظم الأحيان أجد فيها أشياء عن الماصى
لا يعرفها إلا هي ، وأنا ...

— قد تكون المسألة مجرد توارد حواطر .
— مع من ؟ إنها تذكرني أحباءاً بأشياء أكون قد نسيتها تماماً
— ولكن هذه الأشياء لاشك موجودة في عقلك الباطن
— ياسيدى ! لا ادعى أنهمك بالسحب ! من ظن ذلك
الذى يظن بطاردنى بين القاهرة والمعادى ليسب عما في عقلى
الباطن لمكى بقله إلى في التليفون بعد ذلك ؟ . ثم هناك أمر
آخر ، هل تصدق أبى ذهت لزيارة بعض الأقارب فوجدتهم
في حالة دعر بحيف وأخبرونى أنها قد طلستى قبل ذلك بلحظات
وأن من ردت عليها استطاعت أن تغير صوتها تمام التغير . إنها
تعرف كل مكان أذهب إليه ، حتى ولو ذهت إليه فجأة .

ولم أدر بم أجيب الرجل .. فقد كانت أعصابه عظيمة ، ولم
يكن هناك فائدة من الحديث معه .. وعد ما ختمته طيباً
وحسنه عليها معاني ليس به إلا إجهاد حساني مانح عن
الآرق .

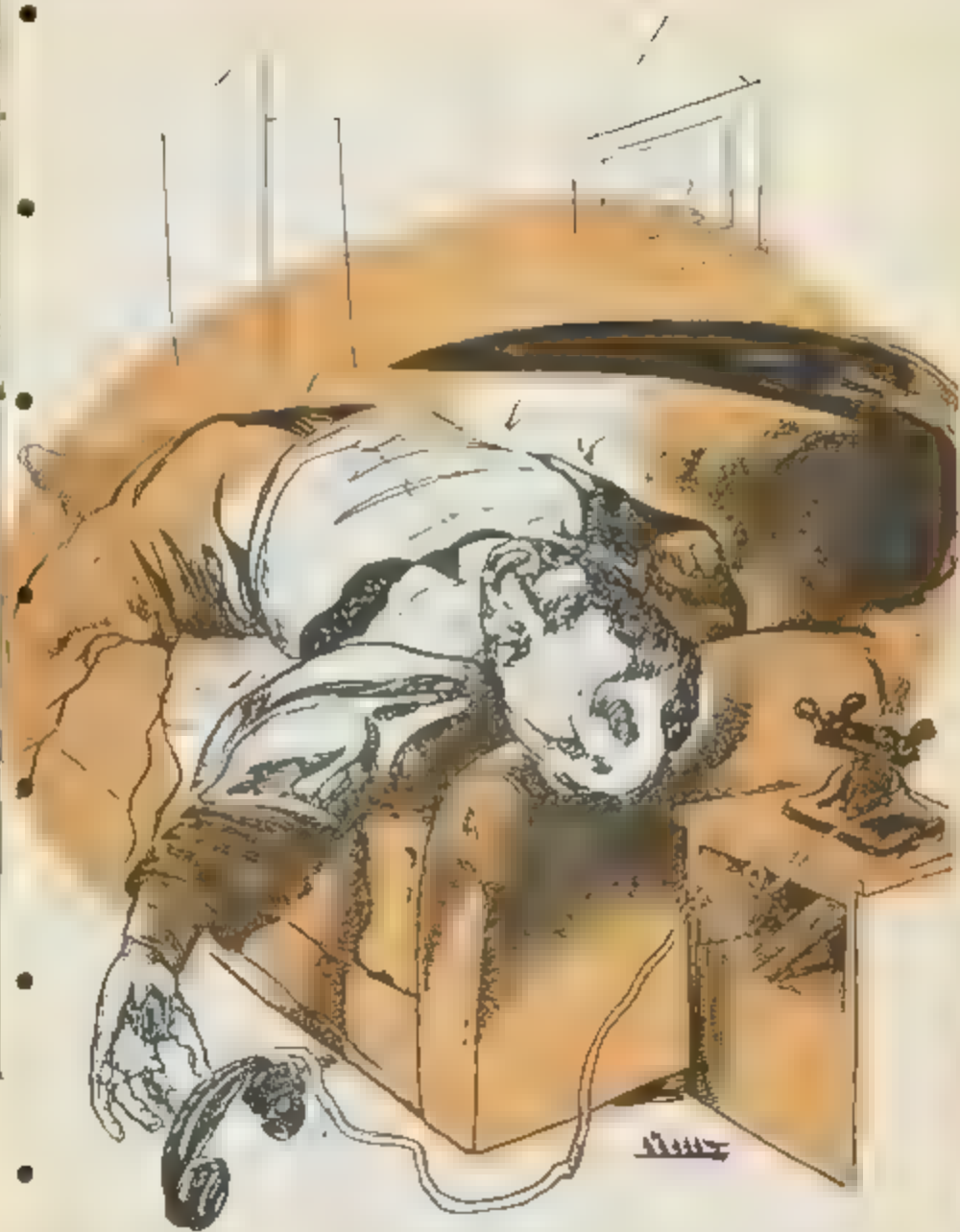
وهذأت روعه بعض الشيء وحاولت أن أبحث المسألة
معه في هدوء . فلت له :

— هب أن ذلك الذي يطلبك حقاً روحك ماذا تطلبها
زبد منك ؟

قلت ذلك وأن أتوقع منه أن يجيب بأنها تريد أن لا يتزوج
ولكنه هو رأسه قائلاً

— لا شيء . إنما لم تذكر ذلك الشيء الذي قد حصر
بالك . كل ما تطلبه أشياء بسيطة نافذة كالمشي كانت تطلبها
في حياتها أو تذكرني بأن أفعل كذا وكذا . ولا شيء .
أكثر من ذلك . ويجعل لي أنها بذلك تحاول أن تفهم نفسها
في حيات مرة أخرى . وأن تستعيد هودها على .
— وماذا يجعلك من ذلك . تدعها تفعل كما تشاء ..
حتى تمل من تلقاء نفسها وتتركك .

— يا سيدي العزيز إن أكثر ما أحشاء أمر واحد



إن محادثاتها تقترب من شيئاً فشدأ .. أعني أنني لا أكاد أذهب
إلى مكان حتى يخبروني أنها تحدثت منذ دقيقة أو دقيقتين .
ولست أدري والله ماذا يمكن أن يحدث لي إذا مارعت السماعه
دائماً مرة .. فسمعت صوتها .

أجل لشد ما يخيمى ذلك فما أطل أن هناك امرأ قد
عاطب الموتى قبل ذلك . إن ذلك الأمر يسب لي
دعراً شديداً

وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي أنصته فيها لروح على
فيد الحياة فقد رأت أنه بعد ذلك عندما استدعاني الخادم هو حده
مدداً على مقعد بخوار التليفون وقد تدلت "السماعه" بخواره
وارتسمت على وجهه علامات دعر شديد .. وقال الخادم إنه
سمع جرس التليفون يدق في المساء . ثم سكر الزمين أدرك
أن سيده لا بد أن يكون قد أجاب عليه .

وفي الصباح وحده على حاله تلك وقالوا إن الرجل قد مات
باسكنه .. ولم أستطع أن أقول غير ذلك . أقول مات
من الدعر ١٥ من الحديث التليفوني ١٩ من كان المتحدث ٢ .
وماذا قال ١٤ . ولم ١٤

ooo

وصحت الطبيب وارتفعت على وجوها علامات دهش
شديد... ورأيتني أفكر في كل ما قال . وأحاول أن أجد
له نصيراً . إن شخصاً لا أومن بالأرواح ولا بالعالم المجهول .
ولكني أومن بالنشر ، ولعقل البشر ، وردة البشر . . . لست
أدري لم ذهب ذهبي . إلى أقارب الرجل الذين كانوا يكرهون
رواحه من المرأة التي كانت على وشك أن يروح بها ثانية .
ألا يمكن أن يكونوا هم الذين يروا تلك المحادثات التبعية
لإحافة الرجل حتى حطموا أعصابه . ألا يمكن أن تكون
واحدة منهم هي صاحبة المحادثة التي تسببت في قتله ؟ أم ترى
أن الصور كان حقاً من العالم المجهول ؟ من يدري ؟



جلسه

تذکرہ

کہ نور الانعلائی من ہمد انوار ان
رومی جلسہ تھا۔ ای نور الانعلائی
الی ماہم اکثر رحمانہ رسمہ .

هم المقام أحياناً في هذه الدار الرحلة الواسعة
استقر لكائنة بحلية الريش . . ولم يكن صاحباً لصدق
أنه يستطيع الحصول في هذا الوقت الذي استندت
فيه أكمة المساكن وارتفع إبحارها على مثل هذا المسكن مثل
هذا الأجر .

من يصدق هذا ؟ فيلا ، من يابها . خمس حجرات
منسقة وبدروم وحديقة مترامية الأطراف بحمسة حبيبات
وبلاذ حورجل . . لقد كانت بلاشك صفقة محبة . أغلب
لظن أن أحداً لا يعلم بخلو الدار . وإلا لاستنصاع الخصوم
عليها مثل هذه لسهولة إلباسها مسألة حظ لا أكثر ولا أقل .
ومضت الأيام لقليل الأولى ، والروحة منهمكة في
تنظيف الدار وتنظيم الأثاث بمساعدة الخدم . أما هو فقد
حمل الحديقة من نصيبه ، فاهمك هو واهمته واشته في تشييدها
وتهديدها وإصلاحها بعد طول إهمال . .

والصبرم الأسبوع الأول وهم في حركة دائنة حتى أعدوا
إلى الدار رونقها وحال مظهرها فأحسوا بالهدوء . والسكينة
والاستقرار .

ومرت بهم الأيام ، قريرين هاتين . وجلس الأربعة ذات

مساء في الشرفة أو واسعة المظلة على الخديعة ، وقد اصططحع
الآب على أحد المقاعد المريحة ومدته ساعية على حافة الشرفة ،
وحطت الأم وسيدتي إرتين وقطعة من اصوف وبكرة من
الخيوط تأسح له صديرياً ، ويجوزهم ركع الإبر والالنة . في
الثانية عشرة والتاسعة من عمرهما . يلهوان بحدى اللعب
وددت عن الآب ، بيده ملوفا الارتياج ، وقال في لهجة
راضية :

— هدا كان يودحي للكسابة . إن حجرة المكتب
بديك المطر الذي تصل عليه والهدوء الذي يسودها .
لا تصبح إلا لأن تكون مهبط وحي وشد ما أحسني
ألا يمسب العصف بعد ذلك فيما أكتب لي ، من السكان
الذي أكتب فيه . . إذ يبدو لي أن أي إنسان يحل به
سينقلب نابغة عمقياً .

ولم يكن صاحبنا بالكاتب المقن أو المرفه الذي لا يستطيع
أن يكتب إلا في أجواء معينة ، ولكنه مع ذلك كان يصاب
في بعض الأحيان بقمحط ذهني . . يجعله في حالة ركود تام .
ولم يكن يحس بديك أن يموتوا جوعاً . فقد كان له دخل
تأمت يفهم شرايعور . ومع ذلك فقد كان يكره أن يتوقف

عن الكتابة . أولا لأنه يجد فيها متعة وشياً . لأن
المزيد من الكتابة يعنى المزيد من النقص . وما من إنسان -
كان من كان - لا يريد مزيداً من النقص .

وصحكت امرأته وقالت :

- أجل .. إن المرء ليحس فيه هدوءاً عجيباً . بعد

هذا الصبح الذى قامناه سداً فى بيت العساسة .
منجيج الثرام وصحب العربات والأونويسات . وصباح
الدعة . إن ما يحس به لا شك رد فعل لطول ماملاً آذاً من
ضجة دائمة لاتهدأ .

وصمت لحظة ثم أردت وهى تنهد فى الزبح عجب

ومارت أصابعها دائبة فى عمل التريكو

- هذا البيت كان لى أمية العمر كنت أتمنى أن

أسكر فى دبللا ، ذات حديقة غناء لا يشاركنا فيها
إنسان . كنت أتوق إلى هذه السكينة وهذا الخلاء وتلك
الشمس التى تسطع فى كل مكان من أنحاء الدار . والهواء
الطلى الذى يسرى فى أبحاثها . وإلى تلك الخصرة والبصرة
التي تمتد على مدى البصر . كل هذا كان منتهى أملى ..

ومدّ الأب يده فتناول سيجارة من علبة على منضدة

بحوارها وأشعلها ، ثم أخذ منها نغساً طويلاً وقال معلقاً :

- وأعجب ما في الدار أنك لا تحبين بها وحشة أمثالها
من الدور العتيقة الواسعة .. أو المنازل الخلوية ، فهذه الحجرات
الريحة والحدردن الصحة والأسقف العالية . وهذا العشاء
من حولها . كان يحب أن يكون له وحشته . ومع ذلك فما
أحسنت له وحشة قط

- هذا من ما أحسنه . أمر عجب !! إنه دائماً
(ولس) ما شعرت بالوحدة فيه قط . وما أحسنت وأنا في
حجراته أن الحجر خالية وأنى وحدي رغم أنه قد
لا يكون بها سوى . إن حדרاته السمينة لا تمنع الضوء .
فليس به تلك الأركان المعسمة التي تعودناها في الدور القديمة .
إني ما أحسنت بشأ كهذا ، وما أحسنت بالاستقرار كما
أحسنت فيه . إنه كأنما قد نبى من أحديا .. حتى الأثاث
يدور في الحجرات كأنه قد عمل حصيماً له . لقد مسح الله
به نعمة كبرى

ورأى الصمت . وسادت السكينة . لا تقطعها إلا هبات
من نسيم الصيف تعبث بأطراف الشجر ، أو صيحات تنمض
من الطفيلين الراكعين المهتمكين في اللعب بين آونة وأخرى .
وشردت الأم بذهنها .. واستعادت لنفسها قولها :
« ما أحسنت وأنا في حجراته أن الحجر خالية .. »

وكيف يحس إسان بالوحدة في هذه الدار ؟ ..

إياها تذكر ذات مره .. أو مرتين . وقد وقفت أمام
دولاب القصيه تتبع مانه من أوار . أياها أحست أن روحها
أو أحد الأبطال يجلس على المضدة . وبسمرت مهمكة
فيما تقوم به . وهي لا تشك أن هناك إساناً معها في الحجرة
حتى انتفتت فجأة . فأدهشها ألا تجد هناك أحد .

ومرة أخرى وقد هبطت إلى الحديقة . ثم عادت إلى
الدار فوجدت روحها يقف الباب وقد حملق فيها دهشاً
وسألها -

- متى هبطت إلى الحديقة ؟ لقد جيل إن أنك تخسرين
في الصلاة ..

وهكذا دائماً لا يكاد إسان يشعر أنه وحده
بل يحس دائماً أن هناك . من يجلس هناك
وتنهت أنسبته من شرودها على صوت الخادمة تقول .
- العشاء جاهز .

وحلست الأريكة على المائدة . وبدأ الإسان والآنسة
عرا كهما الطبعي . على من يجلس على هذا الكرسي ، أو
ذاك . أو على من يأكل هذه القطعة ، أو تلك .

وصاحت بهما الأم بدارها الثقيل الذي لم تكن لها
بد عنه :

— هس... ونعدين ؟

وجرى الحديث خلال العشاء بين الأربعة ناعمًا لطيفاً
لا يحلو من اصحح وأهر والحر والشكوى والمطال ،
حديث بمودحى لعائنة فريه

وصاح عمر — الاس — ملعاً : حدى شكاه لآيه :

— ... ما... كوثر ، كسرت من العلم الذي أعطينته لي .

وايدعت كوثر — الاس — مدافعة عن نفسها

— أذاً يا ماما ، هو الذي كسره

كذابه

وقال الأب مهدئاً :

— لا بأس سأحضر لك بدنه

ومصت فتره صمت قصيره

بداه عمر ، كنما قد مرّح دهنه في مسألة عويصة . ثم

سأل فجأة .

— ماما

— نعم ؟

— أليس أسوأ من الوحدة .. ألا نستطيع الوحدة ..

عند ما تريد الوحدة ؟

— لا أفهم ما تعنى .. ؟

— ألم تقل ، ماما ، أن البيت ، وليس ، وأنا لا نحس

بالوحدة أبداً .. ١٩ ..

— أحل .

— هذا شيء ، يصابق فأحباً يريد الإنسان أن يكون

وحده . ولكن في هذا البيت لا نستطيع لا بد أن يكون

هناك أحد معنا

.. لم تقصد ، ماما ، أن هناك أحداً معنا فعلاً . بل هو مجرد

شعور ، بالوس . مجرد إحساس بالراحة لأننا لسنا وحيدين .

— لكني أحس بأن هناك أحداً معنا فعلاً .

— ماذا تعنى أيها ، الحمار الصغير . . ؟ هذا وهم .

— ليس وهماً .. لقد وضعت بالأمس علية دودة القز

على الدولاب فوجدتها في الصباح ملقاة من البائدة .. ووجدت

العلبة فارغة في الحقيقة ولم أجد الدود . وأول أمس وجدت

كاوتش الدراجة مرفقاً .. ووجدت رجاجة الخبز قد سكبت

على كراسي الرسم .

ونظر الأب إلى دكوثر ، وعن الاتهام ولكنهما قات
نصوت فيه ربة نكاه .

— والله يا دماء ما

وقار ، عمر ، مؤكداً .

— لست هي . . إن متأكد

وتدخلت الأم

— قد يكون أحد من الخدم ، لم تم تحملي حتى أعرف
من منهم فعل ذلك ؟

— أيا متأكد أن أحداً منهم لم يفعل .
هو ذلك الذي لا يتركنا معردين . إنه ذلك الذي يسب لنا
وإنما ، والذي نحس به أنه دائماً هاك . إنها هي لاشك
وبها . . هي أحسن أنها نكر هي .

وصاح به الأب صاحكاً في سحرية

— من هي ، هذه التي تتحدث عنها ؟ ثم ماذا يجعلك
نظن أنها هي ، وليس هو . ؟ هل تظن أن بالدار عمرينا
أيها الأله ؟ هذه أو هام عجائز . . ! ليس هاك تبي اسمه
عقاريت . . هل أدراك أحد من الخدم أن الدار مسكونة ؟
وأجاب دكوثر .

— لقد سمعنا يائز المثل بسىء ، أم على ، أن البيت به
عمرية .

— الخمار ابن الخمار . الا تصدق كلمة واحدة بما قال
هذه كلها خرافات .

ودهم الأبطال للوم ، ولم يفس الأب أن ينادى
، أم على ، ويزجرها شدة . وينهاها عن أن تحيف الأطفال
مرة ثانية هذه الخزعلات التي يسمونها عفاريت . . وأجابات
الخادمة .

— وأنا مالى . . دا بتاع اللبن .

وفى اليوم السالى روع الأم وهى فى المصح تصرخ
استغاثة ، وهزولت الأم فإذا بها معلق فى فروع إحدى
الأشجار ، وإذا بالسلم الخشبي ملقى على الأرضى .

ورفعت له السلم ، وهبطت وصلى وحللاً حانقاً ، وأمسكت
الأم بأذنه تمر كها فى عيط قاتلة وهى تلهث من فرط الحروف

— هذه المرة كان عمك يوشك أن يدق . ألم أفل لك
مئة مرة . . كف عن هذه الشقاوة ولشعطة على الأشجار ا
وحررت دمعتان على حد الطفل محدثين محربين فى وجهه
المترب وقال وهو ينشع :



— لقد قلت لك أنها
تكرهى ، إنها هي
لأشك التي دفعت السلم
من أسفل قدى .. أ
وأحست الأم برجعة
تسرى في حشدها ،
وسألت في دعر

— مـ هي أن
تكرهك ، لا بد أن
السلم قد ارتنق من تلفاء نفسه

— أبداً حرى . لقد كال مثنأ في الأرض جيداً
إنها هي . دائماً نلاحقنى بهذا العث .

وعند ما سمع الأب بما حدث هذه المرة كان أول سحرية
ونطرت إليه الأم في دهشة ، وهو يتنقأ في صمت وإطراق
وأحمرأ رفع رأسه قائلاً .

— لأشك أن هذا كله إنما سعاداً حذاً وإن
البيت مودجى . فكيف نحاول أن نعصده بهذه الأوهام ..

ما رأيك ؟ هل تترك البيت ؟ هل تعتقد حقاً أنه مسكون ؟
وأن به عفرية تنكره الولد ؟

— لا أستطيع أن أصدق مثل هذا القول .. وإن كان
ذلك لا يمنع من أنه يسب لنا فلاناً ذهباً . يجعل راحتك
وهو ما موضع لشك من حاجتك أنت . أريد أن أسألك
هل كنت كاتود ؟ هل أعانك على الكتابة ؟ هذه نقطة
هامة يجب ألا نغفلها إذا كنا سوى التفكير في المسألة حديثاً
— حتى الآن . لا . لأن لم أبدأ الكتابة فعلاً ولم
أجرب بعد .. وبمكي سأحاول اليوم الكتابة .

وفي هذا اليوم أعمق الآب على نفسه حجرة المكتب .
وم يعادها إلا في منتصف الليل وبعد ما فتحت الأم عينيها
انصره بأوى إلى فراشه .. بدا لها متعباً مكثوداً . ثم تفتت
في أنه استطاع أن يقضي وقتاً مريحاً . وأنه لا بد قد أضح شتاً .
وقضى اليوم الثاني مأكله في مكتبه لم يعادها إلا لتناول
الطعام . وكان يبدو عليه الإرهاق . وبدا متافلاً حزين العينين
ولم يكن منظره يبعث كثيراً على الاطمئنان والسعادة .. كان
شبه محموم

وفي اليوم الثالث لم يعاد المكتب حتى للطعام .. ولم
يتناول سوى فحاح من القهوة . وفي المساء ترك الحجرة وسار



إلى امرأته عظماء مهتماً كأن على كفيه ما أنقص ظهره . ومدّ
يده إليها في سكون ورقة مكتوبة . وقال في صوت خفيف
خافت :

— هذا كل ما استطعت كتابته . الحمد لله . لقد أراح
العين

وبعد لحظات كان يعط في نومه

وحضت المرأة الورقة في دهشة . كانت مكتوبة بخط يده
وكانت الكتابة متناثرة على الورقة بيد وبساراً . وكان الخط
ردئاً كما عاينه بيده اليسرى أو كأنه كان يكتبه وهو يرتجف
محموماً .

وبدأت المرأة في القراءة :

« هذا البيت لي . . هذا البيت لي . لي وحدي . لقد
كان دائماً لي . لو استطاع أني لوهمه لي . ولما سمع أحى هذا .
فما كان لبيت يهيمه كثيراً ، فقد قضى حياته بعيداً عنه . إلى
أكره أحى قط ، رغم أنه ورثه دوني . فقد سمح لي بالبقاء فيه ،
ولقد أسفت على موته . . ولم أحاول أن أكره امرأته

كذلك إذ كانت امرأة ناهية لا تستحق الكره وكانت
تسوى أن تعادر الدار بعد موته، ولكنها بقيت من أجل أنها
التي آتت إليه الدار بعد موت أخي . لقد كنت أكرهه .
كان طمعا مقبها . وعجبا . وكنت أتمنى أن أهدأ وحدي
في الدار وأنعم بسكينة . وأحدث أسطر وأسطر حتى
آلت إلى أخيراً .. بعد أن سقط الصبي من السلم ودق عقه .
وبقيت في الدار وحدي . كما كنت أتمنى دائما . ومع ذلك
فما أحسست بأية متعة . إلى طلقه حائرة . إلى صالة
شاردة .. لم أفصد قتله . بعد دفعت السلم من أسفله
ولسكني لم أفصد قتله . بعد أحد الدم تحرقى بعد ذلك حتى
أفقدت على الانتحار .. ولكنني مع ذلك لم أحس راحة
ولا استقرار . كم أود الانطلاق من الدار . إلى راحتي
حبيسة فيها .. أود الانطلاق إلى ما هو أكثر منها راحة
وسعة .. رب خلص راحتي من هذا الأسر . هذا السجن الذي
طالما تميت المقام فيه .. إلى أحس الآن شيء من الراحة
بعد أن اعترفت بحري .. وبعد أن لعقت تلك الحرات
لتي تحرق نفسي .. الرحمة يارب .
وأحسست الأم يدها تحرق الورقة إربا . وهبت نسعة

ذرتها في الهواء...
 وعند ما استيقظ
 الزوج بدا كأنه
 قد أبل من مرض
 طويل وداء
 عضال.. والنصفت
 به الأم وهي ترنجف
 وسألته في صوت
 خافت :
 - هل تفادر
 الدار ؟



- لا داعي .. لقد انطلقت هي ..
 ومد ذلك اليوم لم يعد يحس أحد من أهل الدار بأن
 هناك دائماً من يجلس هاك .



عزفك صاك

ولدت اليها مشدوها ، ووصفت
 الصلة على الصلة . واقترعت من
 انهاء . وصفت بها « ما لك ؟ »
 فأجابني « أهدني + عدي صاك » !

صديق فتال ذات يوم لزيارة إحدى الدور القديمة
دعالي في حي طولون ، لشاهد بعض آيات الفن القديم .
واتفقا على أن أمرا بداره في الساعة الرابعة بعد
الظهر . . وساولت العشاء في ذلك اليوم ثم استدفقت في عهوة
قصيرة استيقظت على إثرها فإذا الساعة قد بلغت الرابعة
وارتدت ملابسى على عجل ، وأسرعت إلى دار صاحبي .
ولكى أمنت أنه انتظرني طويلا فمسا طال تأخرى اضطرب
للحروح فلم أشك في أنه قد سقى إلى الدار التى مقصدها
فأخذت طريق إليها

ووصلت إلى الدار ووقفت على درجها الحجرى
المتسع . أتأمل حدرانها الصخمة المشاعفة المنيعة على الضرار
العريق القديم . . وقد علت الأتربة حجارنها وكساها القدم بوبا
داكأ موحشا ، فمدت كأيها إحدى القلاع الحصينة

وصعدت الدرجات المؤدية إلى الباب ووقفت رهة مترددا
وقد تملكتنى رهة وحشية . ثم مددت يدي فطرقت الباب
الخشبي لضخم بالمقبض الحديدى المثبت فيه . . ووصل إلى أدنى
صدى الطرقات ثم ساد بعد ذلك سكون عميق . . جعلنى أحرم
أنه ما من أحد بالدار . وأن صاحبي لا شك لم يصل بعد .

وهمت بأن أعود أدراجي عند ما وصل إلى أدنى من الداخل
صوت أقدام تقترب ، وفتح الباب . . وبدأ لي من خلاله عبد
أسود قد وضع على رأسه عمامة ضخمة بيضاء ، وارتدى
مروالا واسعا وسترة مطرزة بالقصب . . وبدأ لي كخدم
القصور في العصور العابرة .

ونظر لي العبد نظرة فاحصة ثم وحدته يحيى في احترام
المع ويطلب مني التفضل . .

دخلت إلى الداخل فإذا بي في صالة رحبة مقسمة الأرجاء
عالية سقف قد شاعت فيها الضجة ، لا يكاد يصل إليها الصوت
إلا من حلال لواءات عالية ذات الزجاج الملون

واستطعت أن ألمح على الصور الباهتة النقوش العجيبة
والرخاف الرائحة التي نفشت على السقف والخدران ، وعبر ما
الصالة التي لم يدلي فيها شيء من الأثاث إلى عمر صيق طويل
حيث وجدت عمداً آخر شديد الشبه بالخدام الأول وقد انحى
لي عند ما مررت به حتى كاد رأسه يلامس ركبتيه

ونملكني دهش شديد مما كنت أتوقع أن أرى في
الدار أناراً حية . . كهؤلاء الخدم الذين يدعون لي كأنهم جزء
من الدار ، من كنت أتوقع أن أرى أحد موطن الأثار يتولى
إرشادنا والشرح لنا .

وأدهشني أكثر من ذلك ألا
أجد في الدار أى أثاث أو أى مظهر
من مظاهر الحياة يستدعى وجود
هؤلاء الخدم « الأرستقراطيين » ،
بل كانت الدار خاوية ، حتى بدا لي
الخدم كأنهم بعض العمد أو بعض
العمال



وانتهيت من هذا الدهليز إلى
حجرة أخرى . وجدت فيها أول

مظهر من مظاهر الحياة .

وثلثت حولي في شيء من التردد والحشية . . فوجدت
الحجرة قد رص بها أحد تلك الأظفم المذهبة الدقيقة الصنع .
وقد عطيت أرضها بسجاد عجمية فاحرة تعوض القدم فيها .
وعلقت على لوائف والأبواب ستائر خفيفة ورقاء .

ورفعت في منتصف العرفة حائراً لا أدرى ماذا أعني .
فلقد زكّى الخادم الأسود الذي كان يتولى قيادتي

وبعد فترة أحسست بوقع أقدام تقرب . وفوجئت
بصوت نسائي يهتف من ورائي :

— أهلاً .. وسهلاً .

وتلعت في دهشة - فوقع بصرى على امرأة في منتصف
العمر، وفاء لا تتجاوز العشرين .

وتملكى دهول شديد . . . فما كنت أتوقع قط أن أرى في
الدار ساء - وبدأ الأمر يختلط عني . . . فلم أشك في أنى قد
أخطأت الدار .

وعصمت بأن أقول شيئاً للسيدة أوصح به ما يحتمل أن
يكون قد حدث من خطأ ، ولكى وجدها تقرب مني فتشد
على يدي مرجبة ، وتقول باسمي

- لم أشك في أنى سأعرفك لأول وهلة فإن بك شها
شديداً من أهلك .

ولقد كان في حقاً شديد شبه والدى ولكن كيف
عرفتى السيدة وكيف عرفت والدى . . . لقد أوشكت أن أحر
من فرط الدهش

وحاست السيدة والفتاة واتحدت بجلسي بحوارهما وأحدثت
أخضعهما بطرات سريعة فوجدت السيدة تصفاً في العمر وفي
الشكل وفي الحجم ، ولكن آثار الاستفراطية تدو عليها
واحة في كل حركة لها ولغة ، أما الفتاة فقد استرعت مني التعاناً
أكثر ، إذ كانت جميلة حقاً . وإن كان حالها من نوع حزين
صامت ، هي حسدها بحول ، وفي وجهها شجوب ، وقد نهذل
شعرها الخالك على كتفها ، وبدت عباها تشعان بسحر عجيب .

ولم تكذب تخفى لحظة قصيرة
 نبادلنا خلالها بضع كلمات
 ترحيب حتى أقبل خادم يدعونا
 للشاي ، ووجدت السيدة تهض
 وتتقدمنا إلى حيث أعد الشاي



ودلعا من حجرة إلى أخرى حتى وصلنا في النهاية إلى
 شرفة مسيحة من نوع القديم المسمى ، المشربية ، تتكون
 من حشيت دقيق اصنع كآله الدنقلا ، وباشرفة أريكة متسعة
 قد فرشت الحشايا والوسائد المعطاء ، لأطلس ، وفي وسطها
 مصددة مستديرة من المرمر ثاثة نفوادم قد وضع عليها عطاء
 رقيق مشعول دالبرودريه ، وصفت عليها أدوات اشاي من
 أطراف مذهبة وأكواب فضية منقوشة ، وبناجين رسمت عليها
 رسوم دقيقة .

وجلسا حول المصده وبدأ الخدم يحضرون الشاي في
 لإريق قصي جميل ثم بدأوا يحضرون لقضائر والأطباق الملاي
 بأنواع الفاكهة العاخرة .

وحيل إلى أن المسألة إنما هي أصعب أحلام .. فقد ذكر في
 كل هذا مما سبق أن قرأته في ألف ليلة وليلة .. وقلت نفسي
 ماذا يصيرك أن يكون حساً أو غير حلم .. أقل على المتع

التي أمامك وادكر قول الخبيث . وبيت إن صاع يومى من بدى ،
وبدأت السيدة الحديث فقهرت منها أن من أسرتنا وذا
قديماً . وأما ك تو شك أن تكون أنساء . فقد كان حدى
على وشك الرواح من أمها . لولا أن حدث سوء تقام بين
أبيهما أدى إلى راع شديد

وهتمت كبريت أن أمته امت ابنتها . كما كنت أعنف .
بل إسة أخوها وهي تتكلم بها بعد أن مات أبوها وأمها .
وانتهيا من تناول شاي عند ما حصر أحد الخدم فاجبى
أمام السيدة ثم اقترب منها وهمس في أذنها بصع كلمات لم تسمعها
نفس مستأدة فأنه إليها سمرود بعد بصع دقائق

والصرفت السيدة . ووجدت نفسها قد حوت إلى الماء
الحريرة لشاحنة لتي تدور في رقتها كأنها طيف . وأحسب
بذافع قوى يدفعني إلى الخبو عليها وبني أحدها بين دراعى
وإسناد رأسها على صدرى . وسكن الحياء كان ممع . وبدأ
الارتباك بملكى . وأخرجت من حبي غلة سجاثرى
محاولاً للتشاعر بالتدخين

ولم أكذ أفزع لعدة حتى سمعت لفتاء تهف باسمى هامة
في لهجه ملؤها المرارة والحزن . فالتفت إليها مشدوها .

ووصعت لعلة على المصدة واقترمت من لعتاه وهمست
ها دمايك ؟ فأجابتني : أنفنى . . حدثني معك ، أ .

ومددت يدي فصمطت على يدها . ووجدتها قد نهضت
وسارت في حمارح الشرفة هانطين تصع الدرجات المؤدية إلى
الحديقة .

وبعد إلى أبي عنق الزهور فلأنى شوه وراود مشاعري
إرهاقاً ، وحلست والعناة على مقعد تحت إحدى أعمال

ونحدثت لعتاة فأبأنى أن عمتها سترعها على الروح من
عشيق لها - للعمة - تخشى أن يهجرها فهي تود أن تربطه
بالساعة الصغيرة حتى تضمن بقاءه إلى جوارها . وأنها تلي
من عمتها عذاباً أليماً .

وأحسست والعناة نشي شكواها كأن هناك معاطيساً
بشدني إليها ، وبدالي كأني لم ألقها مد لخطات فقط . . بل
كأننا أحبا العمر . . وحدثني أمسك يدها فأصعها على شفتي
ثم احتويت جسدها الرقيق بين ذراعي . وصممتها إلى في
رفق وأسدت رأسها على صدري . ودفت وجهي في شعرها .
ومصت الحطة والعناة هادئة في صدري . . ثم رفعت إلى عينيها
العجيين وقد كستهما عبرات ترقرو . وحدثت شفتي



تقتربان من شفتيها فصعطان عنهما . ثم أغمض كلاهما عييه
ورحنا في بشوة .

و فجأة سمعت صوت العمة ينادى الفتاة ووجدتها تعف
منا على قيد خطوات .

و فرغت الفتاة . و رأيتها تنظر إلى المرأة بطرة متوسلة
كأنها تسألها شيئاً ، ولكن السيدة هزت رأسها في حمود وفسوة
وأجابت في اقتضاب

إدهى

و صارت السيدة ، و سرنا وراها حتى وصدنا إلى الشرفة
فسألتني أن اتعها لتريني بقية الحجرات

و عندما أحييت إلى الشرفة فلم أجد الفتاة ، بل أباها أحد
الخدم أها تعذر إلى لإصابتها بوعكة معالحة ، و أها كلفته أن
يحمل إلى سلامها

و أحسست لموعة شديدة ، و تميت لو أدفع نصف عمري
لأرى الفتاة الحريصة الجريئة لفت . و لسكن لبنة مدت
إلى يدها مودعة سائلة إيبي أن أرور هم دائماً .

• • •

و خرجت من الدار . . و سررت في الطرقات . . و أما أحد
نحسى في تمام البقطة فلا حل ولا وهم . و كان أول ما فعلته
هو أن ذهبت إلى بيت صاحبي فقصصت عليه كل ما حدث .

وفهقه صاحبي عالياً وأناثي أن البيت كانت تسكه حفا
العائلة التي ذكرت اسمها ، ولكن ذلك كان مد سبعين عاماً ،
ثم أكدي أن كل ما رأيت إنما كان وهماً أو خلاً
وفي اليوم التالي ذهبت وإياه إلى الدار ، ووجدنا أحد
موطى الآثار في انتظارنا ودخلنا الدار بعد أن فتح الباب
بمفتاح في جيبه ، وأحدث الباب صريراً وكأنه لم يفتح منذ
شهور أو أعوام

وسرت في الدار فوجدت بها شيئاً للدار التي رزتها بالأمس
وسكن الأتربة كانت تعلو الأرض والجدران ولم يكن هناك أي
أثر للحياة ، لا حدم ، ولا سكان ، ولا حجرة اتصال ولا شرفة ،
ونظر في صاحبي ضاحكاً في متحيرة ، . وهرت رأسي
في دهش شديد وأضعت نفسي أن كل ما رأيت إنما كان
أوهاماً ، وانتهيا من التحول في الدار ، وهمما بالخروج ،
عند ما سألت الدليل عن حديقة الدار ، فأناها أنها حديقة
مهملة ليس بها ما يستحق الرؤية ، ثم دلف بنا في عدة بحرات
ليقودنا إليها ، ونجأه وحده نفسي في شرفة الأمان .

أحل ! لقد كانت هي ، من لشرفة ، . وقد بدا منها مطر
الحديقة والجميلة والمقعد الذي جلسنا عليه ، وبدت فيها الأريكة
ولسكنها كانت عازلة من الحواشي والوسائد ، وأشرت لصاحبي
إلى آثار الأقدام المردوجة التي تدور بالحديقه ، . وقلت

له : : ما رأيك : : فأجابني :
هذه حتما هي آثار الجنائني
الذي يروى الحديقة . .

وأحسست بشيء من
الخدلان . وتلقت في الشرفة
وبدا بالمضعدة المستديرة
المصنوعة من المرمر قد توسطتها
حالية من كل شيء . لا مهرش . .
ولأدوات للشاي ولكن شيئاً
واحداً هو الذي كان عليها وهو
علقة السحائر، علقت أماناً في نقش
عليها اسمي . . والتي أحرحتنا
الأمس ثم تركتها على المصعدة



وتناول صاحبي العلة في دهش شديد . . ولم يمس سميت
شمة . ماذا حدث ؟ وكيف ؟ من يعلم !!

ومرّ الحوادث دون أن أحده له تفسيراً أو تعليلًا . . قد
يكون وهماً أو حلماً ، ولكن شيئاً واحداً هو الذي يجعلني أكاد
أوقن بأنه حقيقة . . وهو تلك الصور التي أراي إياها الدليل
لأهل الدار . . والتي وحدث واحدة منها صورة طبق الأصل
للعتاة الشاحية الحريئة . . التي احتويتها بين ذراعي في الحيلة

ديانا سيرها في عملة تجاه الشمال ، فقد أسأتنا
برأت الزناسة أن العدو احتل بعض عرباته موفعاً بشرف
على الطريق وأن علب إحللاه ، كتيبتنا حتى يظهر
الطريق وبعد المواصلات بينا وبين القوة الموجودة شمالاً
كان الوقت قبل الفجر ، ولم نؤحد بالأمر على عرّة ، فقد
قصينا الليل في نقطة دائمة ، إذ كانت المعركة دائرة على أشدها ،
وكان الدوى يسمع في كل مكان ، واللهب يرق هنا وهناك
مدداً حلقة الليل .

كان العدو قد بدأ هجومه العادر ، واستمر أوار المعركة
في شتى المواقع . وأحدث مشاتنا ومدومينا نصلياه بمراميد
فترداه على أعفاه موماً عسوراً .. محمداً وراءه بساطاً عمداً
من حش لقتلى ، تاركاً الأرض وقد مدت مكدة بالأحساد
كأنها ورقة الذباب .

وقصينا الليل رقب ونشطر .. معدين عرباتنا ودياناتنا
للاقصاص في أية لحظة .. حتى وصلنا الأمر قبل الفجر
بالانطلاق لطرده العدو . فانطلقنا

وطلت من اليوراشي ومحسن ، قائد ثانى لكتيبة أن يأمر
السرية الأولى بأن تتحد مكاتها في المقدمة لكي تستكشف

مواقع العدو ومعهم عودته وتستطيع فوته ، على أن يكون قائدها
على اتصال دائم بالكي يستأه أولاً بأول بكل ما يعرف
وبدا عليه التردد . ثم تسأل قائلاً :

— إن السرية الأولى يفوتها ، قدرى ، وهو كما تعلم
مرص ، ويتولى قيامها بدله اشاوش ، قرشى ، شاوش
انسرية . . . فهل مدعه يقوم وحده بالانكشاف ؟
ومكرت رهة ثم أحتمه .

— مع "سرية" ثانية تعص في المقدمة ، واجعل الأولى
في الاحتياض

وتم بالانصراف لسعيد الأمر ، وسكته توقف كتماً قد
حضر له خاطر حديد وقال مبالغاً :

— ولكن لمذا أنقدم أنا مع السرية الأولى للقيام
بالانكشاف ؟ هل لديك ما يمنع ؟
— أبداً . إذهب إذا شئت

وبعد لحظة كان قد اتخذ مكانه في إحدى دبابات السرية
الأولى متولياً قيادتها ، متقدماً بها على رأس السكتينة لاستطلاع
قوة العدو .

ووقعت في ربح دبابتي أرفقه بتقاعد سريره وحدث
الدبابات على حط الأفق سوداء قائمة وقد علا حولها الغبار

وأخذ صبيحها يحف رويداً رويداً . حتى لم تعد تنصر منها
إلا أشباحاً باهتة ، ولا يصل إلى آذانها من صحتها وصحتها
إلا ما يشبه المهمة والهمس

وتحركت رياسة الكنيبة وثقة المرايا . ولاحظت لنا
الشمس تسفل من وراء الأفق خلف الرابي والآكام
حمر الصوء . أرحواية الشعاع . . كن بها جرحاً يدي .
وكان أشعتها القافية دماء تزدى على رمال صحراء .

إيه يا شمس ! . لقد رأيت شروقك فيما مضى . فكنت
أنصر في حمرته لون الورود ولون الحدود . لشدها تنكرت
وتغيرت واستبدلت شعاع الورد شعاع السماء

أم ترى التعبير قد أصاب العين لتي تراك . فلم تعد تنصر
ملك إلا صورة لما حولها من دماء ولهب ؟

وتحركت رياسة الكنيبة وثقة اسرايا . وشارت من
حولنا الضجة وعلا العار وانتشرت بصع دبابات ذات العينين
وذات اليسار لتحمي القوة في أثناء تقدمها . . وأحدنا نغمس
في السير . . وبين لحظة وأخرى تحمل إلينا رسالة من سرية
المقدمة بأن العدو لم يعد بعد . حتى وصلنا الإشارة الإيجابية
الأولى تحمل في طياتها ، أن العدو قد طهر بصع عربات

عن يميناً ، ثم رسالة أخرى ، تصع عربات عن يسارنا ،
ورسالة ثالثة تسأل : هل تشك ؟ .

وتناولت سماعة اللاسلكي ، وطلت ، محسن ، على الجهاز
واستفهمت منه نتي ، من التفصيل ، ثم أمرته بالاشتراك .

ووقفنا منتشرين في أماكننا واحداث الدمامات بقدر
الاستطاعة سقراً من ثبات الأرض . وحملت الريح إلى
آداسا أولى الطلقات تدوى من بعد . فعلمنا أن الاشتراك
قد بدأ .

واستمر الدوى يعبر حياً ويحمت حياً . ووصلت
إليها الرسالة بعد الرسالة تدفنا أن الاشتراك مستمر ، وأن العدو
يحاول بيراسا عما ملكت يده ، وأن المعركة على أشدها ..
متأججة اللهم مستعرة الآوار

وجأة وصلت إلى رسالة أحسست منها هزة في جسدي
كأن هناك مطرقة أصابت مؤخرة رأسي ولم يكن ما جاء
بها أكثر من : أصيبت دبابتى .

ولم تنص بصع نوان حتى تلتها طريقة أخرى .. أو طعة
أخرى .. أصابت حشاي .. ولم تكن سوى : أن أموت ..
أجل .. أن ، محسن ، يموت .

ونوان أخرى ونحدث عامل اللاسلكي يقول إنه قد مات

في ألكي وان اكتب ما اكتب ، ورغم أنه لم يكن لدى
وقته لك فرصة الكلام . فقد سلمني قسوة لموقف كل ما من
حسن وشعور . وكان يحل لي أن لا أعدم دم ولحم من من
حديد وحجارة . وكنت أشبه بإسار ألي به في بحر من
الخليج خدمت أطرافه حتى فقد حماسه
في ثوان معدودات قصي صاحبي .

أجل . اهدأ انتهى في كل خير . إن أموت . ثم
وكيفت م يكن هناك وقت خزن أو بكاء . أو حتى لتفكير
بمن مات أبأكل . حتى ولو كان المستأجر
إن كل ما بقي فيا من حسن هو الإحساس بالوحد
بحس في عمل . ولا بد لنا من إيمانه . فإداعات واحد
ما أو متنا جميعاً . فذلك أمر ثانوي . أو فن به أمر
معروض هل هناك حرب بلاموى ؟ وما فائدة الحلفقات
والبرار والأسلحة . إذا لم يقتل بها بعضاً بعضاً

ديت هو لشعور الذي كان يحيم عينا وقتك . شعور
القوة والحمود أو اللاشعور . . الذي يجعلنا نشحور عن
آخر لنسمر في تأدية واجبا . . كأننا لم يكن لنا بموتانا
أدنى صلة .

وهكذا أصبحت أتمم واحبي . ثمراً إحدى السرايا بالتقدم

للمعاونة سرية المقدمة في اشتراكها مع العدو ، متقدماً معها .
حتى استجلى الموقف بنفسى .

وبدأنا بقرب من أرض المعركة ، ولاحظنا دباباتنا وقد
تشابكت مع العدو الراسخ عن يمينها ويسارها . وقد بدا لنا
أنها قد رحت بنفسها في مأرق حرج .. وأن العدو يوشك أن
يعيها حيماً بعد أن حاصرها سرايه ، ووجدت أن من احصأ
أن أرح بالسرية الثانية في نفس المأرق . وأن من الأفضل
أن أحاول تطويق العدو بها ، وأن أسير بحركة لتعاف واسعة
المنطق حول أحد جناحيه .

وأمرت السرية بالتوقف قبل أن تنورط في مرمى يراى
العدو . وظلت من فائدها وهو الملازم ، على يميني ، أن يقوم
بحركة الالتفاف المطلوبة .. وأهمته أن لا فائدة من التقدم
إلى السرية الأولى لأنه سيتردى في المصير ذاته ، وأن خير
طريقه لإيقاد من نبي مها وإحباط العدو على الانسحاب ، هي
حركة الالتفاف التي شرحتها له .

ووجدته ينظر إلى وقد بدا في قسبانته حزن شديد ولاحت
عليه علامات التردد . كأنه يعترض على ماقلت ، ويود أن
يبدى رأياً آخر ، وسألته في عجلة :

— ماذا ؟ .

ووحده يصعظ على نواحيه كأنه يحس في جوفه شعوراً
يوشك أن يتطلق .. وعدت أسأله :
— ماذا تريد ؟

ورأيت في عييه طعة لامعة من الدمع الخبيس وسألت
في صوت مكثوم وهو يشير برأسه إلى حيث السرية الأولى
مدت لتنادل الصلوات مع العدو
— وحس ؟

— ماله بحس ؟

— حته ؟ من سترك حته للعدو ؟ .. لا بد أن

محصرها

وأحدث بالخمود الذي أصاب مشاعري تنقث ويدوب
وفقرت الدموع إلى محاربي ومممت - لولا مهية من تحلده -
ن أن أندفع في البكا.

لقد عدت مرة أخرى بسألاً . وهاج قول صاحي
الصغير حربي . وأثار مشاعري . وبدأ لي أن من الواجب
علي أن محصر حته ، بحس . ولكن كان من الجواب أن
تقدم إلى أرض المعركة في إحدى الدبابات .. فقد كان عرصاً
طاهراً .. وكان العدو لا يد مردبها ومصيدها في الصميم

وكأنيما أدرك ويحبي ، ما يحول محاضري . فقال في إصرار
وتأكيد .

— إنني على استعداد أن أنسل على قدمي وأزحف إلى
هناك . . وأؤكد لك أنني سأحضرها في بضع دقائق . . لن
نتأخر أو كذا لك

ولم يكن به من حاجة لإقاعي . فقد كنت أنا نفسي
منهياً على إحضار اخته لتمريره . وفي عظمة عين حزمت
أمرى . وقلت له إنني سأذهب معه

وسأنا أنسل وأزحف . متعفين سوار الأرض
والأعشاب والنبات حتى نلنا في مطعمه ليران

هل يستطيع إنسان منكم أن يتصور الحميم ؟

لقد كما فيه بلا جدال !!

كيف لا . وقد كنت أؤمن أني لم أعمد على فيد أحياء
وأن ما تبقى مني ليس إلا روحاً تطوف بهمهم . وساءلت
نفسى في دهشة . إن يارب مسم . ماذا دفعني إلى
هذا الحميم ؟

والنفت إلى صاحبي الصغير فسمعتة يسمل . فلم أشك

في أنه قد حطرت على يده ما حطرت لي . وأنه قد نحل أنه ليس
سوى روح بصلي صفر "

ووصفاً أخيراً . والنار من حولنا ومن فوقنا . ووقع
أصغرنا على دبابه . نحن .

ونظرت إليه . ونظرت إلى

من تعرفون الخمر . أحر الأحر المتأرجح الذي لا تنصر
فيه سوداً ولا باصاً . من قصعة حمراء . صافية الخمر
قد كانت الدابة كذلك

لقد حرقت الدابة . ولم يكن لها أثر لدخان . أو هباب .
بل كانت حمرة حمراء بشع منها الصهد . . . وتنفخ وجوهاً منها
حرارة لاسعة

ولم شكلم . بل بدأنا العوده واحبين في صمت وبطراق
وقد شرد ذهننا شروداً شديداً

وبدأنا العوده مسلين . كما جئنا . وسط عاصفة البيران .
ولكن العوده لم تكن سليمة إذ أصيب صاحبي الصغير
نشطة في جسده أردته على الأرض . وهو ين أبياً حافئاً
ووجدت لفتي قد راح صبية رقة مشاعره ومشاعري
وأنه كان من الواجب عليّ ألا ألبس . . وأن أترك الموتى لرحمة



وأستمر في
واحي حتى
لا أصف
في الحوق .
نحو يا حديد
وهذه
المشاعر
المنحجرة
تركت لفي

ملق على الأرض منه ندى الدماء ، المذهب إلى السرية
الوفقه تنتظر فأمرت أحد صباط الصف أن
يعص نصائحات إلى اخرج ويقوم بعمل الاسعافات الأولية
حتى نلتقى من مهتبا

وبدأت أذيع السرية حول معنة العدو ، أمر أمريه أخرى
تصوبق ميسرته

وأخطأنا العدو . ودارت بنا وبينه معركة كبرى ..

انتقمنا منه لأفمننا شر انتقام ، ودمرنا عدداً كبيراً من
مصنعاته وأكرهناه على الانسحاب .. تاركاً حطامه وقتلاه ،
راضياً من العيمة بالإياب .

انتهت المعركة وقد قارب اليوم على الانتهاء ، وأحسست
شعب النهار وسهر الليل يحط على جسدى وبدأنا لم شعشنا
ونعود أدر اجنا للتجمع والرحيل

وكان أول ما فعت هو لسؤال عن اصحاب المريح
فوجدته قد غمد بجوار إحدى العربات . وهو يلفظ
أحر أهاسه .

ركمت بجواره وأنا أحسن بأحشائي تمرى كأن فى خوفى
من لشطيا أصعب ما يحسه ، ونميت لو استطعت أن أفر
له شيئاً . أى شيء ؟

لم لانقوى أمدى الأحياء على إحياء الموتى ؟ لقد كانت
نفسى من الرعة فى إعادته إلى الحياة ما أستطيع به أن أحيى
جيلا من الموتى ، فم لم يبعث حيا ؟

لقد جلست بجواره وأمسكت بيده بين كفى ..
وأحس فى فمى عيبه . ولاح على شعبيه شبح انتقامه ثم
قال فى صوت حافت

— كيف الحال ؟

— انصربا وطردهاهم من موافعهم

— اجمعه

وكانت المرة الأولى في حياتي التي أحس فيها إلى إنسان
يموت . وأى إنسان . . . إنسان حاد بروحه في سبيل
جثة صاحبه !

وسمته يتمتم بصوت خافت

— إلى سعيد

ولم أدري ماذا أقول له . وحيث أن يبتلق دمي . .
فأهدت حتى كسه . وعلت له في رفق وحنان .

— ألا تريد شيئاً . ألا أستطيع أن أؤدى لك أى شئ .

— كنت أريد شيئاً واحداً لا أطلب هناك من يستطيعه .

كنت أريد أن أرى ابنتي مرة واحدة . المرة واحدة فقط .
لقد أوصني بأن أحضر لها هدية عند عودتي . ولقد انتعت
لها قرطاً عندما ذهبت إلى بيت لحم .

ومدّ يده إلى جيبه فأخرج قرطاً صغيراً . وأردف قائلاً .

— أعطها هذا القرط . . وقبلها لي . . كم كنت أريد أن

أعطيها إياه بنفسى . . فليس هناك أحب إليّ من أن أحمل
لها الهدايا .

وصمت لحظة ثم ألتفت إليها أنفاسه وعاد يتمتم في صوت خافت .



— أريد أن أراها .. مرة واحدة

وأعصت عني .. فقد كان قوله أفسى على نفسي وأشد
إيلاماً من أفسى وسائل التعذيب والإيلام . كيف لا . وهذا
الإنسان الخبير بالنفس والقلب . لا يطلب أمة قبل موته إلا أن
يعطي ابنته الطفلة هديتها الصغيرة !

وفتحت عيني .. فأصابتني رعدة . إذ أنصرت أمانى
أمرأ عجيباً .

لقد رأيت صفة . أو شبح طفلة بهيمة باهتة تنحني
على القتي الرافد دامية . وتمد يدها فتأخذ منه القرط . ورأيت
وجهه يتهلل بشراً . ومدد راعيه فاحتواها يديهما وقبها في عصف
وحان . وفي لمح البصر تلاشت في الهواء .. ولم أعد أهر
سوى القتي وقد أعص عيبه وبدت على وجهه ألمع آيات
إنسجاده والهاء .. وأحسست برودة تسرى في جسدي
لعد . مات . انتهى .

كيف حصرت الطفلة ؟ .. كيف دهمت ؟ .. لقد كانت
لا شك من بنات الأوهام .

إن ما رأيت لم يكن إلا من فعل الخيال المحمّد المكشود .
وبحثت عن القرط في يده .. أو في يدي . فلم أحده
أحل لقد كانت المنة كلها من صمغ وهمي وحيالي .

ونوى صاحبي في باطن الارض .. وعاب فيها . كما عاب
 أصحابه من قبله وكما سنعيب من بعده .
 وعدت إلى القاهرة بعد ذلك . ورحلتي قدامى لأؤدى
 الرسالة .. ولقيت زوجته . ولقيت ابنته
 يا لله ! .. لقد كانت نفس الصغرى . لا تغترق عن الشح
 الذى رأيت ، سوى أنها نموذج حى .
 وفى أذنها وجدت القرط ..
 كيف وصل : بها ؟ لم أجسر على السؤال !!





هـم الزمان من الاربع مديع
 عرسه الشيخ من صدر محمد علي وهو
 قصه قصه دمي ناله لا ان كاس
 ده ده دانه سره لغو نه ؟

لصعته أيام سافقتي الصدوف إلى لقاء منولى احدى
 منهن عبد الرحيم ، مدرس الرسم في مدرسة شبرا الثانوية .
 وقيلت عليه أحبه في شوق ولهفة . وكان أحب
 المدرسين إلى نفسي وأقربهم إلى قلبي . أولاً لأنني كنت
 أحيد الرسم فكنت أعبر حصصه أوقاتاً للترفيه والتسوية .
 وثانياً ، وهو الأهم ، لأنه كان مخلوقاً ما عرفه إنسان ، لا أحبه
 لطيفة قلبه وودعه نفسه . ولما في أطواره من عذوبة وصرافة
 كان الرجل فسيحاً أكثر من أي شيء آخر . ولم يكن ذا
 كمامة ظاهرة في مهمته لتدريس . وهي مهمة عتاج من كل شيء
 إلى فرداني ، يعرف كيف يمد يده من هؤلاء ، الفريود ، الذين
 يسمونهم "اللامبد" . أما هذا الرجل لعنان بحسده الرقيق ،
 ودهمه لشارد . فقد كان أهدأ الناس عن أن يكون مدرساً .
 كما أنه جميعاً بلا استثناء . . . وكيف لا يحب مدرساً
 لا يكاد يحس وجوده ولا يكاد هو يحس وجوداً رعم ذلك
 الصحيح الذي كما تحدثه فيوقف أهل الكهف ؟
 أقول . نسي بعيت الرجل منذ بضعة أيام لأول مرة
 مدسوات حوال . وكان المقعد في قصر الخوخرة ، قطعة
 حيث انتدب لإعادة رسم بعض الخاروف ، ولم أره قد تغير

كثيراً عما كان .. يافعه المشاة ذات الأضواء المثبتة وقد
حرق بها عذقه المعروف الرفيع بحمل في نهايته رأسه الصغير
داشعر الأشعث ، وقد أسد مظاره ، السيك ، على أرمه
أنفه ، وأغرق جسده في بذلته ، الاسموكن ، السوداء .

وأقمت عليه أحبيه . واسطاع هو أن يجرى بصرة
من وراء مضاره ، ورد على نخبتي نفس الشوق واللوعة . ودر
بيده حديثم يكف حلاله عن الاسماك فيما يرسم . ونصرت
إلى تلك الحروف المدعة ، وهو يجرى عليها فرشاته في مهارة
وحدث . وقتت بصوت ملؤه الإعجاب

— رائحة — إن عحك في منتهى الدقة والبراعة
وهو الحسن رأسه في شيء من الانحناء ثم أجازي قائلنا
— نبي لا أفعل أكثر من أن أعدد رسمها — وبدا كنت
تراني بارعاً بمجرد النقل — فإنا نقول إبدأ بيمن حلقه
وأوحدها ؟

وصحب الرجل رهة ثم عاد يقول .

— يحين لي أن الدهن الشرى سائر في طريق العجر
فحسن في كل ما فعل "ليوم لستنا إلا نأفلين عمن سبقونا من
العبادة ، وندخل إلى الآن نستوحى أفكارهم ومبتكرات
عقولهم .

ونظرت إليه وقد أهملك في عمله ، وفلت أماسه في شيء
من الدهش

- الدهن البشري سائر في طريق المعجز ؟ لا ، لا يا سيدى
قد يكون حقاً أساً لنقل عن أسلامنا بعض أفكارهم
ومستكراتهم لتستعين بها ، ولكن هذا ليس دليل عجز .
إن الدهن البشري قد يأتي الآن بأشياء لو رآها أسلامنا
لصرعهم الدهش . . . وإلى لا أتصور ماذا يمكن أن يكون
حال صاحبنا الذي رسم هذه الخراف أول مرة لو بعث الآن
من مرقده ليرى ما صنعه الدهن البشري . دعك من الذرة . .
أو اللاسلكي . أراه فقط عربة تجرى في الطريق

وهنا رأيت الرجل قد وضع ، فرشاته ، حذوة وطر إلى
نخلة واستعرب ، ثم قال :

عجب هذا مدى تفوله عن الرجل ، وعن العربة
تجربى في الطريق

- وأى عجب فيه ؟

وأطرق الرجل ، وساد الصمت برهة . ثم تكلم أحيراً
كأنه يتحدث نفسه .

- لو رويت لك الحقيقة لقلت ثمن أو محمول . من

يمكن أن تصدق أن الرجل الذي تعيه قد حصر إلى عملا .
وأنتا تحدثنا عن العربات ؟

ويستطيع الفاري طعماً أن يدرك كيف وقع قول الرجل
في نفسي . . ويستطيع طعماً أن يدرك مبلغ الجهد الذي بذلته
لكي أكو وحى مطهر الحد . وأن أكنم تلك الصلابة التي
كانت تصطبج في صدري . . فقد كان الرجل جاداً في قوله .
ولم يد عليه أنه ثمر أو محمول بل كان ينكم ملهجه ملؤها
الصدق والإخلاص ثم هو فوق ذلك مدرس وما زلت
أشعر بحوه حرام التبدد فقلت وقد بدت على أسمع
آيات الدهش

— شيء غريب !

— إنه لمكذلك . وقد حدث رأيته أمامي كما أراك
الآن .

وكيف أتى ؟ ومتى ؟

وصمت الرجل رهنة استجمع فيها شوارد أفكاره ثم
استطرد قائلاً :

— كان ذلك مندبعة أيام قبيل العروب . وقد انتهكت
في الرسم عهد ما حيل إلى أن شخصاً يرقى ولم أكن قد سمعت
أحداً يدخل . ولا كنت أنتظر زيارة أحد والنعت فجاءه فإذا

في أجدده أمامي تماماً كما تقف أنت . وقد أحديرفي هبوط
مرتدياً سرواله لفصافص وعمامة وصديريته ومركونه
ثم رأيته يهر رأسه بخجاب قاتلا .

- شيء يدع - هل تعلم أن هذا من صعي لا أطر
أن عندك الآن من حصبع أن بعض مثله .

ولست أدري ما لدى جعلني لا أولى من الرحمن - أو
من الشبح - فراراً ولا أصرع منه - عدأ . ولكن الله أرى
السكينة في قلبي ، فوقفت أنحدث إليه كما أنحدث إليك - تعير
خوف أو وحش . ووجدتني أقول له مجاملاً :

- لواقع أسها سي رانع

ورأيتك سلفت حوله ثم بساار

قد وجدتني على ملعة أعلاماً و - سات ما - سرها .

- بما تحفص بدسها

- نسها - ما هي ؟

- لقعة

تسلم من

- من المحتدين .

- أو قد عاد إليكم املون مره أخرى ؟

- لا . ليس مالميون . إسم الإكليل هذه المرة



وبدا عليه الدهش ووجدت أنه شخص متعب، وأبني
لو أعلمت رغبته في الاستقصاء على هذا النمط لاصطري إلى
أن أسرد عليه تاريخ مصر منذ أن شيدت القنعة إلى يومنا هذا
وكانت الطيبة قد بدأت تنشر فلم أجد حيراً من التخلص
منه بالانصراف فبدأت أجمع أدوات الرسم في حقيبتي وأنبأ
للحروح ونظر إلى منادلا

— إلى أين ؟

— سأصرف .. فقد أقل البين .

— ولم لا توقد الشموع ؟

وممت من أحبه ، أنا لا نستعمل الشموع بل نعوى
بالكهرباء . ولكني تصورت أى مأزق يمكن أن أصع فيه
نفسى إذا سألى عن الكهرباء ، فربكن خيراً من أن أوفر على
نفسى الشرح . فقلت له : ملاحظة

— لقد نددت الشموع

ونظر إلى نظره رثاء لهذا العقر الذى صرنا إليه ، ثم عاد
يسأل من جديد أسئله النافذة :

— ولم ترك الإطعام القنعة . هل مجمتم عليهم ؟

— لا . لا . لم نحتاج المسألة إلى هجوم أو غيره . لقد

استيقظ الوعي القوي وطاب بالجللاء . بحلولا .

لا لا أضل أعل طي أنهم حلوا عنها لأنها
قد أصبحت قديمة عبر ذات قومه . وأن الفصل في حلهم
عبار جمع بين انتشار النقيض .
- أنت لا تعرف شيئاً . لقد قلت أن الوعي القومي قد
استيقظ . وأن الأمة كاه . قد هتت نصاب بالخلاء والوحدة
وإدى أسيل .

- وحدة ودى أسيل ؟ ماذا تقصد . ومن يطلبون
هذه الوحدة ؟

- من الانجليز

- وما حلهم ؟

- إياهم يسبقون على سودان . ويحاولون فصله

-- ولم لا تفردوهم بحشكم ؟

وهنا وجدتني أوشك أن أرتلق إلى مسألة أشد وعورة

من شرح الكهرمان . هي مسألة شرح حنة الجيش المصري

فقلت له

إن المسألة لا تحتاج إلى جيش ، فاسودايون إخواننا

و نحن وهم شعب واحد ، وهم رعون في الوحدة كما نرغب فيها .

إذا هم الذين سثورون وبطردون الانجليز

ليتحدوا معكم ؟

وأقول الحق أن صدى كان قد بدا يسعد من الأسئلة التي
أحد بهال عني بها .

وم أحد بدأ من أن نشه أن في غلله لاني عني موعد
ولابد لي من الانصراف ومددت يدي إليه بحباً ، ولكنه
أشنى أنه يسر معي ، فقلت له مني أن أسير من سارك .
وسأني أعدك حمار ؟

فهررت . أمي كلا

- لا شك أن عدك عرب

أجن عدى عربية عشرة خمسين

ورفع إلى الحسن رأسه في رهون وطني أروح

و . لكن لم يكن في قولي شيء من مراح فقد كانت عري فعلا
عربية هور . ١٠٠ جن . ووجدت في العربية ووجدت لرحمن
أمام حائراً لا يجد أثراً حصان واحد وظل يلا
شيء من الاحتفال . ولكنني وجدت سرعه داخل العربية
حتى أربى ما بدا عليه . احضار وشرت . مدرش .
وبدأت العربية تحت حشواً غلياً فقد كانت مسهورة
لنا كان مكشورة فوجدت الرحمن قد ظهر من مكانه
مرئاعاً وأخذ يطر إلى العربية في حذر واحتراس وظلت
مه لصعوده . أخذ يدور حول العربية في حذر ، ثم كبراً إلى



لصها فلما لم تلتحق به أذى أخذ
يتحسها يسديه كأنه يتحس
صرخ أحد الأولاء وعلت
المشاشة ووجهه ودمت عليه فرحة
طفن يلهو دمه

وحلس نحاسي واسها عن نسين جارف من الأسئلة
حاولت أن أجيب عنها في حدود معرفتي بالمرثية وعنى الأصح
جملتي بها. على أي حال، لقد كانت أسئلة معقولة حتى وحده
يسألني فها أن أجمع العربيه من الذهب ما كفى شرائها
و نظرت في الرجل لأخبر في دهش وفدت

وبسكها أن تكون ذات فائدة لك حبيبته به
لست أدري فكرة وجهه عن المكان الذي أنت فيه . لكني
أعرف أنهم لا يهتمون هناك في عربات .

من أراءك؟ لا أدول أن تستدر حتى لأشرح كيف
يعيشون طواحب على أن أرمضت على أنه ليس
من شأنك أن تكون ذات فائدة ثم عبرت فائدة . المهم
هل تنبع؟

وهذا أخرج من سرواله كيساً مملوءاً بقطع الذهبية

وأفرع حاداً منها في حجره وراعى يريها . وعاد يسأل في شيء
من العصمة .

— كم تريد منها لها ؟

وتزدت رفة فقد كنت أعم قبل كل شيء أنه لا يعدو
أن يكون شجراً وم أحد صيراً من أن أسير في المرحلة إلى
سمايتها . فقلت له :
حسب قطعه .

وبدا الرجل بعد انقطع

وأخيراً جمعت القود في الكيس ووضعته بجواري

° °

وصمت الرجل وأحدث أحسن فيه دهشة داهلاً هذا
الرجل العاقل البريء . قد ناع عرسته شبح من عصر محمد
على . وهو يغص لقصة عيسى ثقة والاتزان كأنها حقيقة
واقعة . ماذا أقول له ؟ لقد قلت متهاكماً

— ثم ماذا . ماذا حدث بعد أن أعطاك القود ؟

— لقد حدث بعد ذلك شيء الغريب جداً في الموضوع
(كأن كل ما قصه على كان شيئاً لا عرابية فيه) فقد رأيت رجلاً
على رصيف الشارع في المكان الذي سمعت فيه آخر كلمة . .
بلا عربة وبلا شبح . لقد احتنى كل ما حولي كمنح البرق . .

أو كأنما قد استيقظت من حلم . واسكنه . يك فط حلاً

هل أنت من كذا ؟

ولم يحكم الرحمن من أخرج من حقيقة كواره كذا قد

ملى . الفصح الذهبية ونداء به أممي فانلا



— لو لم أحد هذا السكس بخوارى لقلت مثلك أبى
كنت فى حم أو أن ما رأيتة . يكن سوى حيالات ثمن
وساد الصمت . واسعر فى تفكير عميق أنه شخص
سقى أن قنت عنتراب امرات أبى لا أو من ما الشح
ولا بالارواح . ولما عهد وحدتى أحول أن أجد تعليلاً لما قاله
الرجل . لقد كان يدولى أنه صادق فى كل ما قال . . . هو
من ذلك النوع الذى لا تملك إلا أن تصدقه . والذى لا يمكن
أن يكذب . إذاً ولأنه أن يكون ما قصه قد حدث له .
أو على الأقل قد حين "يه أنه حدث له . وعلى ذلك والمسألة
لا تعدو أحد أمرين : إما أنه كان مثلاً وسرف منه "العربة" وهذا
غير معقول لأنه قد وجد بخواره الممود وربما أنه صحبة
جدعه بحوكة الأظراف . وهذا هو الأكثر احتمالاً .
وحاصة أن شاهدت ملابس عهد محمد على متوفرة لدى الجمود
الذين كانوا يقومون بالحراسة فى الاحتفال بتسليم القاهرة . وعلى
ذلك فلا يستبعد أن يكون حيث قد استطاع الحصول على
هذه الملابس . وأنه قد مثل دور الشح مع الرجل حير تمثيل .
وأن ما أعطاه إياه من الممود ليس إلا قطعاً مريفة . وأنه قد
صربه صرية أعمدته رشده . ثم تركه على إمرى الشارع .
وكنت أعلم أن هذا الافتراض لا يجوز من ركاكة . فإن

هناك وسائق لسبب ارجح عرته أسهل بكثير من هذه
الوسيلة . ولكنكم أجد تعديلاً لما قصه الرجل حيراً من
هذا التعليل . ولا شك أنني أستضع أن أحرم صدقه
بواسطته أن أثبت أن المقطع أتى مع الرجل قطع مريفة

ورأيت لرجل أن يعبري قطعة منها حتى أريها لخير
أبنائكم من أنها ليست مريفة . ولم يرد الرجل فاعطاني
القطعة وتوالت على اللقاء في اليوم التالي

وذهبت إلى رجل أعرف له خبر هذه الأمور . وخصص
الرجل القطعة . فمن في قصصه ولشدة غي رايته ينظر إلى
ثم يمشي إليها صحيفة . وأنها مدرة لوجود . فهي من المقطع
التي كانت تستعمل في عهد محمد علي

ورغم ما كان في قوله من تكيد للصدقة العجيبة فإن ذهبي
لم يستطع أن يقبل القطعة بعد . وذهبت إلى دارى . وفي الصباح
استيقظت وفي بيتي أن أعد القطعة إلى صاحبها . ولكني
لم أجد لها حيث وضعتها

ومضت بضعة أيام وأنا أحهد نفسي في البحث عنها دون
حدوى . . ولم أجد حيراً من لذهاب الاعتداد إليه . وأن
أعرض عليه ثمنها .

ودهمت إلى الرجل فلقيني مرحباً . وبدأت أروي له كيف
سرفت القطعة . . ولكنه قاطعني قائلاً ببساطة

— لا عليك لقد أعادها إلى "

مر ؟ من الذي أعادها ؟

— الشيخ . لقد أسأني أنه حتى أن تصيغها فسرفها منك
وأعادها إلى

وهررت رأسي في حيرة كيف أستطيع أن أصدق هذا ؟
كيف سرفت ؟ وكيف أعيدت ؟

أعجب الظن أن الرجل يعف عنه شيء . . لوثة . أو حبل .
على أية حال . حمد الله . أن الشيخ السارق قد أعاد القطعة
إليه . وأرأى دمتي

وحمد الله أيضاً أني لم أكن مستيقظاً عند ما ارتكبت
سرقته . ولا كانت وثقي عاراً .

کف ۲
 در
 هن

حقایق و حقایق



ذلك في إحدى الأمسيات وقد صمنا ندوة من
الأصدقاء والمعارف . وكما حليطاً من مختلف
المهن والأعمال ، وأخذنا نقطع الوقت بالسمر أو
لعب لرد والورق . وحسب أن أمام المديع أنصت إلى
بعض المحدث واللعو حتى صفت به درعاً فأسكنه . والتفت
إلى الصحنه السامره أشترك معها في الحديث . فسمعت أحدهم
يقول متمماً بقية قول لم أسمع أوله :

— واستمر لطرف عني لعدة في نفس الموعد كل ليلة ..
وكنت أسمع وقع أقدام فوق اسطح عدو وترج ثم أسمع
صوت هبوط جسم ثقيل . وأؤكد لكم أني لم أكن حياً
في يوم من الأيام . ولكن هذه الأصوات في منتصف
الليل كانت تبعث في حسدى فتشعريرة . ولقد حاولت تصع
مرات أن أنسل إلى الضمة وقد أمسكت في بدى سكبياً من
الطابق أو السائر يكون لصاً . ولكني لم أعثر على أحد
قط .. وكنت لا أكاد آوى إلى فراشى حتى يعود لطرق .
وأخيراً لم أعد أحتمل . فترك الدار تبعى من بناها .
وصمت القوم .. وأحدوا يهزون رؤوسهم في دهش
وتساؤل ، ثم قال أحدهم معلفاً .

أجل لا شك في وجود الأرواح والأشباح ، لقد
سكنتنا دات مرة بحوار إحدى الدور المسكونة . التي قيل لنا
أن صاحبها مات محروفاً . ولم يكن الآيب يقطع طول الليل
وكنا أحياء نسمع عويلاً وصراخاً

وأمر البعض على أقواله هر الرؤوس . وبدت الخبرة
على البعض الآخر .

ولم أحتمل هذه الخرافات . فابريت أقول وأما أصحك
ساحراً :

- كلام فارغ . هذه كلها أوهام وتصورات معشها
صعب الأعصاب . هذا الطريق على الباطنة . والأقدام التي
تروح وتعدو . والصراخ والآيب لا شك أنها صادرة من
مصدر مدوس كائن . لست أدري ما الذي يبعث روحاً
من الأرواح على أن تمضي ليلها في دق باطنة . أو التفتي على
سطح أوج صوته في الصراخ والآيب . هذه سخافات .
حرام علينا أن ننسبها للأرواح . ولو بحثنا جيداً لوجدناها
ناجمة عن أئمة الأسباب .

وصاح إصديق صاحب الباطنة المطروقة .

- كيف ؟ ومن أين أنه صاحب الطرقات وصاحب

الأقدام التي تزدو وتروح ؟

— صاحب الأقدام قد تكون قطعة على السطح .
أما الطرق فقد تكون صادرة من شكل مكسور تمت
به الريح .

وادمع صاحب البيت المسكون يقول في استخفاف
وسخرية .

— والآن والعويل . . ما سبهما ؟

— كلب جريح .

— لافائده من المناقشة معك ، بك يسأل أنت كيف بكل
شيء وتظن أنك تعرف كل شيء .

واسمع الساقون يسهون رأيي . فانتظرت حتى حب
صحيحهم وقلت :

— لا بد أن يكون لكل شيء سب . . ولو بحثنا عن
أسباب هذه الحركات جيداً لاستعصا أن نعرف عليها .
ولو جردناها في منتهى التفاهة . . لانت إلى الأرواح أو
الاشباح بأية صلة .

وكان واحد من القوم قد اتخذ مكاناً قصباً . . ولم يحاول
أن يشرك نفسه في المناقشة ، وهو طبيب معروف عاقل رزين
فسمته يقول معقلاً على قولي :

— معك حق . فأنا مثلك لا أؤمن بالاشباح ولكن

يحيل لي أن هناك قوى محولة تأتي بأفعال - غير ذلك العت
من طرق على التواجد وأين في سكون الليل - أفعال تعني
شيئاً أو تكون ذات فائدة لكائن بالذات . دون أن
يستطيع أن يعلل كيف حدثت أو من فعلها .

ولم أفهم ، لصط ما يقصده الطبيب . وكذلك بقية الرفاق
واظهار أنه قد رأى قوله غير مفهوم . فقد تناول نقاداً
وأشعل سيجارته ، وقال وهو يفت دخانها سطره :

- يبدو أني لم أستصع أن أوضح قولي جيداً . إذن
فاسمعوا ما أقصه عليكم .

حدث هذا مد نصع سير إدكت مدعواً لقضاء نصعة أيام
في عرته ، ركبك ع.د.العال ، صاحب مصانع النسيج المعروفة
بالمنجى . وهو رجل كريم لطيف المعشر . . ردت نصع مرات
في مرض ألم به وأصرّ على أن يرد الخيل مدعوني إلى عرته
ولقد فلت الدعوة مكرهاً . إدكت موقفاً بأن لي أحد
من وسائل انفسية في عرته النائية ما يجعلني أقضي وقتاً طويلاً
ودهنت . لمجرد رعني في ألا أولم الرجل برفض دعوته
على أن أعود بعد يومين على الأكثر .

واستمر في المقام في الدار القسامة بين المزارع المتزامية .
وأدهشي أن أجد في الريف بيتاً يمثل هذه العجامة . . فقد

كانت تتوفر فيه كل وسائل الراحة والتسلية .

ومرت بي الأيام الأولى دون أن أحس بأي ملل . فقد كانت لكل تلك المرحات - مصافاً إليها عامل مهم ، أو هو أهمها جميعاً ، وهى بنت أحمى ركنى بيت - أثرها الفعال فى استنفافى

وسباتى ما كنت قد عقدت إليه عليه من عودة سريعة

كنت أقضى اليوم فى لعب التنس ، أو فى لساحه ، أو فى ركوب الدوكار ، أو صيد السمك . . تشاركى الفئاة فى كل ما أفعل . . وكانت سمراء جدانة . شديدة المرح ، تفيض أبوة وجاذية

ورحلت الفئاة فى اليوم الرابع . . وبدأت أحس بالمراع والوحشة . . وحيل إلى أنى قد أحلت الفئاة وصدمت فى نفسى على أن أتقدم لخطبتها

وحدث فى اليوم الذى عرمت فيه على الرجل أن دعاها ، وعريك شريف ، لزيارته وقضاء السهرة معه . وكان يملك لعربة المجاورة ، وقيل العروب أخبرنى ، ركنى بيت ، أنه يحس تنوعك وأنه يفضل أن يستريح ، وسألى أن أذهب وحدى قائلاً : إنه قد أمر الأسطى محمود بتجهيز الدوكار ، ليقتنى إلى هناك .

وكنت أحب قيادة الدوكار ، فأحته ، أنى أعرف الطريق

إلى بيت عمرك وأنى أستطيع الذهاب وحدى . فلا ضرورة
لأن تعب الأسطى محمود . دعه يستريح .

وبدأت اسير وأنا أحس بشوة عجة . . وكنا فى
أكتور ، وجو الخريف رطب معش ، والشمس تنهذى فى
الائق بحجرة ديوطها الحمراء على رؤوس الأشجار وأطراف
المرووعات والجواد يمشى مرحاً

ولاحت لى أخيراً الأشجار لعاليه المحبضة بدار شريف
بث . . ثم عرت لوانة الحشوية القائمة أمام باب الدار
وامتصلة بالسور الذى يحيط بالحديقة . وكانت الطلبة قد
مادت وتسد النور إلا بقايا ماهة واهة تبنى من المرائب
أشباحاً غامضة

ونظم العربة والحواد أحد الحراس . ودخلت الدار
فوجدت صاحبها فى انتظارى مع ثلة من الأصدقاء واعتذرت
عن ركنى بك ثم اتحدت بحلى بينهم . . متشاعلاً بالحديث
قارة وباللهب قارة أخرى .

وحان وقت العشاء فنهضا إلى حجرة الطعام . . وبيد كل
كأسه . وسرت بينهم أحمل كأساً من الويسكى المحفوف أحدثه
بعد إلحاح . إدم أكن متعوداً الشراب .
ولم أتناول من الطعام إلا قليلاً .

وعندما بعد العشاء لمواصل اللعب والصحك وعندما
بلغت لساعة العشرة استأذنت في الانصراف

وحرج شريف بك ليوصلني إلى الخديفة . ووجدت
العربة في الانتظار . وقد أضاء الحرم مصباحها . واتخذت
مكاني على مقعد لسائق . وقلت لمصباحي

— أرحو أن أزد صيافتك في مصر حتى أستعصر
أربال الذي حسرته في اللعب

وصحك شريف بك وقال

سأورك بـ شاء الله لأصاعف الرخ

وحينئذ . ثم حدثت اللحام فتحرق الخواد ولوحت

بحل يدي . واضطقت من لوابية الخشية إلى الطريق

ولم تسكن الظلم شديدة في نادى الأمر . فقد كانت

أصواء الحجوم تظهر لي هنة المرتبات وأصوه حبيه . ولم

يصعب علي أن أمير الهنات لقرية من أشجار وأكواح .

وكان مصباح العربة يندد بعض الحسكة في يدي أصمباماً .

ولسكن عندما أمعت في اسير بدأ أصاب يملأ الخو

ورادت لطلبة وذهب الصوء الخافوت لشاحب الذي كان يسط

من الحجوم المتأققة . ولم يعد المصباح قاسراً على أن يكشف

جوانب الطريق

وبدأت أنتمن وأعيد نفسي وصف الطريق ، ألف إلى
أعين عند شجرة الكافور التي تمكنت بحوارها أكوام
الساح ، وبطن الطريق مسبقاً حتى أبلغ بصعة أكوام
محيطه ساقه ، فف إلى يسار ثم أعتبر القفطرة ، وأسير
بحوار الزرعة حتى أسمع صوت .

وأحسست شيء من الراحة عند ما أقنعت نفسي بأن
لا خوف عليّ من الضلال وسط الصاب والظلمة
ولاحت لي شجرة الكافور فأنعجت يدياً ، وواصلت
أسير في الطريق المستقيم ، وأأمع بصري فيها حولي بحثاً
عن الأكوام والساقه ، وحين إلى أي مدسرت أكثر تم
يحب دون أن أفسر في الطريق أية معالم . وتوقفت رهبة
ورلت من عربة وأحسب أسير هماً وهدوءاً محاولاً العثور على
مكان الساقه حيث يوجد الطريق المنحى يساراً والى
معبر القفطرة

وعدت إلى العربة دون أن أنتمن من حولي شيئاً ، وقلت
لنفسى أبقى فدأكون محطاً في تقدير طول المسافة التي قطعتها
وأن الساقه مارالت بعيدة .
وعاودت لسر مرة أخرى ، حتى لاح لي طريق يتجه
يساراً فدلعت فيه آملاً أن أعتبر القفطرة بعد حين . ولكن

السير طال دون أن أعثر على أى أثر . وأدركت أنى صلت
الطريق ، وقلت لفسى أن غير ما أفعل هو أن أعود إلى بيت
شريف بك لأستعين بأحد رجاله ، أو لأفصى الليلة معه حتى
الصباح .

وأدركت العربة عائداً من حيث أتيت . وبدأت أستعيد
لفسى المرات التى لعمت فيها حتى لا أصل فى العودة أيضاً .
ومع ذلك فقد صلت ، وأحد الوقت يمر بي وأنا ممس في
لسير . أنحط على غير هدى .. دون أن بدولى بارقة صو .
عجاً ألا يوجد كوخ واحد من أكواح الملاحين أستدل
معه على الطريق .. فلا شك أن أى فلاح فى هذه المنطقة يعرف
بيت ركنى بك ، أو شريف بك .

يجب ألا أبأس ، فلا بد أن أعثر على من يدلنى على
لطريق ، أو على من يأوينى عنده حتى الصباح .
وسار الجواد متثاقلاً يضرب الأرض ضرباته المتتاحة ..
وأحسست بالنعب ، وبانوم يثقل أحماق .

ولست أدري بالصبط هل تمت طويلاً وأنا ممسك
باللجام . أم أن عيى لم نعمل سوى لحظة حاصفة . فالإنسان
عندما ينام فى مثل هذه الظروف لا يستطيع أن يعرف مدة
نومه . بل لا يستطيع أن يعرف إن كان قد نام أم لا .

على أية حال لقد كان أول ما أنصرت عندما فتحت عيني
صوفاً يلوح على مقربة

وبعد رؤية الضوء ما عراني من حولي وحثلت الجواد
متجهاً إلى مصدر الضوء وبعد فترة قصيرة كنت أقف أمام
بوابة خشبية مغلقة

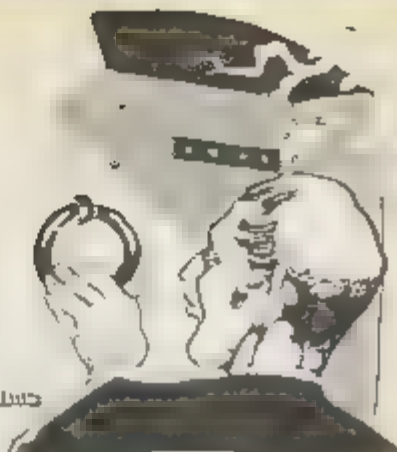
وهبطت من العربة واقترت من لبوابة القصيرة ودفعتها
فتحت . . ووجدت الأشجار المتكاثفة قد حجبوا الضوء
الذي كنت أنصره وأما في الطريق . ولم أعد أميز شيئاً
أمامي ، فعدت إلى العربة وبرزت منها المصباح حتى أسير
على هديه

وسرت في ممر ضيق يعوم على جابه سور من الدرنه
لم تمتد إليه يد لفص مد رم من طويل . ونجاة انطفا المصباح
ووجدت نفسي مرة أخرى في طلبة دامسة . ولم أجد بداً
من التحيط في الطبة حتى أصل إلى نهاية الممر

ولم يطل بي السير حتى وجدت نفسي أمام بضع درجات
حجرية تؤدي إلى باب . ولاح لي الضوء الذي أنصرت
وأما في الطريق ومددت يدي ففرغت الساب . . ومضت
برهة ثم سمعت وقع أقدام متناقلة تقترب من الداخل .

وأحسست بشيء من
الحنين وأنا أقف أمام الباب
فقد كانت الساعة تكاد تبلغ
الثانية عشرة .. ونصورت
ذلك الارواح الذي سيته

دست



لأصحاب الدار . ونصورت حنقهم عندما يلبثون أني أسألهم
عن الطريق إلى بيت فلان ، أو علان ،

وتوقفت الأقدام وراء الباب . ثم صعدت على ركبتي
وأضاء فوق مصباح عمر لمكان سور فوني . ثم فتح الباب
ووجدت أمي امرأة في حريف العمر ، تلتحف بشال أسود
عمر رأسها وكتفها ، وبذو وجهها أحمر تتحده بعض التحايد
ونخبض به الشعيرات البيضاء

وأحببت رأسي وقلت ، أفصى ما استطعت من أدب ورفق
أشرح لها ما أريد

— مساء الخير . أنا الدكتور .

وهنا حدث آخر ما كنت أتوقع . حدث ما تركني
مشدوها مدهولا . وأوقعت الكلمات على لساني
لم تسكد المرأة تسمع مني كلمة ، دكتور ، حتى اندفعت

إلى تمسك بدراعي ونصيح في صوت منشفك بك

— المذكور — أغتيا ياسيدي .. أدر كما .. لقد كدنا

بجأس من حصورك .. ابقي بادكتور أرحوك ..

نقص لقد أرسلنا الخادم لكي يحضر طيدا من البلدة منذ

ساعتين فلم يحضر حتى الآن

ولم يكن يسمى سوى الرصوح لمرأه . فقد كانت مهاجرة

شديدة الوقع على . ولم تكن حائها تعنى على أن أشرح لها

ما أتيت من أجله أو لتفاهم معها على أي شيء .

وتبعها صغرا مشدوها إلى 'طابق الأعلى وهي مستمرة

في شبيحها ونوسلاتها إلى أن أنقذاتها

ودخلت وراءها في إحدى الحجرات وبدأت في أحد فتحة

راقدة على فراش . فناة مارالت صورنها حتى الآن

معلوبة في ذهني لانفارقة

لقد كانت حيلة ماني ذلك شك .. ولكني لا أظن الحال

وحده يمكن أن يترك في نفسي ذلك الأثر لقد كان بها

ما يشبه السحر .

وحلست بحوارها وهي معمصة عينا نصف إغماصة .



وقد بدا عليها الألم . . فامسكت بيدها أحسن مصها وأما
أطلب من أمها الهدوء ، وسألتها أن تشرح لي ما بها .
ولم يصعب عليّ أن أدرك أن الفتاة مصابه بربيع أحدث
عدها هوعاً في القلب ، وأنها في أشد حالات الخطر ، وأن
الإعيا قد منعها جداً تحتاج معه إلى إسعاف سريع وعلاج
عاجل .

وكان عليّ أن أبدأ بإعطائها كورامين ثم اخذ في
إيقاف الريب وإسعادها بالعلاج العادي

ولم يكن بالدار شيء من هذا . ولم تكن هناك صيدانية
قريبة . .

وتذكرت أن ركيث يحتفظ في داره كمية من مختلف
أنواع الأدوية للطوارئ . . فنهضت من مقعدي ، وقلت
للمرأة أتي سأعود إليها حالا ، بعد أن أحضر لها الأدوية
المطلوبة

واندفعت أهبط في سرعة جنونية ، وفكرت إلى العربة ،
وألمبت ظهر الجواد . . فانطلق بعدو

إلى أين . . ١٩٠٠

يا للحمق والعاورة . لقد نسيت أهم شيء . أتيت من أجله
نسيت أني قد ضللت الطريق .

وهممت بأن أحدث الجواد لأعود إلى المرأة مرة أخرى
وأسأله عن الطريق إلى البيت الذي أريده . فلا شك
أنها تعرفه .

ولكني لم أكّد أحدث اللجام حتى سمعت صوت حوافر
الجواد تطرق أرضاً خشية

غداً .. إنها القنطرة . وليس عليّ لكي أصل إلى البيت
إلا أن أسير بجوار الرعة

وعجبت لتصاريف القدر ، لو أسي سرت برهة ولم أتوقف
عد لصو . لعرفت الصريق ولما فكرت في أن أتوقف وأفرع
الدب وأعود المريضة التي كانت تنهف على طبيب

وأحدثت أسحت الجواد ، غير أنني بطيئة ولا صاب ،
وإطلقت العربية بسرعة جنونية

وخافة كالأخواد . وأحسست العربية تتمايل وتترجح .
وم أشعر بمشي لا وأنا ملق على الطريق أكاد أهوى إلى الماء
ونهبضت أتحسن أعصاني فوجدتني سليماً لم يمسن سوء .

ولكن الجواد كان ملق على جانبيه ولعنة مقلوبة
ونظرت أمامي فوجدت أصواء تلوح على بعد ، ثم أشك
في أنها صادرة من الدار التي أفصدها .

ولا تمكبر إطلقت أعود .. ووصلت إلى الدار مبهور



تسلا

الأناس حائر القوى . ووقف أمام لب أفرع الجرس
فرعاً متواصلاً .

وفتح أساب ، وحدث ، ركي بك ، يطر إلى مشدوها
وقد بدا عليه الارعاج ، وسألى عما أخرى ، إلى هذا الوقت ،
واندفعت أفص عليه كل ما حدث باختصار ، وأسأله أن
يربي الصبدلية التي لديه حتى آخذ منها ما أريد ، وأن يأمر
بتجهيز عربة أخرى .

ويطر إلى ركيك ، في دهول واقرب مي بشم رائحة
في وقال في هدوء .

— لقد شربت أكثر مما يجب .

— أرحوك ماركى بك . استمع إلى . . . م أشرب
سوى كأس واحدة

— وهذا أكثر مما يجب . إن مارأيه لا يمكن أن
يكون حقيقة لسبب بسيط ، هو أن هذه المنطقة لا تحتوي .
— لمسافة أربعين كيلو - غير بيتى وبيت « شريف بك » ،
وأكواح لملاحين . وما سمعت قط أن هناك امرأة واستها
في دار على مقربة من هنا ، وأنت نفسك مررت بالطريق
فلذلك ، فهل أبصرت هذه الدار إلى تتحدث عنها ؟
ادخل ادخل حدث الله

— ولكنسى أقوم أن مارأيت حقيقة ، إن الفتاة توشك
أن تهوى بها

وكنت ، وأنا أؤكد له قولى ، أقول لنسى حقاً إلى لم
أبصر أراً للدار قبل الليلة

ومع ذلك فقد أصررت على العوده ، وعلى أن آخذ
الأدوية ، وقال لي ركيك :

- لا يمكن أن أدعك تفرح . بك متعب .. انتظر
حتى الصباح وذهب معك نسي
- وسكر أن تعيش إلى الصباح .

ومع ذلك لم يكن هناك بد من الانتظار .. فقد أصرت
ركي بك على ألا يعطيك الأدوية ، وألا يسمح لي بالخروج ،
وكانت فسمي لا تقويان على حملي من فرط ما عدوت ..
ولم أجد بداً من الاستئافاء بملاسي على إحدى الأرائك
حتى الفجر .

وقبل أن تشرق الشمس ، كنت أوقف ركي بك وأرجوه
في إلحاح أن يعطيني الأدوية .

وهر الرجل رأسه في دهن واستسلام ، ثم نهض وارتدى
ملابسه وانصدقا بالعمية بعد أن أحصرها رجاله وأصلحوا
ما بها .. وغبروا الجواد .

ولا أصي في حاجة إلى أن أخبركم ملمع دهولي وخجلي ،
ونحن بحب المنطقة شبراً شبراً نبحث عن الدار المرعومة
فلا نجد لها أثراً .

كيف حدث ما حدث .^٤ أين ذهبت الدار^٤ هل كان
كل ما رأيت حياءً طاف رأسي وأنا نائم على مقعدى بالعرية
ثم أبغضت منه وقوع الجواد والقلاب بالعرية^٤ . هل كانت
انفاسه شجاً؟ هل شعيت لهواه^٤ . هل مات؟
وساد القوم سكون عجيب إلا من صوت حافات
همس بها .

— أجل ماتت . .

ونظرنا متمحين إلى صاحب الصوت وكان رجلاً كهلاً
حديث المعرفة بنا .

وتلفت إليه الطيب وبأله في دهش شديد
— من أدراك . . نعرفها؟

فأجاب الآخر في صوته الخافت وبرائه الهامسة
— 'حلى' انتهى ماتت منذ أربعة أعوام . إذ حدث
لها زيف أودى بها . وكما نقص وقتذاك في الأقصر . حيث
كنت أعمل في اسكة الحديد . وعنت عن الدردات لينة في
حولة مرور . . وعندما عدت في الصباح وجدت الامة قد
ماتت . . والام تردد في شبه هذيان .
— لو عاد الطيب ، لما ماتت . .

وعلمت منها أن الزيف حدث فحة وأنها أرسلت الخادم
بحث عن صيب فطالت عيته . وأحدث تدعو الله أن
يعجل محضوره... وحنة طرق الباب . ودخل الطبيب ، وقد
بدا لها كأنه هبط من الس . وخص الفتاة ، ثم قال
إنه سيعود سريعا بعد أن يحضر الدواء والاسعاف اللازم
ولكنه لم يعد قط .

وصمت الزاح ثم مديده إلى جيبه فأخرج عظمة صغيرة
سحب منها شيئا . . أعطاه للطبيب .
ووقع الطبيب فاه . وحدثت عيماء ، وهتف بصوت
مبحوح وهو يحملك في الصورة
- بها هي .

• • •

مخومان مخولان كيف يصدق عاقل مثل
هذا المراء ؟

أيمكن أن يحدث هذا ؟

أهدأ ما عساه لطيف بقوله أن هناك قوى مجهولة تأتي
بأفعال — غير ذلك العيب من طرق الواحد وأين في جوف

الليل ١٦ - أفعلا تعني شيئاً دون أن تستطيع أن يعطى كيف
حدثت أو من فعلها .

كيف يمكن أن يعطى ما حدث ؟

أهو يجاوب أرواح .. الله وحده أعلم .

« ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي .. »

إذا السماء انشقت



ووصى أن يكون النبي صوب موسى
 بدمه رثمه . وأحسن جدره جميل
 بحس به في الأرض منه . وهتف بأبيه
 وثمه . ما نحن إلا به . أوم قبح
 الأرض

ليلة ليلا... علا الشحوب كواكبها ، وأصي
 لسهب بجوفها .. ليلة من ليالى الصيف ركبت
 في ربحها ، وسكنت أقباسها رقد حسدا
 كسافر الخوس أحدثك حله وألى نيه ١١
 ردت ، أم أحمد ، على سطح الدار المتواضعة لكافة
 في عيشن الموردي ، والتي اتخذت منها مأواها .. وأخذت
 تغلب وتتمل فلفد أخ عليها الداء وأهكتها العلة .
 ومصت عليها نصة أيام وهي طريحة الفراش - أو قل
 الحصير - لا تقوى على الحراك . وحت صوتها الذي تعود
 أهل الحي أن يسموه في كل صباح مادياً ، أبص ياست ،
 فما عادت بها نية رمق تعبها على السير أو الصباح .
 وحنفت المرأة تعبها في السماء . وأحست بحماها في
 حلقها وصيق في نفسها . وكأنها أحست شيء ثقيل
 يحتم على صدرها أو كأنها عارفة في عاب أصم
 وفلت المرأة عبيها يمة وسرة . عيال أرمدتهما الفقر
 والحرمان ، وكسف صباهما المرض والمسعة عيال شعثا
 العيش وطلتا السماء . ولم يعد لهما من أشعة الحياة إلا
 شعاع غلب

ووقع بصرها على الجسد الصغير الرافد بحوارها .
فاعتلجت في صدرها ظلمة اليأس وور الرجاء ، كما بفتاح في
اعروب دحي الليل وصوء النهار . وتمنت لو استطاعت أن
نقاوم الموت . وأن تتعلق بأهداب الحياة . من أجل هذا
لشقي الصغير حتى يدفع عنه خطوط الحياة وتقيه بأسابها .
وسكنها أحس الموت بفترتها في غير رفق .
وأدركت أن أمها في الحياة قد درته الرياح . فثلاها الحنين
وودت لو استطاعت أن تسمع صوته قل أن ترحل . وأن
تلق عليه تحية وداع

وهزت الطمل توقظه في رفق . ونقبت لظلمة برهة قبل
أن يفتح عينيه ثم نظر إليها والعماس ملء حفيه فهمست إليه
— أحمد . . إني ذاهبة . . .

وبدا العباس يتمايز من عيني الطمن . وبدت عليه
علامات اليقظة . وهرت رأسه الصغير مستلما .

— إلى أين . . ؟

وأشارت الأم لمختصرة لباسها إلى أعلى وعادت تهمس .
— إلى فوق .

ونظر الطمن حوله في دهش ولم يفهم ما تعنيه بكلمة فوق ،

ووقع بصره على أطراف محله عالية تقع أمام الدار المجاورة
وهتف متسائلاً :

— أتتوّن أن تصعدى إلى النحلة ؟

— لا . . سأصعد إلى أعلى من النحلة . سأصعد إلى السماء !
ورادت بقطة الضمير . واشتد دهشه وخلق بصره يتأمل
السماء . ويعجب باللع . وعاد يسأل وفي صوته رنة فرح

— متبعى دانت . فى لسماء ؟ ستأخذينى معك بالطبع ؟
وهزت المرأة رأسها . وأحاطت فى صوت حافت :

— « من سأذهب وحدى هذه المرة
وبدت علامات الحيرة على وجه الصعل . وقال فى لهجة
تأنيب

تذهبين وحدك . ولم لا تأخذينى معك ؟ فى من
أصايفك . ولن أخرى منك . ولن أصرب الأولاد فى الطريق
سأكون هادئاً طيباً . وسأفعل كل ما تأمرينى به .

— لا أستطيع أن أحبك !

— وأما لا أستطيع أن أبقى وحيداً .

— لن تكون وحيداً .

— ماذا تعين ؟

— سأكون معك دائماً !

وبدت الخيرة على وجه الطفل ونظر إلى وجه أمه
الشاحب ، وعينها الخائيتين . ثم نظر إلى السماء ، وقلب
الطرف بين النجوم ، ثم هز رأسه متائلاً

— كيف ؟ . إن المسافة بيننا ستكون بعيدة جداً ؟
— لا . لا . سأصل إليك من هناك . سأصرك في
كل لحظة . سأبقى هناك بأهلك . وسأمرعك كلباً . وفي
سأصعد الآن وعليك أن تخط في الصباح إلى البيت أم حبيب ،
صاحبة البيت . وأمرها أن ذهبت إليها امرأة صبية
ولاشك أنها سحوت عليك وتؤببك في أرواحها . كن رجلاً
وأمرها أنك تستطيع أن تعاون روحها في حانوتها حتى
تكتسب عيشك ولا تكون عالة عليهم . يبك و . اشعوره ،
كن هادئاً عاقلاً . فمن يرحمك أحد . ويزيك أن تترك مهما
حدث . ومهما بلغت بك الحاحية ، ولا سحوتك . . إلى
سأرفك دائماً ولن يخفى على شيء . مما تفعل . . وسأستمع إليك
كلما حدثتني . .

وتجاوز الطفل عن الصائح فقد كان أهم ما يشغل
ذهنه الصغير ، هو كيف تستطيع أمه أن تصعد إلى السماء .
وهي تبدو في نظره بعيدة جداً ، وليس بها وبين الأرض
أى سلم أو مرتقى . وهب أنها صعدت بطريقة ما فكيف

تستطيع أن ترفسه . وكيف تسمعه إذا ما تحدث إليها ؟ ' وعاد
يستفسر مسائلًا

— إن لسماء تبدو بعدة حدٍّ وكيف تستطيعين سماعي ؟
— أبست بعيدة كما تتصور .

وأحدث نفل عبيدتها بسمه ونسره ، فوقع بصرها على
شبح مدخنة ، واور الرصلى ، ولم يكن بالك حبه ما هو أكثر
من علو ، ولا أشد ارتفاعاً ، وأردفت تقول

— أحسن . إنها لا تعد كثيراً عن مدخنة الرمال ،
وحسن الصي في مكانه ، وأحد يحتمق في شبح المدخنة
الأسود الرفيع ، ويدت عليه الخيرة ، وهمس كأنها يجب
على خاطر خطر له

ولمكى أن تستطيع تسبق المدخنة
وسمعت أمه قوله . فقالت بخبرة :

— بياك أن تحاول تسبقها . إنظر حتى تسكر وتصح
رحلاً . فتصيح أن تسبق اسم الحديسي للاحق لها .
وسأهبط وقدان لألقاك وأحدث إليث .

ونظر لظفر إليها في ربه وقد كانت المسألة كلها صعبة
الصديق . وبدت له أمه كأنها امرأة عربية . فقد ظهر
النحجر في مقلتها والتقلص في شعنها . وأحسن برعدة

خوف نسرى في حسده . ووصل إليه صوتها صعباً خافئاً
كأنه صادر من خوف نر عميق وسمعها يقول .

— نعم .. اعرض عينيك و . . حتى أستطيع اليوم
أنا الأخرى . . إلى سحلد إلى راحة صويلة . . سأهرب من
الحياة . . إنما المسكين أنت . . ما إن عليك أن تحمل عاها
طوبلا . . ما إن عليك أن تؤدى دورك في دينا لتعاسة
واشفاء والعور واحرمان

وأعصت المرأة عيها . . ولم يلبث الطعن أن راح في
سبات عميق

وفي الصباح استيقظ الطفل فوجد أمه ما زالت راقدة
بحواره . . وانغم في غفلة

إياها لم تذهب . . لم تصعد إلى لسماء . . كما قالت له . . لاشك
أها كانت تصحك عليه . . أو ربما كانت تنجم

وهزها بيده الصغيرة محاولاً إيقافها . . وهنف . .
— آم . . آم . .

ولكن المرأة لم تستيقظ ولم تنجم . . وعاد يهرها ويصيح
بها . . وهي تأتي أن تستيقظ . . حتى بدأ الحزن يتمدك . . وهبط
إلى أم حسين . . ليستعين بها على إيقاف أمه

وصعدت
 وأم حسن ،
 مع الحسن ،
 ووقفت أمام
 المرأة تنظر
 إلى جسدها
 المسحوق
 بلا حراك .



وقال لها الطفل
 - فقد ضلت مي أن أحرك أهما متصعد إلى السماء
 وحكها لم تصعد
 وأجابه المرأة شفة .
 - بل صعدت
 وكان الأمر أعوض من أن يفهمه الطفل .
 كيف يقولون بها صعدت إلى السماء . وهي ما رلت
 راقدة أمامه ؟
 وعادت المرأة تقول مقصرة
 - إنها ماتت
 إذا فهذا هو الموت ؟

هذا هو تفسير العرواح العفدة أن تصعد إلى السماء
وننق في الأرض في وقت واحد !! إنها والله مسألة لطيفة
ليه يستطيع هو الآخر أن يموت !

وسحنت المرأة من يده وهطت به إلى أسفل
ولقي في فضاء انداد نصاحته على : ابن أم عبي ، فأبأه
صاحكا أن أمه ماتت ، وأنها قامت به أشياء عجيبة سدفت
بها فيما بعد

وخرج بصلان بلهوان في الحارة والمجاورة .. وانضمها
إلى ثلة من أطفال الحى ، وقد سرى بينهم بأ موت ، أم أحمد ،
و نائمه اللات ، فسفوه بطة واهمكوا في هوم

ولعب وأحمد في ذلك اليوم كالم يعب من قبل ، وم يجد
هناك من يهره أو يافشه الحساب . ولم نبحث عنه أمه لتعبده
في انداد وأخير آ أحسن بالخوع فتخلف عن الصبية وعاد
متسللا إلى الدار .. فراعته ذلك السككون المنطق والصمت
الخميم .. وصعد إلى السطح وقد تملكه الخوف من أن تنهره
أمه .. ولست لم يجد لها رافدة حيث تركها ، فأحس ، معص
الاطمئنان وبعد مدة عصه الخوع مرة أخرى .. فلم يجد
بدأ من البحث عنها حتى قطعه .. وصاح ماديا : دأم .. فلم
يجه سوى صدى صوته .. فعاد يهبط السلم الحجرى المتأكل

وصادى على بسطة السلم ، لعمود هامة ، وسألها من
أمه ؟ فخدجته في حصرة وقالت .

— دهمت إلى ، التربة ، ؟

— ومتى تعود من ، التربة ، ؟ ولم دهمت

— دهمت لأنها ماتت أما عن عودتها . فلا أراها

سعود أبداً . من الموت لا يعيد أحداً .

الموت !! إنه لاشك مشكلة عسيرة !! أصعب

كثيراً مما كان ينظر لشئ ما خدعه الموت . . كيف يذهب

نأمة إلى ، التربة ، ولا يعيدها أبداً . ولكن من يدري . .

ربما يكون هو الذي ذهب بها إلى السماء . ولكن العجوز

الحقارة ظنت أنه ذهب بها إلى التربة .

أحل . أحل . لقد حن العقدة وفهم النعر . إن أمه

لا شك قد دهمت إلى السماء كما قالت له . لقد ذهب بها

الموت . ليت يذهب به هو الآخر .

ولكنه ان يرضى . فلقد مات له أمه أنه ما زال عليه

أن يؤدي دوره في ديا التعاسة والشفاء والعور والحرمات .

فليتظر إذن حتى يؤدي دوره

ومرت الأيام بالطول . وبدا الدور ثقيلاً مبهكاً . لقد

خدله الموت خذلاً شديداً . . لقد أخذ منه أمه . حقيقة

أن دهانها قد هيأ له فرصة المهور للاحساب . واللب ملازجر
ولاهر . ولكنه قد حرمه من مباح يلهو وملاذ يتوده
حرمه أحصائها اذافئة . ودراعيها اللتين طالما صمتاه في رفق
وحنو ودفعنا عنه عانة لوه . حرمه يديه اللتان أطعمناه
وسقيناه . . حرمه أعضاؤه التدليل . والحبال والحبال
لقد حرمه كل شيء . . ثم هو يأتي بعد ذلك أن يصعد به إلى
حيث يصعد اسمه .

إن أحد لا يشعر به ولا يحس وجوده . . به يذهب
حينما شاء . ووقتاً أراد . لا أحد سأل له إذا كان قد شمع
أم جاع . . روى أم طمى . عرى أم اكنسى . نطف
أم اسح . شد ما كان يشبه نك الكلاب الصالة والقطط
الجانعة .

وأم حسين . . سبحها الله . قد ألفت أعاء عن كاهنها
فأكانت . . على حد قولها . تنقص أعاء . حتى نعلمها
وأم أحمد . عيبه أنها فوق أعائها

ومرت الأيام . والفضل يهيم على وجهه . يقوم بدوره
في ديب التهمة والشقاء خير قيام . . ويحمن من النؤس
والحرمان والاحوج والندفة ما أنقص طهره . . وأقبل الشتاء
ومس الضم قهره . فأحس بأن الكلاب والقطط تفصله

لأن الله قد وهبها ما قد حرمه منه . وهبها لقراء الذي يقبها
لقر . . وهبها كساء طبعياً .

واشتعل الطفل بجمع أعقاب السحائر . وانضم إلى رمة
لصبة ، لمسمى السارس . . وهيات له مهنته الحديدية بصفة
مليات تقيه شر الجوع .

وفي ذات ليلة من ليالى أمشير العاصفة . . كان لطف بسير
، تكوره العارع ، في شارع الخبيج . وكاب الجوع بنهش
أحشائه . . فيه لم يصب في يومه ، لا قدراً يسيراً من الأعقاب
لم يقل الرجل ، تاجر السارس ، أن يعطيه عنه ما يما واحداً .
وهت عليه ربح صرصر لم يستطع كساء الرقيق الممرق أن
يمعها من السريان في حسده فأصانته من حرارتها رحمه
وساقه الجوع ولقفر إلى أن يلتمس من . أم حسين ،
طعاماً ودوناً . . فأنجته إلى دارها وطرق بابها ، فقبضته الصغيرة
ووصل صوتها من الدخول منسائلاً . . مين ؟ . .

وأجاب الطفل :

— أنا . . أحمد . .

ولم تفتح المرأة . بل وصل إليه صوتها مرة أخرى
باهرأ صاحباً ، أمراً إياه أن يصرف من حيث أتى . .
« ولاش ملاوى ، هه لا تكاد تحتمل ، ملاويها . . »

ووقف الطفل رهة . . ثم وجد قدميه تصعدان به إلى
اسطح . . حيث تعود أن يرقى أحضان أمه . . وحيث
فارقته آخر مرة صاعدة مع الموت إلى السماء .
وحلس الطفل مكشياً يرقى السماء

زى هل تراه أمه كما أسأته . وإذا كانت تراه من برصها
أن تتركه على حاله تلك من الجوع والعري ؟ ماذا كان عليها
لو أخذته معها إلى السماء . أنرى كان سيقفل كاهن الموت
لو حمله معها . وقلب لطرف فيها حوله فليح شبح المدحة .
وتذكر ما فاتته أمه من أن السماء لا تعد كثير أعين المدحة . .
وأه ليس عيبه إلا أن ينتظر حتى يكبر ثم يصعد على السلم
الملاصق لها

وشرده الدهر رهة . وأحس أنه لا يستطيع أن ينتظر
حتى يكبر . أنه يستطيع أن ينسلق السلم الآن . لقد صاق
بالأرض درعا . ولا شك أن أمه ستلقاه بكل ترحاب . .
وتقيه غائلة الجوع وعادية البرد .

واحتمرت العسكرية في رأس الصبي . . فسكرة تسلق
المدحة والصعود يوماطتها إلى السماء . حيث يلقي أمه ويتمتع
بكل ما حرم منه في هذه الأرض .

وهبط الصبي الدرج . وعبر شارع الخليج . وبعد لحظات

كان يقف أمام الرواية الخلفية لوانور الرمالى . وفى عتمة من
الخفير الحارس على حجر أمامها استطاع أن يتسلل إلى الداخل
وعدا متجهاً إلى قاعدة المدحمة . . . ولم يطل به البحث عن
السلم حتى عثر عليه . . . وسرعان ما أخذ ينسلق قسماً
الحديدية الضيقة .

ومضت فترة والنسى مهمك في الصعود . مستعياً بدمية
ويديه على تساق القضبان الحديدية . وأحس شيئاً من التعب .
فوقف برهة يتأملك أعماه . ونظر من فوق كتفه إلى أسفل
فوقع بصره على الخفير وقد عادر مجلسه متجهاً إلى قاعدة
المدحمة . فأصابته رجفة وتملكه الخوف من أن يكون
الرجل قد أحس به وأنه سيقبض عليه ويبعده إلى الأرض

وعاود الصعود بكل ما في جسده الصغير من جهد حشوية
أن يلحق به الرجل . واستمرت بداه وقدمه في تساق
لقضبان الحديدية دون أن يحسر على أن سطر إلى أسفل
وأحس بالريح لبارده تسرى في عظامه . وكلما أرداد صعوداً
أردادت الريح شدة وعمماً . . . وأرداد صغيره في أدسه .
وتملكه التعب وأنتهكه الصعود . وأحس كأن يديه وساقه
توشك على لنصب . . . ونظر إلى أعلى مداله لم يمتد في
صيق . وكأنه ينتهى في جوف السماء . ونظر إلى أسفل



فدنت له أصح
الدور موحشة
مطلبة وذب
له المريت صغيره
كالدمى

وعاد ستحت نفسه ويستجمع قواه .

صبح درحات أخرى وبصر في السماء . من يدري ؟ قد
ستطبع وقد اك أن يسمع بسبح ملائكة وتربيمهم من قد
تندأ به يد الله فتحمله إلى أعى فيدير منحولا في شوارع السماء
الذهبية لنى لا حروبها ولا فر المينة بالاطامه وانما كنهه
وسيلقى بأمه التى صاب شوقه إليها . وسيرى أباه الذى
لا يستطيع أن يتذكر شكله . إنه لا شك سيحمله بين يديه
وسيعطيه نفوداً كما يعن كل الآباء مع أبنائهم .

ونحن من انصى على نفسه وعاود الصعود . وكان صعوده
في هذه المرة اضيقاً مثاقلاً . وقد كانت قواه حائرة وأطرافه
مرتجفة والريح في اشتداد . وأحس رأسه يدور . . . وبمشاوة
تعلو بصره . ونظر إلى أعلى خيل إليه أنه قد وصل .
أحل . لقد وصل أخيراً هده الصياء التى تشع . وهذه

الحال الذهبية المصينة الفمم ، وهذه الأشجار المتكاثفة التي
تنوح من بعيد . لا بد وأن تكون الجنة نفسها .
ووقف الصبي يلثث . . مهوور الانعاس .
لقد أحصى الآن من السماء والأرض .
وعاود لصعود بفعل قدميه ويديه وكأها من وطأ اتصل
والانهاك لم تصح منه . . بل وكأها أطراف إنسان آخر . .
بل كأنه هو نفسه ليس هو .

وأخيراً أعياء الجهد وحمدت أطرافه . وحيل إليه أنه
من يستطيع الحراك . إنه في حاجة إلى من يعينه . لقد
أمانته أمه أنه إذا صعد السلم فسيتخط للقائه . . ترى أين هي ١٩
وأحسن الصبي البكاء بحقه . . وصاح يسجد في صوت
مبحوح : أم . . . آباء .

وحملت إليه الريح صوتاً حوياً يهتف به . . في آتية . .
وسرت في جسده فشمرة ، لقد كان الصوت صوت أمه
لقد أحست به أخيراً . وهي لاشك قادمة إليه . إنه كان
يحس أنها لاشك آتية . فما حدثه قط في الأرض
ولا في السماء .

واندفع الصبي في بوة من الكاء . وأحسن بأطرافه
بتراحي ، وأنه لم يعد يقوى على التماسك . وأنه يشك

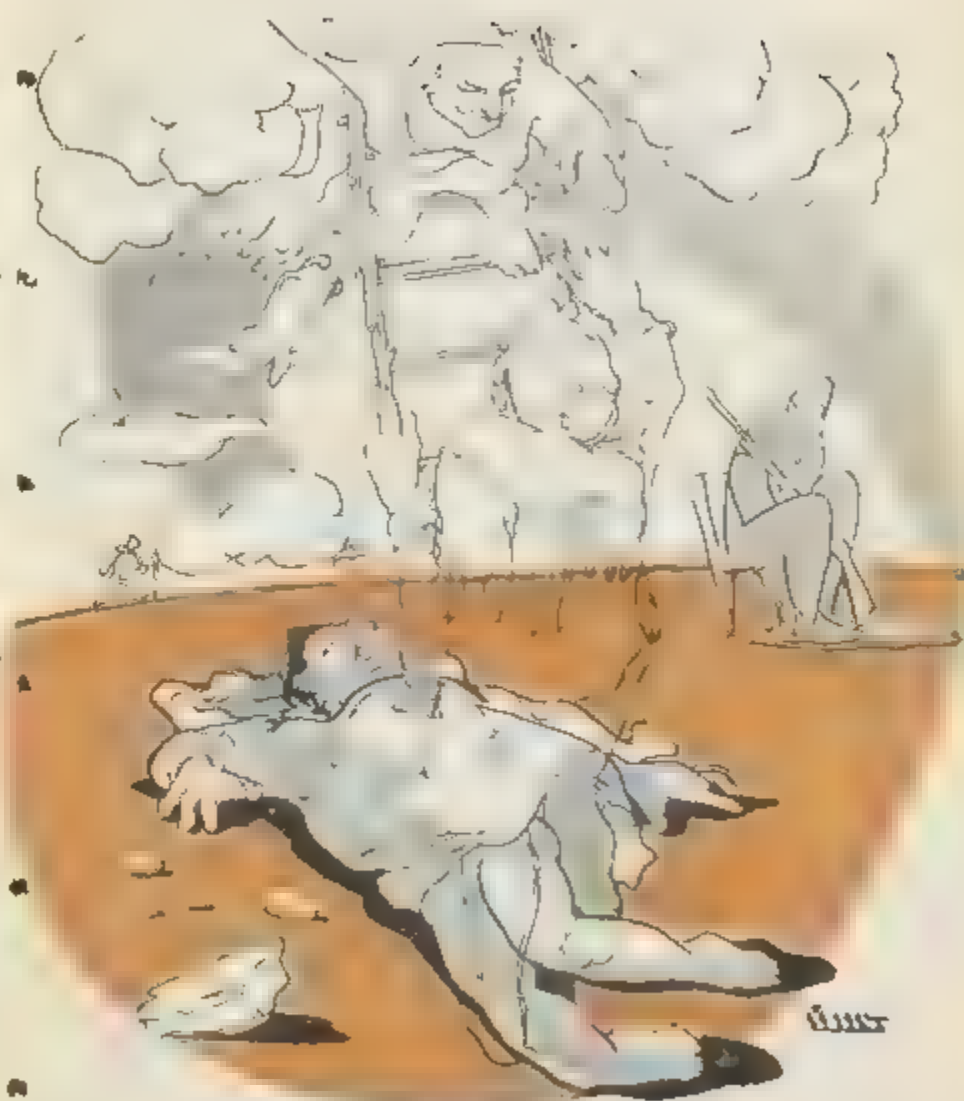
أن يهوى .. وبعد لحظة .. أحس بأن أصابعه قد أفلتت السلم
وأنه قد هوى فعلا .. تصرخ صرخة مدوية صاخبة .. آم
الحقيني يام ،

وها انشقت السماء ، وهطلها سلم ذهبي قد تعلقت الأم
نظرفه ومدت يدها فحدث الصبي بعد أن أفلتت أصابعه سلم
المدحنة وباولته لرحل تدوقف في أعلى السلم الذهبي . وحتضه
بين ذراعيه وأخذ يتسلق به السلم والمرأه وراءه .
وأحس الصبي بالدوء والراحة . إن الرجل لا شك
أبوه .. لشد ما طال شوقه إليه وإلى حمايته .

واستمر الثلاثة في الصمود على السلم الذهبي .. واحتوتهما
أصواء السماء . ووصل إلى أدنى الصي صوت موسيقى عذبة
بائعة . وأحس بهدوء جميل . لم يحس به في الأرض قط .
وهتف بأبيه وأمه .. ما أحمل السماء !! وما أقبح الأرض .

• • •

استيقظ عمير ، وابور الرمال ، فجأة من غفوته وهو
جالس على الحجر أمام البوابة ، على صوت صرخة مدوية ..
وطرق سمعه صوت اصطدام جسم بالأرض أسفل المدحنة ..



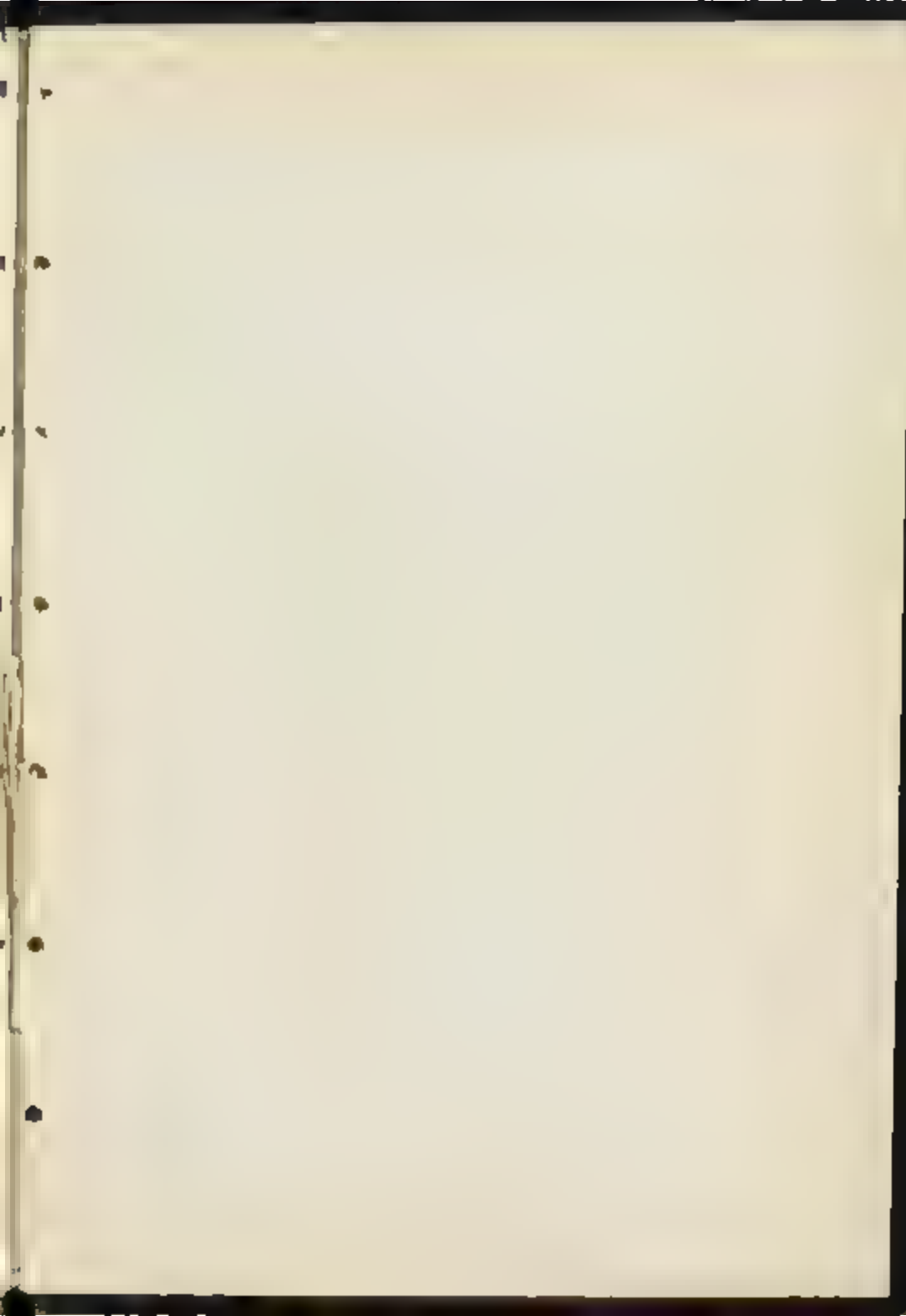
1917

وأسرع إلى مصدر الصوت فراعته جسد صبي صغير . وقد
عظم إرثا .

ومد ذلك اليوم وسوه . حتى المأوردى . يحدرو
أسماء من الاقتراب من المدحة . أو التساق عليها .
والأحدث لهم ما قد حدث للصبي

ترى ماذا حدث للصبي ؟ لقد هبط جسده فتوى في
عياب الأرض . وصعدت روحه فاستقرت في أبواب
السياء . ماذا يضير الجسد العاق أن تطوى في عيابه
مادامت الروح الباقية تنتشر في الأصواء . أليس ذلك خيرا
من أن تتردى الأرواح وتعم الأحقاد

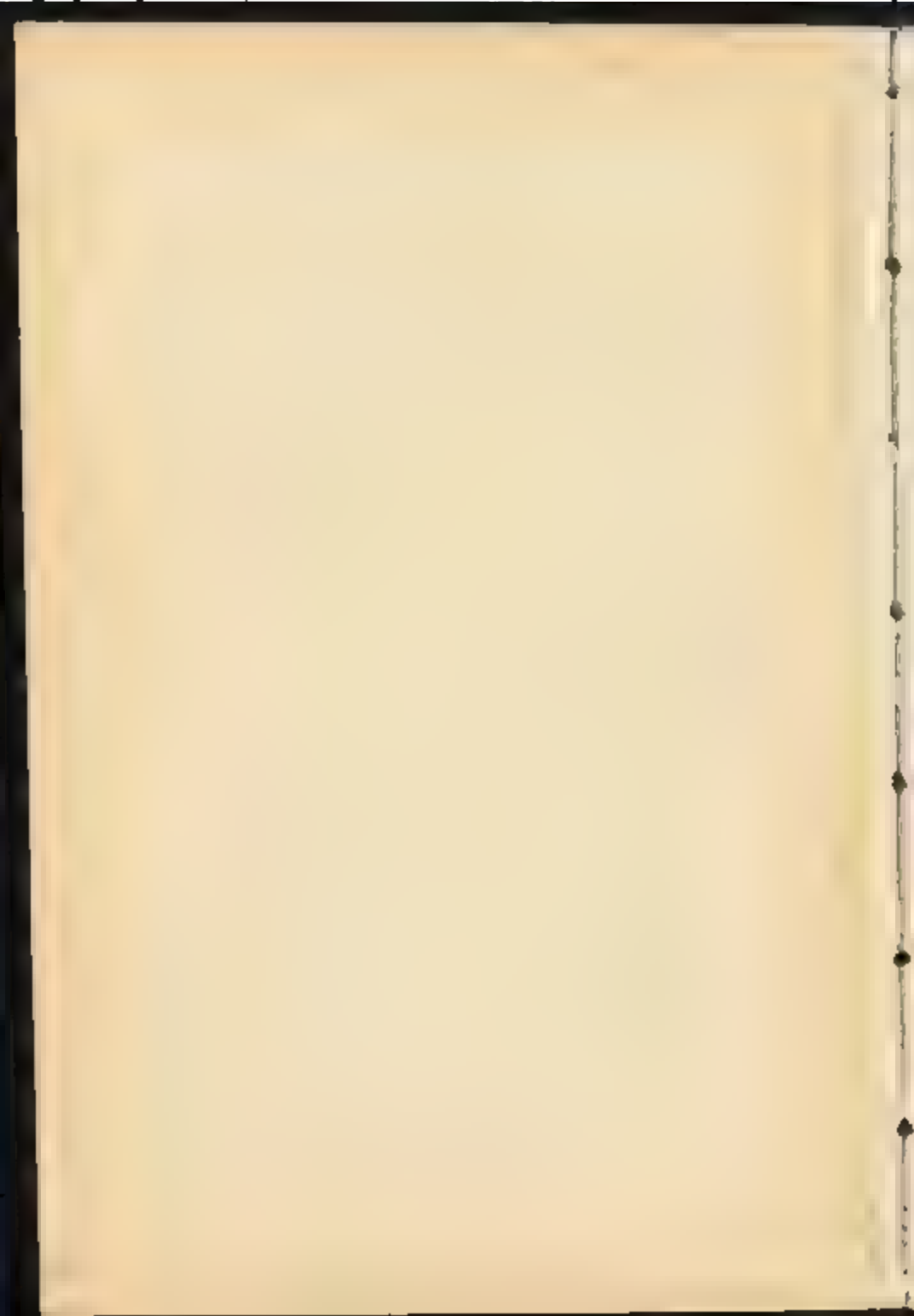
ما أحق الإنسان يخشى على الجسد لعاق . ولا يخشى
على الروح الباقية .



فهرست

۳	لأهدء
۶	القدمة
۹	حديث على
۳۹	أرواح هائمه
۵۹	منوح في فراش
۷۷	صوت روح
۹۱	معمره كبرى
۱۰۵	الحاججى
۱۲۳	حياة مزدوجة
۱۵۳	كانت هناك
۱۷۳	صوت مجهول
۱۸۹	هذا البيت لى
۲۰۵	حدثى معك
۲۱۷	مات قرياً
۲۳۳	صعقة عجيبة
۲۴۹	عنها عند رى
۲۷۱	إذا السماء انشقت

سورة من الحيات



الناشر مكتبة الخايمي

112

2

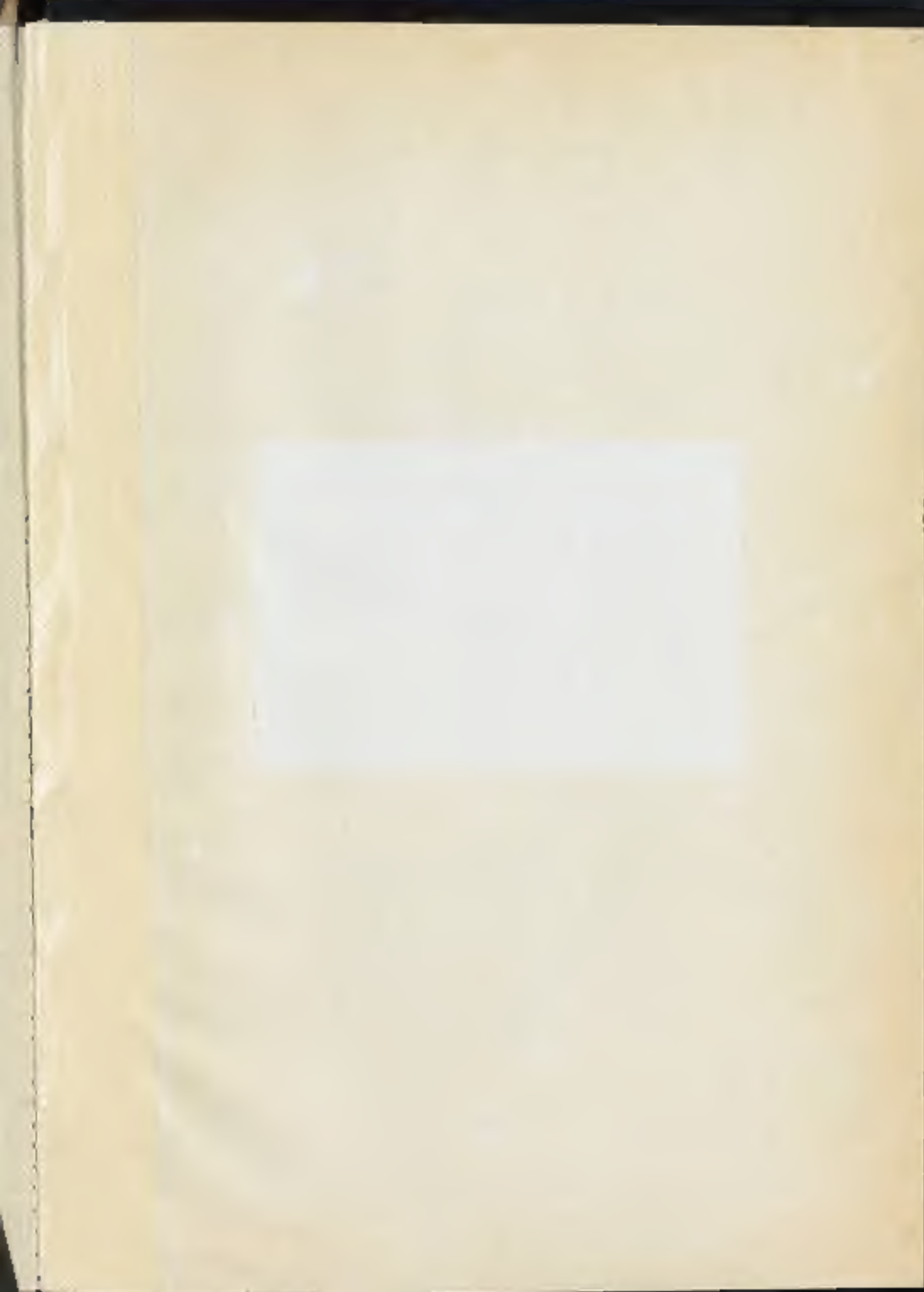
113

114

115

116

117



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072236084